عَارف بك النعمَاني

١٨٨٢-١٩٥٥

وثائق حول العَلاقاتِ اللبْنانيّةِ السُّوريَّة الفرنسيَّة



إعداد

الدكتورة فاطمة قدّورة الشامي

دكتوراه دولة في التاريخ

الدكتورة
فاطمة قدورة الشامي
الجامعة اللبنانية
كلية الآداب - الفرع الأول

عارف بك النعماني

وثائق حول العلاقات اللبنانية السورية الفرنسية

١٨٨٢ - ١٩٥٥

بيروت
١٩٩٩

الإهداء

إلى الذي عاشَ وعَمِل

لأجلِ استقلالِ لبنانَ

وتحدَّى بعنادٍ وصلابةٍ وإباء

وتَحَمَّل الاعتقالَ والسَّجنَ والنَّفْيَ

وخَسِرَ العَمَلَ والمالَ

ذلكَ هو قَدَرُ الأبطال...

هو قَدَرُ أهلِ بيروت...

وكلِّ مَنْ أحبَّ بيروتَ وترابَ لبنان

آل النعماني

المقدمة

عندما نؤرخ لرجالات لبنان أمثال: عارف النعماني الذي عاش في بيروت ما بين نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين (١٨٨٢-١٩٥٥) تكون الغاية البحث عن مواقفهم ومقولاتهم ونضالاتهم التي طُمست، لنضعها من جديد بين أيدي الشباب العربي، لعلهم يستلهمون من الماضي عِبراً للمستقبل.

عاصر عارف النعماني تلك الكوكبة من الأبطال العرب الذين ظهروا في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق والحجاز ومصر والشمال الأفريقي. فحملوا تباشير النهضة السياسية والفكرية، ودخلوا في تقاطع تاريخي حادّ ودموي أدى إلى إنهاء الحكم العثماني الذي استمر حوالي أربعمائة سنة، والوقوع تحت سيطرة الانتداب الإنكليزي والفرنسي، فتابعوا النضال من أجل التحرر والاستقلال.

إن دراسة عارف النعماني تكشف للأجيال قدرة الأمة العربية على متابعة الحركة والتطور، والأخذ من الثقافات الأجنبية، دون إهمال النضال والمعارضة وتحدي الاستعمار بأشكاله كافةً، وذلك بغية دفع الشباب العربي للإيمان بنفسه، وبعظمة رجالات أمّته، بعد أن مرت مرحلة من التنكّر لتاريخنا وقِيَمنا الروحية، إعجاباً منا بالثقافات الغربية. فعارف النعماني، بالرغم من تشبُّعه بالثقافة الأجنبية، وتقلّبه في العز والرخاء، لم ينس الهم الوطني. فكافح وناضل مسجّلاً لنا أصدق صوَر الوفاء لأمته. فانعكس ذلك سلباً على حياته العائلية وعلاقاته الشخصية، وأعماله الاقتصادية.

والواقع أن القراءة المتأنية لمذكرات عارف النعماني تلقي أمامنا أضواء على شخصية متكاملة، متوازية في قدراتها النفسية والسلوكية، ذات أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، تفاعلت مع شخصيات قيادية أجنبية، أمثال: بيكو وغورو وويغان إوبوار، وملوك وقادة ورؤساء وزراء عرب أمثال: الملك فيصل بن الحسين، والملك علي بن الحسين، وآل سعود وياسين الهاشمي، واقتسمت الهم السياسي الوطني مع كبار زعماء لبنان أمثال: عمر الداعوق ومحمد أمين بيّهم

وسليم علي سلام ورياض الصلح والياس شويري وسعيد البستاني وخليل عقل ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك وفؤاد كنعان وسعد الله الحويّك وأمين أرسلان، ودافعت اقتصاديًا عن العملة الوطنية مع مجموعة من تجار بيروت وسوريا أمثال نجيب يوسف سرسق وألفرد سرسق، وحبيب وجورج وبترو طراد، ومصطفى عز الدين، وميشال شيحا.

ونجد لدى عارف النعماني ثوابت فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية تجلّت في ما يلي:

أولاً: ترأسه للحركات السرية المناهضة للحكم العثماني في لبنان، فكاد يشنق على يد جمال باشا.

ثانياً: اتصاله بالأمير فيصل في دمشق للغاية نفسها. في هذه المرحلة تبلور الفكر السياسي لديه بطرحه فكرة إنشاء دولة لبنان الكبير، تمهيداً لاستقلاله، مع الحرص على الوحدة العربية، والعلاقة المميزة مع سوريا اقتصاديًا[١]. تلك الحقيقة التاريخية التي طرحها عارف النعماني مع الأمير فيصل سنة ١٩١٩، وفي المؤتمر السوري العام [وكما شهد بذلك المفكر سعيد عقل سنة ١٩٩٥ الذي أكد بأن عارف النعماني هو صاحب الفضل في قيام دولة لبنان الكبير[٢]]. وقد عادت ذاكرة التاريخ لتؤكد الحقيقة التاريخية التي أطلقها عارف النعماني حول علاقة سوريا ولبنان وذلك في مؤتمر الطائف الذي عقد سنة ١٩٨٩.

ثالثاً: لقاء عارف النعماني مع الجنرال غورو الذي تمحور حول علاقة لبنان بالدول العربية. فدعا إلى اتحاد فدرالي بين العرب ضمن الاستقلال الذاتي، مع الحرص على استقلال لبنان داخليًا، وارتباطه مع العرب اقتصاديًا وماليًا على أن

---

(١) حوار الأمير فيصل - النعماني حول استقلال لبنان. نص مطبوع على قطعة زنك خاصة بالمؤتمر السوري العام. ونقل العبارة ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤. ومحمد جميل بيهم: سوريا ولبنان (١٩١٨-١٩٢٢)، ص ١١٣-١١٩.

(٢) قال سعيد عقل: "ليس مسموحًا لأحد أن يزوّر التاريخ، وحقيقة الأمر أن صاحب الفضل في تأسيس دولة لبنان الكبير هو الحاج عارف النعماني. وكل الوقائع تؤكد هذه الحقيقة، فلو لم يطلب الحاج النعماني من الملك فيصل استثناء لبنان من مشروع الدولة العربية، بحكم تركيبته الطائفيه، لما كان هناك لبنان. وفي هذا رد على فريد سلمان الذي أنكر دور المسلمين في استقلال لبنان.
مجلة الأفكار: ١٨ كانون الأول ١٩٩٥ - السنة ١٣، العدد ٦٩٧.

يُضاف إليه البقاع، وتبقى بيروت مرفأً حرًا.

ممّا تقدم نلاحظ أن تعاطي عارف النعماني الشأن السياسي للبنان لم يكن من باب التفكه أو التسلية، فالكثير من آرائه حول إنشاء دولة لبنان الكبير، والعلاقات اللبنانية السورية، ما زال ناجحًا فاعلًا. لأن هذه الآراء هي في الواقع أجوبة على أسئلة ما انفك الفكر السياسي اللبناني والسوري يطرحها على ذاته. "إنها أزمة وطن ما زال حتى يومنا هذا يعاني من كوابح ضاغطة تكبّل مسيرته. فإذا المواقف والتشنجات السياسية ألغام تفجّر الساحة اللبنانية بين الحين والآخر. وذلك بسبب البعد عن التفاهم السوري - اللبناني، والانشداد إلى حزازات الماضي»[١].

رابعًا: موقف عارف النعماني المعارض للانتداب الفرنسي، وسعيه لتحقيق الاستقلال بدعمه مجلس إدارة جبل لبنان ماديًا، مما أدى إلى قيام فرنسا بسجنه ونفيه إلى جزيرة كورسيكا.

ونلاحظ أنّ هذه الهوية السياسية لديه تظهر في مواقفه الصارمة التي لم يحد عنها ولم يساوم بشأنها مهما كانت خطورة الأمر. فاتسمت بعناده وصلابته والتزامه إيّاها إلى حدٍّ أدّت به إلى السجن والنفي. ولكنه رغم ذلك بقي داعمًا ماديًا، ومعنويًا للحركات التحررية في الوطن العربي. لم يعرف الحياد، ولم تُسكته قوة عن إظهار حقيقة الحياة السياسية اللبنانية المكفّنة بالنفاق والارتهان للدول الأجنبية من أجل السلطة والجاه. لقد كان حميم الارتباط بما يجري في وطنه، تتصارع الآمال في صدره، فبات الوطن محور عقله وكيانه.

ثوابت عقَدية سياسية دفع ثمنها ماديًا ومعنويًا من أجل لبنان والأمة العربية. لم يعوَّض عليه بشيء. ضاعت أمواله ما بين دعمه لمجلس إدارة جبل لبنان من أجل الاستقلال ومساعداته المادية لإنهاء الصراع الدموي بين الهاشميين والسعوديين في الحجاز.

خامسًا: اتساع نشاطه الاقتصادي الذي اتخذ بعدًا اقتصاديًا وطنيًا عربيًا إنمائيًا. فقد راعه أن تعمل فرنسا على إفقار لبنان، فأسس مصرفًا للبنان (بنك الإصدار الوطني). فما كان من الجنرال ويغان، إلا أن حاربه، وهدّده إوبوار بالنفي إلى مدغشقر في أفريقيا.

---

(١) راجع، توصيه المؤتمر الدائم للحوار اللبناني - السوري الذي عقد في فندق السمرلاند، الجمعة في ٨ آذار ١٩٩٦.

كذلك أنشأ شبكة محلات النعماني لتجارة بالات القطن الخام والتي توزعت في البلاد العربية.

وتابع قضية اكتشاف النفط في بلاد الحجاز، فأتى بالمهندسين لاستخراجه. ولكن انتقال الحكم من آل هاشم إلى آل سعود قضى على امتياز التنقيب. كما أقام المشاريع الاقتصادية في العراق، فاهتم بإنشاء السدود واستصلاح الأراضي لزراعة القطن، وأسَّس شركة طيران لنقل الحجاج من فارس والعراق. ولكن إنكلترا كانت له بالمرصاد، ففشّلت كل مشاريعه.

سادسًا: تخطّيه المجال السياسي والاقتصادي، وبروزه في المجالات الثقافية والإعلامية والاجتماعية. فَسَمَت ذاته الإنسانية حتى فاق الحدّ في الكرم والعطاء، فلم يكن لبذله حدود. أمّا اللياقة والرهافة والتهذيب فسمات واضحة جليّة بدت في حسن تعامله مع كبار المسؤولين، فكان جليس ملوك العرب، وجنرالات فرنسا. دخل قصور الملوك والرؤساء في مهمات سياسية خطيرة، ليلًا ونهارًا وبدون رسميات. وقد سعى في طلبه سادة البلاد، وعُدّ رجل المهمات السياسية الصعبة، والعقل المدبر في المشاكل المستعصية.

ثقته بنفسه رفعته فوق طلب أي منصب لنفسه. فكان «الجنتلمان» الذي قال له الملك فيصل يوم أصابه بالكرة في عينه في مباراة رياضية جمعتهما: "وأنت عيننا يا عارف»[١]. وكان «البيك»، كما يستفاد من قول هنري فرعون له: «أنت بيك يا عارف وأنا خواجه»[٢].

هذا هو عارف النعماني بشخصيته المتعددة المواهب، تمامًا كحجر الماس المصقول، كيفما حَرَّكْتَه بَهَرَكَ إعجابًا وسحرًا.

زعيم بيروتيّ طَموح وعنيد، فتح جبهات نضالية واسعة، فأغاظ خصومه. وكلما أقفلوا بوجهه جبهة، فتح جبهات أخرى.

أعطانا صورة صادقة عن حقبة هامة من تاريخ لبنان والدول العربية في العصر الحديث. عاش فيها وتفاعل معها ماديًّا ومعنويًّا، فكان بين فكّي أعظم دولتين

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٧).
(٢) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.

آنذاك (فرنسا - إنكلترا). جهر بآرائه ضدهما، وانتقد سياستهما، رافضًا مواقف إنكلترا من العرب وتأييدها لليهود، وانتداب فرنسا للبنان، فدفع ثمن مواقفه من حياته وتجارته ومشاريعه، حتى كان في ذلك انهيار كل طموحات عارف النعماني..

سيرة عارف النعماني ليست قصة أرويها للعبرة فقط، ولكنها حقيقة تاريخية واضحة كالشمس لرجالات بيروت، الذين ناضلوا من أجل استقلال لبنان ضمن البعد القومي العربي، فقدموا من أجل ذلك الروح والمال إيمانًا منهم بأن بيروت ستبقى دائمًا وأبدًا عاصمة لبنان العربي الهوية والانتماء، ومعقل الحريات، ومنطلق المقاومة الوطنية والنضال[١].

فاطمة قدورة الشامي
بيروت في ١/٧/١٩٩٦

(١) راجع: توصيه مؤتمر وثيقة بيروت الذي عقد في فندق الكارلتون في ٢٣/٣/١٩٩٦.

الفصل الاول

عصر عارف النعماني

إنّ المتتبع لتاريخ لبنان الحديث، يظهر له بوضوح عمق الارتباط اللبناني مع الخارج. فلقد كان للأمير المعني فخر الدين علاقاته المباشرة مع توسكانة، كذلك الأمر بالنسبة للأمير الشهابي بشير الذي تعاون مع حكم إبراهيم باشا للبنان الذي انتهى بمؤتمر لندن ١٨٤٠.

هذه الأوضاع السياسية أدت إلى التدخل الأجنبي في شؤون لبنان السياسية والثقافية. فسياسيًّا اندلعت أحداث ١٨٦٠ وانتهت بإعطاء حكم جبل لبنان لمتصرف مسيحي عثماني، يعيَّن من قِبل الدول الأجنبية، ويتبع مباشرة للسلطان العثماني. وبقيت بيروت وصيدا وطرابلس والجنوب والبقاع وحاصبيا وراشيا خاضعة لحكم الولاة العثمانيين. أما ثقافيًّا فلقد بدأ دخول الإرساليات الأجنبية إلى لبنان.

وسط هذه الأجواء، ومع نهايات القرن التاسع عشر، عاش عارف النعماني الذي اتصف عصره بالدقة والخطورة بالنسبة لتاريخ لبنان والمنطقة العربية. فظهرت بين زعماء الدول العربية تيارات فكرية سياسية مناهضة لتركيا، وذلك بعد أن منيت بالهزائم العسكرية في أوروبا، وسمحت للقوى الاستعمارية (فرنسا - إنكلترا - إيطاليا) باحتلال الولايات التابعة لها: كمصر وتونس والجزائر وليبيا. ولقد تدرجت تلك التيارات الفكرية في طروحاتها السياسية ضمن مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى

ظهر التيار التقليدي، حيث عمل زعماؤه (رفاعه الطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا) على التمسك بالخلافة العثمانية مقابل الإصلاح. وذلك بدعم فرنسي سرّي ظهر من خلال تأليف جمعية العروة الوثقى في

باريس، وتشجيع إنكليزي ساعد في قيام ثورة أحمد عرابي في مصر[1].

نتيجة ذلك ظهر بين ضباط الجيش التركي، تكتّل سرّي أُطلق عليه اسم جماعة (تركيا الفتاة)، وقد انقسم فيما بعد إلى جماعة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) وجماعة الإصلاحيين أو الائتلافيين (جمعية الحرية والائتلاف) الذين طالبوا بالدستور الجديد. ولكن ما بين تعطيل الدستور وعودة الحياة الدستورية انتهى حكم السلطان عبد الحميد، ووصل الاتحاديون إلى الحكم، فقاموا بفرض سياسة التتريك. ونادى العرب باللامركزية، وتشكّلت (الجمعية القحطانية) و(جمعية الإخاء) و (المنتدى الأدبي) من أجل المحافظة على الكيان العربي تجاه سياسية التتريك. فاعتقلت السلطات التركية الأعضاء وأقفلت هذه الجمعيات، وأبعدت الضباط العرب من الجيش، وأرسلتهم إلى الأناضول، فاستقال الضابط عزيز المصري وألف (جمعية العهد) السرية، وظهرت (جمعية النهضة اللبنانية) و(الجمعية الإصلاحية البيروتية) و(الجمعية اللامركزية).

المرحلة الثانية

ورافق ذلك بدء المرحلة الثانية للطروحات السياسية العربية. فظهر دعاة الفكر الليبرالي الذين نادوا بالقومية العربية، وإلغاء الخلافة، والتحرر، والعقلانية. وحمل لواء هذا التيار مجموعة من المفكرين أمثال: ناصيف اليازجي وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني ويعقوب صرّوف وشكيب أرسلان وقاسم أمين وصدقي الزهاوي وشفيق العظم وسواهم. فتأسست نتيجة ذلك جمعيات سرية، وظهرت حركة إعلامية واسعة، تجاذبها تيار إنكليزي دعا إلى الخلافة في مصر (جماعة اللامركزيين) أمثال: رشيد رضا وشفيق العظم، وتيار فرنسي أكد على ضرورة حكم فرنسا للبنان وسوريا (جماعة النهضويين) أمثال: اسكندر عمّون وداوود بركات. وأدى ذلك إلى قيام السلطات العثمانية بتعقّب هؤلاء المفكرين والصحافيين الذين هاجروا إلى مصر[2].

---

(١) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، ص ١٠٠.

(٢) Hicham Sharabi: Arab Intellectuel and the West, the Formative Years, 1875-1914, p. 9.

المرحلة الثالثة

وأدى ذلك فيما بعد إلى تبلور المرحلة الثالثة للتحرك السياسي العربي، فنشط التيار التقدمي بزعامة عبد الرحمن الكواكبي الذي رفض كل أنواع الظلم والاستبداد للدولة العثمانية، ودعا إلى إلغاء الخلافة العثمانية. نتيجة ذلك ازداد الكره والعداء بين العرب والأتراك. وتجلى ذلك بحملة المداهمات والاعتقالات وتعليق المشانق في بيروت وبعلبك ودمشق التي نفذها الوالي التركي جمال باشا ما بين عامي ١٩١٥-١٩١٦.

ومع هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى أمام الحلفاء، انتهى دورها في حمل لواء الإسلام، وذلك بسبب سياسة الاتحاديين، الذين حاولوا إدخال العرب في الدعوة الطورانية، وظهور تيار استعماري (فرنسي - إنكليزي) عمل بفكر قومي ليبرالي تقدّمي من أجل شَرذمة الإمبراطورية العثمانية وتفتيت البلاد العربية لتصبح فريسة للمطامع الأجنبية. ولقد علّق العرب الآمال على إنكلترا وفرنسا، من أجل صنع نهضة، وبناء مملكة عربية. فأسلموا قيادة أمرهم إلى ضابط إنكليزي، عُرِف بـ (لورانس العرب)[1]. فقاد ثورتهم (ثورة الشريف حسين ١٩١٤). ووضعوا كل إمكانيّاتهم في تصرّفه، وشنّوا حربًا على الجيش العثماني في شبه الجزيرة، حتى وصلوا إلى دمشق، ثم يمّموا وجههم شطر فلسطين، حتى خليج العقبة، كل ذلك من أجل التحرُّر من الحكم العثماني. وبعد انتهاء الثورة فوجئ العرب بمعاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦. حيث بدأت تظهر التناقضات السياسية بعد دخول الأمير فيصل سوريا، وإعلانه الحكومة العربية في لبنان، وقيام فرنسا بإلغاء الحكومة وإنهاء الحكم العربي فيه. ونشطت من جديد التيارات الفكريّة الليبرالية والتقدُّمية في مصر والعراق وسوريا ولبنان، فظهرت مجموعة من الأحزاب القوميّة: كالحزب الوطني وحزب الوفد وحزب الأهالي والحزب السوري وعصبة

---

(١) يقول لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة: «كان هناك الخداع المرهق الذي اضطرني إلى أن أحمّل نفسي وزر ادعاء قيادة ثورة وطنية لعنصر آخر، بعد أن لبست لها لباسًا لا عهد لي بمثله من قبل، ومع يقيني التام، بأن الوعود التي أطلقناها للعرب، لن تكون لها أيَّة قيمة عمليّة إلّا بمقدار ما سيظهر العرب أنفسهم من قوة». ص٢٥٤-٢٥٥. راجع أيضًا جريدة السفير: مقال الدكتور رضوان السيد ١١/١٠/١٩٩٨.

العمل القومي[1]. هذه الأحزاب كانت في الأصل حركات إصلاحية تابعة لنوادٍ ثقافية وجمعيات سرّية، وقفت ضد سياسة التتريك، وعادت لتقف من جديد، بوجه الاستعمار الفرنسي والإنكليزي من أجل نيل الاستقلال.

والواقع أن الوعي القومي العربي الذي تشكّل من خلال الجمعيات السرّيّة التي نشطت ضد الطورانية عاد من جديد لمواجهة فرنسا وإنكلترا. وأعطى صورًا رائعة للمقاومة العربية ضد السلطات الفرنسية والإنكليزية، إضافة إلى التحرك الدبلوماسي النشط للأمير فيصل في مؤتمر الصلح (١٩١٩)، حيث ظهرت الانقسامات بين الحلفاء، مما دعا إلى تشكيل لجنة كينغ-كراين لتقرير نوعية الحكم في البلاد العربية[2].

وعقد المؤتمر السوري العام سنة ١٩٢٠، وتوّج الأمير فيصل ملكًا على سوريا الكبرى، فقام بالاتصال مع أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان، للعمل من أجل استقلال لبنان، وتوسيع حدوده وملاحقة مطالبه داخل عصبة الأمم ومؤتمر الصلح.

ولكن فرنسا سارعت إلى عقد مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) مع الحلفاء، وتقرر على أثر ذلك إعلان الانتداب الفرنسي - الإنكليزي على البلاد العربية، فكان الردّ اللبناني بإثارة قضية (الميثاق الوطني أو المضبطة). وسارعت فرنسا إلى التحرك العسكري ضد الأمير فيصل، فأرسل غورو إنذاره إلى الملك فيصل ليسمح للقطع الفرنسية الحربية بالعبور إلى كيليكيا. ولكن رغم تلبية الملك فيصل للمطالب دارت معركة ميسلون التي أنهت الحكم الفيصلي في سوريا التي وقعت تحت الانتداب الفرنسي. ولقد أدّى ذلك إلى قيام الثورات في حلب واللاذقية.

وانتقل الحكم في سوريا ولبنان من غورو إلى ويغان الذي اتسم حكمه بالفوضى والاضطراب وسوء الأوضاع الاقتصادية. وأنشأت فرنسا مصرف سورية ولبنان لتحويل الذهب الموجود في البلاد إلى أوراق نقدية، فانخفضت قيمة الليرة الذهبية.. ولم يكن حكم ساراي أفضل ممن سبقه خاصة بعد أن اندلعت الثورات في جبل الدروز وجبال العلويين ودمشق.

---

(١) أمين الريحاني: القوميات. ج ١-٢، ص ٣١ - ٩٢.
(٢) Howard: the King-Crane Commission, P. 9.

هذه الأحداث السياسية التي رافقت عصر عارف النعماني، تبين مدى أهمية المرحلة التي عاصرها، إنّها مرحلة عصر النهضة واليقظة العربية التي تعني التغيير الجذري في الواقع السياسي والاجتماعي والفكري للبنان وللبلاد العربية، فقضت على الحكم العثماني، وانتقل فيها حكم سوريا ولبنان إلى الأمير فيصل، ومن ثَمّ رزحا تحت الانتداب الفرنسي.

إذن فقد شكّلت مجموعة الاستحقاقات السياسية الخطيرة حياة عارف النعماني ورفاقه من قادة الأمة العربية، وزعمائها ومفكريها، فتجاذبتهم المصالح الاستعمارية، ضمن جمعيات وأحزاب سرّيّة، وتيارات فكرية ونظريات سياسية وحركات إعلامية.

وسط هذه الأوضاع السياسية عاش عارف النعماني مستقطبًا الحركة الوطنية في بيروت، متفاعلًا مع المستجدّات السياسية العثمانية والفيصلية والفرنسية، منسّقًا الحدث السياسي حتى مع الإنكليز، بهدف الوصول بلبنان إلى بر الأمان، أي إلى الاستقلال. ولكن ما أصعب ضياع الاستقلال، وانتقال الوطن من حكم عثماني مستبدٍّ، إلى حكم فرنسي غريب عن المحيط العربي، حارب بقسوة أماني زعماء العرب بالوحدة والاستقلال.

ولا يغفل عن بالنا مدى اتصال عارف النعماني بالأمير فيصل، وسعيه من أجل الوحدة واستقلال لبنان. فانعكس ذلك سلبًا عليه، لأنّ المخطّط الأجنبي كان يهدف إلى القضاء على فيصل وكل دعاة الوحدة العربية...

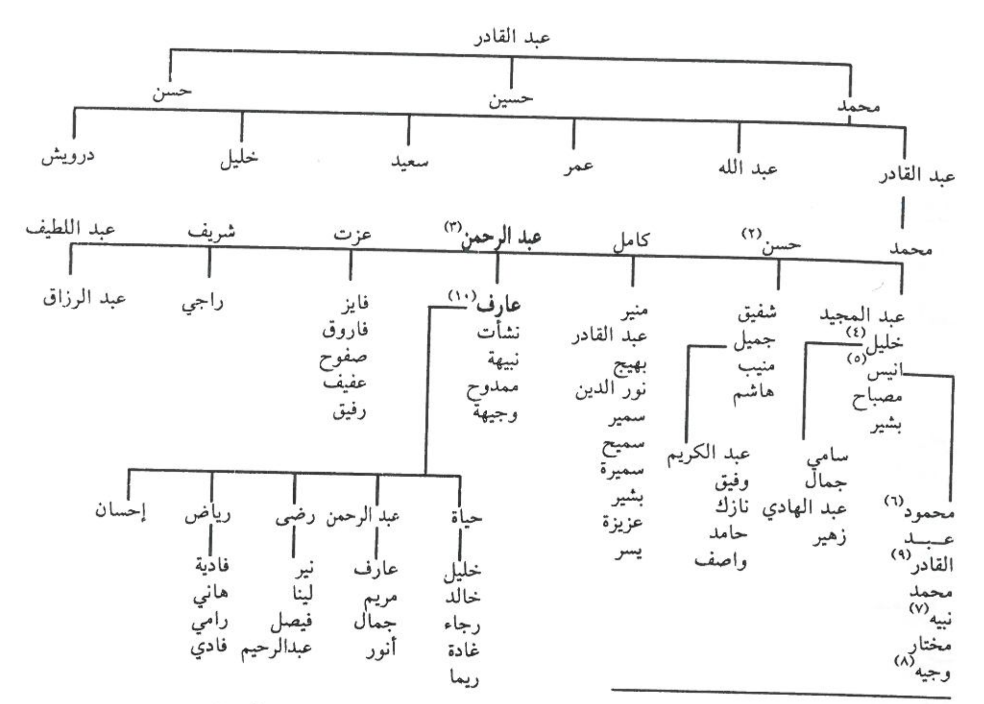
إذن عارف النعماني كان يعمل بعكس المخطّط الدولي الاستعماري للمنطقة العربية، لذا ليس غريبًا، وأمام تحدّيه وعناده وصلابته ومقاومته للقوى الاستعمارية، أن ينهار سياسيًّا واقتصاديًّا. ويقضى على كافّة مشاريعه ونشاطاته... علمًا بأن عصر عارف النعماني، كان عصر الليبرالية العربية. ولكن هل كانت هذه الليبرالية متواطئة مع الأصل الأوروبي، ذلك الأصل الذي أنساها أوطانها؟ ولماذا استحال على روّاد عصر النهضة وزعمائها التوفيق بين صلابتهم الحداثية، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، ممّا أدى إلى فشل الثورة العربية الكبرى، وضياعها عن الهدف الاستقلالي، وضياع أماني زعمائها، أمثال عارف النعماني، بنيل الحرية والاستقلال والسقوط في الخداع والانخداع ووعد بلفور؟

ترى هل كانت محاولات الإصلاح تحريضًا وتعبئة للقوى السياسية الوطنية، بحيث لم تستطع الاستغناء عن المستعمِر، وَكشف خداعه وألاعيبه[1]؟

يبقى أن نتتبع مراحل كفاح عارف النعماني في الصفحات التالية، وبشكل مفصّل ودقيق، معتمدين في ذلك على مذكراته الشخصية التي دوّنها آنذاك الأديب محمد قره علي، وتم نشرها في جريدة الحياة في ١٩ شباط سنة ١٩٥٣. بالإضافة إلى المصادر والمراجع التاريخية التي وثّقت لهذا العصر، وأيضًا المقابلات الشخصية، والوثائق والرسائل التي كانت لديه.

(١) من مراسلات الشريف حسين - ونائب بريطانيا في الهند إذ يستوضح فيها الشريف حسين عن الانقلاب السياسي الذي ضاعف من حزن العرب مما اعترى عهودهم، مع العظمة البريطانية بشأن استقلالهم، وفي ذلك يقول نائب جلالة الملك في مصر: «إن حكومة بريطانيا قد فوّضت لي أن أبلّغ دولتكم، أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا لا تنوي إبرام أيّ صلح كان، ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من الألمان والأتراك». راجع: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠). راجع أيضًا مقال رضوان السيد: جريدة السفير ١١/١٠/١٩٩٨.

شجرة نسب آل النعماني[1]



(١) راجع لوحة شجرة نسب آل النعماني الموجودة في منزل عبد الستار النعماني.
(٢) حسن النعماني: تاجر مال قبان، وعضو في جمعية بيروت الإصلاحية التي تأسست سنة ١٩١٣. راجع حسان حلاق: جمعية بيروت الإصلاحية، ص ١٣.
(٣) عبد الرحمن النعماني: تاجر مينفاتورة. اهتم أبو عارف بكل ما يعود على أهل بيروت بالخير، فساهم ماديًّا ومعنويًّا في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في مدينة بيروت سنة ١٢٩٦هـ من أجل إنشاء مدارس مجانية للإناث والذكور، فكان من أعضائها الدائمين أثناء رئاسة عبد القادر القباني وحسن محرم (راجع: الفجر الصادق، ص ٣٣).
(٤) خليل النعماني: مدير البلاط الملكي للملك فيصل أثناء حكمه لسوريا.
(٥) أنيس النعماني: مدير محل عارف النعماني في حلب.
(٦) محمود النعماني: اهتم بمشاريع عارف النعماني في العراق.
(٧) نبيه النعماني: مدير محلات عارف النعماني في ميلانو. مدير بنك مصر لبنان في بيروت.
(٨) وجيه النعماني: خريج مدارس اللاييك الفرنسية، نال شهادة العلوم التجارية من الجامعة الأميركية في بيروت. استلم المحاسبة في محل عارف النعماني في الإسكندرية، وكان يدير أوتيل كارلتون في بغداد من سنة ١٩٢٤-١٩٣١. ولقد زوّدني بالكثير من المعلومات عن عارف النعماني. يعمل حاليًّا بالترجمة وخبيرًا محلّفًا لدى المحاكم، وعضوًا في اتحاد المصارف العربية.
(٩) عبد القادر النعماني: خريج جامعتي سيراكيوز وكورنال في أميركا. عميد في الجامعة الأميركية في القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٦٦. رئيس البعثة الثقافية الكويتية في القاهرة (بيت الكويت).
(١٠) عارف النعماني زوجته شفيقة كنفاني. أصهرته: ابراهيم عرب وحسني مقدادي.

أصله ونسبه

عارف النعماني[١] من عائلات بيروت العريقة، والده عبد الرحمن، أحد كبار تجار بيروت المعروفين آنذاك الذين ارتبطوا مع آل بيهم في تجارة بالات القطن المستورد من مانشستر في إنكلترا. فعملوا بالتجارة ما بين بيروت والقاهرة. وكانت لهم محلات في خان فخري بك ومحل آخر في سوق الطويلة.

ولد عارف النعماني سنة ١٨٨٢ في مدينة بيروت، وتلقى علومه في مدارس البروسيا الألمانية واليسوعية، ومن أساتذته الأب لامنس[٢].

عاش عارف النعماني في قصر والده عبد الرحمن الواقع ضمن منطقة حوض الولاية في البسطة التحتا، محتلًا درجة عالية من العز والبحبوحة والمكانة المميزة. فلقد كان القصر مقصدًا لوالي بيروت العثماني ولسادة القوم من أهل بيروت واسطنبول والبلاد العربية. ونظرًا لمكانة تلك العائلة البيروتية، طلب الوالي من أبي عارف، وبناء لرغبة جمال باشا، إرسال الأخت الصغرى لأبي عارف إلى اسطنبول لمدة سنتين لتنال شهادة تؤهلها لتصبح مديرة في مدارس الدولة العثمانية في بيروت. وهذا الأمر طبعًا يدخل ضمن سياسة التتريك التي بدأت تركيا فرضها على الولايات العربية التابعة لحكمها.

هذا الطلب وضع عائلة النعماني في حالة من الضيق والحرج لأن طبيعة

(١) «آل النعماني، يتحدرون من بني السراج أمراء الأندلس التي هجروها بعد الاحتلال الأسباني. فنزلوا مدينة الساقية الحمراء في المغرب. ويذكر أن شقيقين من بني السراج وفد أحدهما إلى بيروت والآخر توجه إلى الهند. ومن الشقيق الذي وفد إلى بيروت ظهرت خمس عائلات غلبت ألقابها على الاسم الأساسي لبني السراج وهذه العائلات: آل علم الدين وآل قليلات وآل الحاسبيني وآل النعماني، وسبب تسمية النعماني أن أحد أبناء العائلة كان يحمل البريد بين بيروت وصيدا، وفي بلدة الناعمة كان يستبدل حصانه. وهناك وقع في حب إحدى الحسناوات، فصار يشار إليه بقولهم: "هذا الناعماني" نسبة إلى بلدة الناعمة التي فيها حبيبته».
دراسة للسيد نعيم رشيد النعماني، بيروت ٢٤ حزيران ١٩٩٧.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).

الحياة الاجتماعية الإسلامية في بيروت كانت تمنع خروج الفتاة إلّا للضرورة وبرفقة أهلها. كما كان الزواج أهم بكثير من العلم والسفر إلى الخارج لطلب العلم، ولكن أمام بطش جمال باشا ورهبته رضيت العائلة، وسافرت فوزية التي كان لها من العمر آنذاك ١٦ سنة مع سكينة شاتيلا وعطية المالح[١].

ممّا تقدم نلاحظ المكانة الاجتماعية التي كانت تتمتع بها تلك العائلة والتي لم يكن ينافسها فيها إلّا الوالي العثماني. فعلى سبيل المثال، كان في بيروت عربتان فقط، واحدة للوالي والثانية لأبي عارف، لذا كان أبو عارف محطّ أنظار الناس آنذاك[٢].

وسط هذه الأجواء المميزة لآل النعماني، ومن خلال المكانة العالية للأسرة، واتصالها بالولاة والزعماء، وجد عارف النعماني السبل كافة ممهدة ومفتوحة أمامه لدخول معترك الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من بابها الواسع. فسلكها وفاق والده حتى إنه بات حديث أهل زمانه في الغنى والإحسان، فلم تعرض قضية سياسية أو مالية إلا وكان حلّها عند عارف، ولم تكن ضائقة إلا وفرجها عند عارف. وقد بلغ من الطموح والفكر الناهض الذي لا يعرف الفشل حدًّا يعجز الإنسان العادي عن تفسيره. مقابل ذلك نجده يُدخل أول سيارة فورد موديل T إلى لبنان[٣]، ويمتلك القصور[٤]، ويشتري أول باخرة إلى البلاد العربية ويسميها «الرياض» ويهديها للشريف حسين[٥].

(١) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٩٩٦.

(٢) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٩٩٦.

(٣) راجع ريبورتاج مجلة الحسناء حول هذا الموضوع.

(٤) امتلك عارف النعماني القصور في بيروت في منطقة حوض الولاية وفي الجبل في سوق الغرب قرب فندق الحجار. أما في الإسكندرية فكان له قصر في شارع محرم بيك، وقد استضاف فيه ممثل الحكومة البريطانية، لأنه لم يكن هناك من قصر آنذاك يليق بمكانته سوى قصر عارف النعماني.
(مقابلة مع السيد عبد الرحمن عارف النعماني بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٩٩٧).

(٥) المصدر نفسه.

الفصل الثاني

تحرّكه السياسي في بيروت

بدأ التحرك السياسي لعارف النعماني في بيروت ضمن مرحلة زمنية تمتد من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٤. وكانت أوضاع لبنان السياسية آنذاك تخضع جبل لبنان لحكم متصرف أجنبي عثماني يتبع مباشرة للسلطان التركي. أما ما تبقى فشأنه شأن باقي الدول العربية في الخضوع لولاة الدولة العثمانية[1].

ولكن منذ مطلع القرن التاسع عشر، بدأت الإمبراطورية العثمانية تتعرض لاحتكاك عسكري وفكري وسياسي وثقافي مع أوروبا. فظهرت حركات استقلالية (بلغاريا) واحتلالية (مصر، ليبيا، عدن، البحرين) وسيطرت النمسا على البوسنة والهرسك. وانتشرت الإرساليات التبشيرية والتربوية، وظهر الاهتمام بالصحافة، والترجمة، وأُدخلت المطابع، وتأسست الجمعيات الثقافية العلمية[2]. وفي المقابل، كانت الدولة العثمانية في حالة تخلّف سياسي وجمود فكري، فانعكس ذلك ظلمًا واستبدادًا وعزلة على أوضاع البلاد العربية. وبدأ المفكرون العرب الذين درسوا في جامعات أوروبا بمحاولة النهوض بالدولة العثمانية، من خلال إصلاح الأوضاع الدينية والسياسية.

لقد لاحظ العديد من المفكرين في دراستهم للشرق في القرن التاسع عشر أن هناك جمودًا في الفكر الديني، وضلالات، وحركات صوفية وسلطة تشريعية دينية تدعم السلطان العثماني إلى درجة جعلته ظل الله على الأرض. وقد أدى ذلك إلى

---

(١) أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٣٥.
لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان، ص ١٦-٢٧.
Segretaria di Serdigna Cart 229, Villanis à cavour cité par M. Ismail. Le Liban sous les Mutasarrifs - cit. p.176.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: تطور الحركة القومية، وتطور نظام الحكم في مصر، عصر محمد علي، ج ٣، ص ٤٥٢. محمد بديع شريف: دراسات تاريخية في النهضة الحديثة، ص ٨٠.

ظهور بعض الحركات الدينية التقليدية والمتأثرة بفكر ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨م) عملت على إعادة الإسلام إلى نقائه الأول وإزالة كل ما علق به من شوائب. فظهرت الحركة الشوكانية[١]، والألوسيان[٢]، والسنوسية[٣]، والمهدية[٤]، والوهابية[٥]. وتبعها تحرك ديني سلفي، طالب بتطوير الدين الإسلامي وضرورة محاكاته للتطور الحاصل في الغرب (الشيخ رفاعة الطهطاوي، الشيخ محمد عبده، الشيخ جمال الدين الأفغاني، الشيخ رشيد رضا).

أما الإصلاح السياسي فظهر من خلال جمعيات وأحزاب وصحافة سرّيّة وعلنية عملت من أجل النهوض بالدولة العثمانية، وانتهت بالقضاء عليها، وقد ساعدتها قوى فرنسية تعمل على توحيد سوريا وربطها بوصاية أو انتداب، وقوى إنكليزية كانت تعمل من أجل توحيد سوريا تحت حكم الشريف حسين[٦]. ولقد تمكنت تلك القوى من خلال طرح شعارات الحرية والقومية والعقلانية من استعمار البلاد العربية في بداية القرن العشرين. وذلك ضمن خطة استراتيجية سياسية عملت في اتجاهين:

الاتجاه الأول: تحرُّك العرب ضد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني الذي علّق الدستور وحكم حكمًا استبداديًّا، فطالب أعضاء الرابطة العثمانية، والجامعة الإسلامية اللامركزية بالإصلاح وإقامة مملكة إسلامية عثمانية.

الاتجاه الثاني: الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، وظهور القومية التركية التي رد عليها العرب بظهور تيار الوطنية الإقليمية، وتيار القومية العربية الداعي إلى رفض الخلافة العثمانية، والثورة عليها والانفصال عنها.

(١) **الشوكانية:** ظهرت في اليمن سنة ١٧٦٠، وتنسب إلى محمد الشوكاني. راجع كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ص ٣٠-٣٤.
(٢) **الألوسيان:** أبو الثناء شهاب الدين محمد شكري. ظهر أبو الثناء في بغداد سنة ١٩٠٢. اتخذ موقفًا ضد التصوف.
(٣) **السنوسية:** نسبة إلى محمد بن علي السنوسي، ولد في ليبيا سنة ١٧٨٧، أسس الزوايا لنشر المعرفة.
(٤) **المهدية:** نسبة إلى المهدي بن أحمد، ولد في السودان، جاهد ضد الإنكليز.
(٥) **الوهابية:** نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب، ولد في الحجاز، تشدد ضد الفساد الديني.
(٦) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج ١، ص ٩٣.

وسط هذه الاتجاهات السياسية المسيطرة على ولايات الأمبراطورية العثمانية بدأ عارف النعماني تحركه السياسي سنة ١٩٠٨ أي بعد نجاح الانقلاب العسكري على يد الضباط العثمانيين التابعين لجمعية الاتحاد والترقي[١]. وسبب ذلك أن السلطان عبد الحميد الثاني عطّل الدستور سنة ١٨٧٦، فانقسم المصلحون العثمانيون إلى فريقين: فريق يدعو إلى اللامركزية في حكم الولايات التابعة لتركيا وإدارتها، وفريق يدعو إلى المركزية، وهؤلاء أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني واستولوا على الحكم[٢].

موقفه من جمعية الاتحاد والترقي

نتيجة هذه الأوضاع السياسيّة المستجدّة أمل زعماء بيروت، ومنهم عارف النعماني، بتبديل السياسية السائدة للأتراك وإعطاء الولايات العربية حقوقها. فبعد إعلان (المشروطية)[٣] أعيد تشكيل الهيئة الإدارية لجمعية الاتحاد والترقي في الآستانة، بعضوية السادة: شفيق المؤيّد وندرة المطران وحقي العظم وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ورضا الصلح وحسين حيدر وعبد الوهاب الإنكليزي، وتبع ذلك فتح فروع للجمعية في أنحاء الولايات العربية كافة. ففتح فرع لها في بيروت برئاسة السيد حسن الأسير وعضوية عارف النعماني ومجموعة من الشباب البيروتي المتحمس للإصلاح في ظل الدولة العثمانية. وكان مركز الجمعية في ساحة البرج، بناية أوتيل سنترال. ولقد استقطب مركز الجمعية العديد من الخطباء ورجال الفكر[٤] أمثال الشيخ مصطفى الغلاييني[٥].

(١) **جمعية الاتحاد والترقي:** انبثقت هذه الجمعية عن المجمع الماسوني في سالونيك الذي عقد سنة ١٩٠٨. وكان من نتائجه، وصول الاتحاديين إلى الحكم بعد نجاح الانقلاب على السلطان عبد الحميد، وإحراق مدينة أضنة، وذبح حوالي ٢٠ ألف أرمني، وإزاله كيليكيا الأرمنية، وتعليق المشانق في لبنان وسوريا، ورفض الحكم الذاتي لكردستان والانتداب العسكري الأجنبي الذي فرض على الدول العربية، وأخيرًا خلق الكيان الصهيوني في فلسطين. راجع: لوسيان كوفرو ديماس: العار الصهيوني آفاقة وكوارثه، ص ٣٣، وقارن به: أسعد السحمراني: الماسونية نشأتها وأهدافها، ص ١١٤-١١٥.
(٢) سعيد أمين: الثورة العربية، مج ١، ص ١٤.
(٣) **المشروطية:** تعني: اذا كان الحكم مطلقًا يصبح مشروطًا بالدستور.
(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).
(٥) **الشيخ مصطفى الغلاييني:** من مفكري بيروت الذين اهتمّوا بجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد.

وعاد التناحر بين المصلحين العثمانيين من خلال جمعية الاتحاد والترقي (الحكم المركزي)، وجمعية الحرية والائتلاف[1] (الحكم اللامركزي) التي فتحت فروعًا لها في بيروت ودمشق. وقد لقيت جمعية الاتحاد والترقي المعارضة في بيروت من قِبَل المشايخ[2].

والواقع أن معارضة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) لم يقم بها فقط أعضاء جمعية الحرية والائتلاف والمشايخ، بل شملت حلفاء السلطان عبد الحميد الثاني الذين قاموا بالتمرد والعصيان سنة ١٩٠٩ في تركيا. وقد أدى ذلك إلى كره الاتحاديين للعرب المتضامنين مع اللامركزيين (جمعية الحرية والائتلاف) فأبعد العرب نتيجة ذلك عن بعض وظائف السلك الخارجي وظهر الخلل في التمثيل النيابي: ٤ نواب من العرب مقابل ٤٠ من العثمانيين وواليان عربيان مقابل ٢٤ واليًا تركيًا. وعيّن في السلك القنصلي عربي واحد فقط[3]. ونادى الاتحاديون بسياسة التتريك التي تقوم على أسس طورانية وقومية تركية. وصادف أن وصل إلى الوزارة مجموعة من يهود الدونما الذين يكنّون العداء للعرب.

هذه الأوضاع السياسية والإدارية المستجدة دعت الأعضاء العزب المنتسبين إلى جمعية الاتحاد والترقي في الآستانة إلى الاجتماع في حي (بلي أوغلو) في مسرح (فاريتيه) للانسحاب من الجمعية، وتأسيس جمعية (الإخاء العربي - العثماني) وإصدار جريدة (الإخاء التركي). وقام الشيخ رشيد رضا وحقي العظم وعبد الغني العريسي بالاجتماع بأعضاء جمعية الاتحاد والترقي في بيروت ودمشق وبغداد، لمعرفة حقيقة هذه الجمعية التي انقلبت ضد العرب[4].

إذن في هذه الفترة نلاحظ أن عارف النعماني، اشتغل مع الاتحاديين، وبعد

---

(١) **جمعية الحرية والائتلاف**: انبثقت عن جمعية الكتلة النيابية التي أسست سنة ١٩١١، وضمّت نوابًا في مجلس المبعوثين. ثم دخلها نواب من الأرمن، فظهرت جمعية الحرية والائتلاف اللامركزية. راجع: علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤، ص ١٧.

(٢) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٩٩.

(٣) K. Khairallah: La question du Liban, PP. 43 - 44.

(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٣).

أن ظهرت نواياهم تجاه العرب انضم إلى جمعية (الإخاء العربي - العثماني) التي كانت النواة الأولى للوحدة العربية والاستقلال عن الدولة العثمانية- كما يذكر النعماني- وإن كان لسان حال منشورتها جريدة الإخاء التركي، يدعو إلى الإصلاح والمحافظة على حقوق الولايات العربية داخل الإمبراطورية العثمانية. هذا التناقض بين الاستقلال والوحدة العربية من جهة، والإصلاح مع التمسك بالدولة العثمانية من جهة ثانية، انتهى بأن أصدرت الحكومة التركية أمرًا بإلغاء الجمعية، وإقفال جميع فروعها، وتعطيل الجريدة[1].

إثر ذلك اجتمع في الآستانة سنة ١٩٠٩ السادة: عبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل وسيف الدين الخطيب ورفيق سلّوم ويوسف سليمان حيدر وجميل الحسيني وشفيق المؤيد ورضا الصلح ورشيد رضا وحقي ورفيق العظم وندرة ونخلة المطران وحسين حيدر وشفيق هولو باشا وعزت الجندي ورشدي الشمعة، فقاموا بتأسيس جمعية ومجلة (المنتدى الأدبي) برئاسة عبد الكريم الخليل، وصدرت جريدة (الحضارة) لصاحبها عبد الحميد الزهراوي[2]، لكن العثمانيين سرعان ما أغلقوا الجمعية ومنعوا المجلة والجريدة من الصدور[3].

واضح هنا أن جمعيتي (الإخاء العربي - العثماني) وجمعية (المنتدى العربي) والجرائد والمجلات الصادرة عنهما قد شكّلت معارضة علنية لسياسة الدولة العثمانية التي قامت بالتتريك، فظهرت كردة فعل، بوادر القومية العربية التي استلهمها زعماء العرب من الفكر الغربي. ولكن البعد السياسي للفكر القومي العربي لم يكن واضحًا، وإنما كان متأرجحًا بين المركزية واللامركزية مع الخلافة العثمانية وبين الانفصال والثورة والاستقلال عنها. ويبدو ذلك واضحًا في تأسيس العديد من الجمعيات العربية السرية: كالجمعية القحطانية[4] وحزب اللامركزية العثماني[5] وجمعية العربية

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٣) سعيد أمين: الثورة العربية، مج ١، ص ٨.

(٤) **الجمعية القحطانية**: (سرّيّة) أسّسها عبد الكريم الخليل، وكانت غايتها تأليف مملكه عربية عثمانية.

(٥) **حزب اللامركزية العثماني**: (سرّي) أسس سنة ١٩١٢ في مصر، ضم: رفيق العظم وطاهر الجزائري، وله فروع في الشام والعراق، وهو ضد جمعية الاتحاد والترقي.

الفتاة[١] وجمعية العهد[٢]. اما الجمعيات العلنية فهي: جمعية الجامعة العربية[٣] وجمعية العلم الأخضر[٤] والجمعية العمومية الإصلاحية البيروتية[٥] وجمعية البصرة الإصلاحية[٦].

بدأت هذه الجمعيات، السرّيّة منها والعلنيّة، بالمعارضة والمقاومة، وعقد المؤتمرات الدولية ضمن اتجاهات سياسية مختلفة تدعو حينًا إلى اللامركزية وأحيانًا إلى إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية وإنشاء مملكة حجازية سورية للشريف حسين تحت الوصاية الإنكليزية، أو إعلان الثورة على الحكم العثماني وطلب الحماية الفرنسية.

إذن الجمعيات العربية عملت من أجل تحقيق اللامركزية والإصلاحات، ولكن السياسة الاستعمارية استغلّتها لتحقيق مآربها في القضاء على الإمبراطورية العثمانية واحتلال الدول العربية التابعة لها.

ففي بيروت ظهرت المقاومة العلنية لسياسة الأتراك من خلال جمعية الإصلاح البيروتية[٧] والتي ضمت الأسر اللبنانية المسلمة والمسيحية. وكان

---

(١) **جمعية العربية الفتاة:** (سرّيّة) أسسها سنة ١٩١١ طلبة عرب في الآستانة، وكان مركزها باريس. طالبت باللامركزية، وفيما بعد نُقلت إلى بيروت ثم دمشق. أعدم جمال باشا عددًا كبيرًا من أعضائها. واتصلت بالأمير فيصل فيما بعد.

(٢) **جمعية العهد:** (سرّيّة) تأسست ١٩١٣. رئيسها الضابط عزيز علي المصري الذي دعا إلى اللامركزية. انتهت بنفيه وإعدام الأعضاء سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ.

(٣) **جمعية الجامعة العربية:** (علنيّة) أُسست سنة ١٩١٠، رئيسها الشيخ رشيد رضا. كان هدفها إقامة حلف بين أمراء شبه الجزيرة العربية.

(٤) **جمعية العلم الأخضر:** (علنيّة) أسّسها الطلبة العرب في الآستانة سنة ١٩١٢. أصدرت جريدة لسان العرب.

(٥) **الجمعية العمومية الإصلاحية البيروتية:** (علنيّة) أُسست سنة ١٩١٣ عند وصول الحزب اللامركزي (جمعية الحرية والائتلاف) إلى الحكم، فوضعت لائحة بمطالبها.

(٦) **جمعية البصرة الإصلاحية:** (علنية) أسسها طالب باشا النقيب، وكان مواليًا للمركزيين. أصدرت جريدة النهضة.

(٧) **جمعية بيروت الإصلاحية:** ظهرت عندما اتفق المسلم والمسيحي على العمل من أجل لبنان، ناضلت في سبيل الإصلاح لمدة شهرين. أقفلها الأتراك ثم أعادوا فتحها. تألفت من ١٢ عضوًا مسلمًا و١٢ عضوًا مسيحيًا. وكان مركزها باب ادريس في نادي الحرية والائتلاف. وتضيف السيدة يسر كامل الصلح نقلًا عن الوثائق الفرنسيّة: «بأن كامل الصلح كان على رأس جمعية بيروت الإصلاحية، حيث قدمه السيد سليم أفندي سلام (المستقيل من تسميته من جديد=

عارف النعماني من أعضائها[١]. والواقع أن جمعية الإصلاح البيروتية حققت بعض الإصلاحات والمكاسب في الوظائف العامة أثناء حكم اللامركزية (جمعية الحرية والائتلاف). ولكن بعد عودة الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) إلى الحكم عادت الجمعية للمطالبة بالمزيد من الإصلاحات، فردّ الاتحاديون بإغلاق الجمعية والنادي[٢].

وكان رد أهل بيروت إقفال المحلات التجارية. فقامت السلطات العثمانية بتطويق بيوت آل الصلح في منطقة البسطة الفوقا بالجنود. وتوسط الضابط التركي عزمي بك مع كامل الصلح لحل قضية إضراب بيروت، وطلب كامل ورضا ومنح الصلح إعادة فتح الجمعية الإصلاحية فوعدهم خيرًا[٣].

هذه المواقف التعسفية للأتراك حركت الجمعيات والمنظمات والأحزاب العربية السرّيّة والعلنيّة، لعقد المؤتمر العربي الأوّل في ١٨ حزيران ١٩١٣ بدعوة من جمعية العربية الفتاة والتي كان مركزها باريس. ولقد ضمت مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في فرنسا، وشكّلت لجنة تحضيرية للمؤتمر[٤].

وُجّهت الدعوات لحضور المؤتمر إلى حزب اللامركزية العثماني في مصر

=عضوًا إداريًا، استشاريًّا للدولة، كضغط على الدولة لتنفيذ المطالب) إلى الوالي عزمي بك، وتحدث كامل بك الصلح (نائب سابق) باسم ممثلي الجمعية (اللجنة) الإصلاحيّة (جمعية بيروت الإصلاحية) والمنتخبين من مختلف المذاهب، مقدّمًا ثلاثة نماذج من مشروع الإصلاحات الموضوع من قبل الأعضاء. وتمنّى كامل بك الصلح من جلالة الوالي دراسة المشروع وإيصال نسختين: واحدة إلى الصدر الأعظم والثانية إلى وزير الداخليّة».

Documents diplomatiques et consulaires – Annexe à la dépêche N°62 du 17 Mars 1913, p.358 – 359.

- مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.
- راجع أيضًا: حسان حلّاق: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ص ١٦ - ١٧.

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).

(٢) جريدة المفيد: عدد ٨، تاريخ ٩ نيسان ١٩١٣.

(٣) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.

(٤) تألفت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من السادة: شكري غانم وعبد الغني العريسي وعبد الحميد الزهراوي ومحمد المحمصاني وندره المطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وجميل فرام وجميل معلوف وسليم علي سلام واسكندر عمّون.

والمنتدى الأدبي وجمعية بيروت الإصلاحية[١] وجمعية البصرة الإصلاحية وجمعية النهضة اللبنانية وإلى جميع المهاجرين العرب في الأميركيتين.

تناولت أبحاث المؤتمر قضية اللامركزية القائمة على الإصلاح والقضاء على الفساد في الدولة العثمانية، مع التأكيد على عدم الرغبة بالانفصال عن تركيا. واهتمت الأبحاث أيضًا بطرح موضوع القومية العربية، والاستعاضة عن الرابط الديني بالرابط القومي[٢]. وانتهى المؤتمر العربي الأول باتخاذ القرارات التالية:

١- المطالبة بالإصلاحات ورفض الاحتلال الأجنبي.
٢- مشاركة تركيا في الإدارة والدفاع والمال والشؤون الخارجية.
٣- جعل قضية التجنيد والخدمة العسكرية محلية وداخل الولاية.
٤- مطالبة الأرمن باللامركزية.
٥- المطالبة بأموال متصرفية جبل لبنان.
٦- جعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد.
٧- الحد من سلطة المجالس العمومية في بيروت، والمطالبة بمستشارين أجانب، وتشكيل إدارة مركزية في كل ولاية[٣].

واشترط أعضاء المؤتمر تنفيذ هذه البنود، وإلا فإنهم سيضطرون إلى مقاطعة جميع مناصب الدولة العثمانية، فلجأت تركيا إلى المفاوضة.

إذن إهمال الدولة العثمانية لمطالب الولايات العربية، ونشاط الإعلام والأحزاب الوطنية المدعومة من الدول الأجنبية والتي طرحت أفكارًا رائعة عن الاستقلال والقومية والحرية، كل ذلك دفع العرب إلى عقد المؤتمر العربي الأول في باريس. فكان لمقرراته صداها الخطير على صعيد العلاقات العربية - التركية والعربية - الأجنبية. وبالرغم من تأكيد العرب على عدم الرغبة في الانفصال، والمطالبة بالإصلاحات فقط، فإن طرح قضية القومية العربية وضرورة إلغاء الرابط

---

(١) ضم الوفد البيروتي إلى المؤتمر العربي الأول في باريس السادة: أحمد مختار بيّهم وسليم علي سلام وخليل زينية وأحمد حسن طبارة وأيوب ثابت.
(٢) علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص ٤٣-٥٨.
(٣) كتاب المؤتمر العربي الأول، ص ١١٣ - ١٢٠؛ أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢٠٦-٢٠٩؛ زين زين: نشوء القومية العربية، ص ١٧٠-١٧١.

الديني واستبدال الرابط القومي به يعني ضمنًا رفض الخلافة العثمانية التي حكمت العرب باسم الدين الإسلامي. إضافة إلى أن دعوة المسلمين للتوجه لدول مسيحية[١] يعني خطوة مهمة لتسهيل الهيمنة الأجنبية. ويؤكد ذلك معارضة شكيب أرسلان لتوجهات المؤتمر[٢] وبخاصة فيما يتعلق بطلب الحماية الفرنسية من قبل جمعية النهضة اللبنانية.

ظهرت نتائج المؤتمر من خلال التحرك السري للجمعيات الإصلاحية واللامركزية في الولايات العربية. وكان المحرك والموجه والمحول مصر. ولقد أشار عارف النعماني إلى ذلك بقوله: «إن ما قام به الأتراك دفع الوطنيين إلى التعامل مع جمعية العهد السرّيّة في مصر، والتي انبثقت منها جمعيات وفروع كثيرة، أشرفت على عملها وإدارتها. كالجمعية الثورية، واتصلت بجمعيات قائمة كالجمعية الإصلاحية لتوجِّهها بقالب سرّي"[٣].

وهكذا تمكّنت جمعية العهد السرّيّة من استقطاب التحرك السياسي العربي، وتوجيهه ضد الأتراك. ودخلت بيروت ضمن التحرك السياسي السرّي لجمعية العهد من خلال جمعيتي الإصلاح واللامركزية[٤] والنادي الأهلي.

رئاسته للنادي الأهلي

وانخرط عارف النعماني في العمل السياسي السرّي. فأسس النادي الأهلي في بيروت سنة ١٩١٤. وانتخب فيما بعد رئيسًا له. وكان للنادي واجهة ثقافية تخفي وراءها تحركًا سريًا لجمعية العهد[٥].

وحقيقة الأمر أن عارف النعماني بات آنذاك زعيمًا وطنيًا لبيروت وقطبًا مهمًا في السياسة اللبنانية. من محلاته في آخر سوق الطويلة، أدار العمليات السياسية

---

(١) Ismail: Documents diplomatiques et consulaires, vol 20, p.p. 104-106.
(٢) كتاب المؤتمر العربي الأول، ص ١٠٨-١١٠.
(٣) محمد قرة علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٤) **جمعية اللامركزيين السرّيّة**: أُسست في بيروت بعضوية السادة: مصطفى سميسمة ونور القاضي وعبد القادر الخرسا ومحمد المحمصاني ومحمود المحمصاني والشاعر عمر حمد. محمد قرة علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٥) المصدر نفسه.

المنوطة به بسرّيّة وهدوء ولباقة. وقد كان متجره في بيروت ملتقى للوطنيين الذين ينقلون إليه الرسائل والتعليمات السياسية السرّيّة التي تصبّ ضمن التحرك السياسي العربي العامّ المناهض للأتراك. وكثيرًا ما لجأ الوطنيون إلى لبس الملاءات والحجاب تمويهًا للعسكر التركي الذي كان يترصدهم في كل مكان. وكثيرًا ما قصدت النساء متجره لنقل رسائل الوطنيين السرّيّة إليه، وتلقّي الدعم المادي منه[1].

وكانت لجمعيات بيروت المنبثقة عن جميعة العهد إشارات وحركات معينة للتعارف بين أعضائها[2] مما يظهر شدة مراقبة الدولة العثمانية. ولكن بالرغم من ذلك كان التحرك السياسي السرّي في بيروت مفعمًا بالإيمان بعودة الخلافة إلى أصحابها الشرعيين. وأكبر دليل على ذلك أن أعضاء جمعية اللامركزيين في بيروت اعتبروا الأمر منتهيًا، فصمموا علَمًا خاصًا بهم[3] وطلبوا من الشاعر خليل مطران وضع نشيد لهم. واتصلوا بأمراء شبه الجزيرة العربية لدعم تحركهم والمشاركة في العمل ضد الدولة التركية. ولقد شكّل هؤلاء فيما بعد القوافل الأولى لشهداء ٦ أيار ١٩١٥.

بالمقابل كان في جبل لبنان تحرك من نوع آخر، يعمل تحت الهيمنة الفرنسية التي زرعت في الجبل منذ العام ١٨٦٠ حب فرنسا وكره الأتراك. لقد هاجمت فرنسا سياسة التتريك، ولكنها نشرت بين أبناء الجبل مقولة هي: "إن لكل إنسان وطنين: وطنه الأصلي وفرنسا"[4]. فكانت جمعية النهضة اللبنانية مثالًا واضحًا لتأثير فرنسا في جبل لبنان ولسانها الناطق من خلال الصحافة اللبنانية التي هيجت الرأي العام وحثّته على الثورة ضد الأتراك وطلب الحماية الفرنسية. وقد أدى ذلك إلى ملاحقة الأتراك لتلك الجرائد وإقفالها، فانتقلت إلى مصر. والملاحَظ هنا أنّه

(١) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح في ١٨/ ٤/ ١٩٩٦.
(٢) إشارات التعارف بين أعضاء الجمعيات البيروتية المنبثقة عن جمعية العهد السرّيّة كانت على درجتين (كلمة «هلال» بتهجئتها حرفًا حرفًا) و(كلمة «أبو بكر» بتهجئتها حرفًا حرفًا) وذلك عند المكالمة. أما في المجالس فكانت إشارة السر وضع إصبعين (السبابة والبنصر) على الذراع اليسرى وإخفاء بقية الأصابع. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٣) العلم العربي مجموعته ثلاث شرائط: سوداء وخضراء وبيضاء، يعلوها زر أحمر يعلق في عروة السترة العليا. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٤) انيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٣.

بالرغم من التناقض الحادّ في التحرك السياسي بين أبناء بيروت وسكان جبل لبنان، فإن الصحافة اللبنانية تمكنت من إيجاد تحالف بين الجمعيات الإصلاحية واللامركزية والأهلية والنهضوية بهدف تحريك الثورة ضد الأتراك[1].

هذه الأجواء المشحونة بالكره للأتراك، جعلت الوضع السياسي الداخلي للبلاد العربية، ومنها لبنان، ينذر بالانفجار الوشيك تجاه أي مبادرة عنف أو قمع من جانب الأتراك الذين تشددوا في مراقبة الوطنيين. رغم أن كافة الجمعيات في لبنان هادنت الأتراك مؤقتًا ريثما تتضح الأوضاع السياسية عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى التي كانت بدايتها مع انتصار تركيا في الدردنيل وكوت العمارة في العراق، وقيام جمال باشا بإنشاء المجلس العرفي في عاليه لمحاكمة الوطنيين بتهمة الانتماء إلى جمعيات تطالب بالاستقلال، وتقوم بمراسلة الدول الأجنبية وتلقّي معونات منها. وقد أدى ذلك إلى استشهاد العديد من اللبنانيين والسوريين[2] والحكم بالموت غيابيًّا على مجموعة أخرى منهم[3].

وتابع جمال باشا سياسته في قمع الوطنيين، فأغلق النوادي والجمعيات في بيروت ومنها النادي الأهلي الذي ختم بالشمع الأحمر واعتقل رئيسه عارف النعماني وسيق من كان فيه للتحقيق. وقد حرص عارف النعماني على إخفاء سجلّ

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٢) الشهداء الذين أعدموا في ٦ أيار ١٩١٥ هم السادة: عبد الحميد الزهراوي - شفيق المؤيد العظم - شكري العسلي - عبد الغني العريسي - سيف الدين الخطيب - محمد المحمصاني - محمود المحمصاني - صالح حيدر - عبد الوهاب الإنكليزي - رفيق رزق سلّوم - عمر حمد - عارف الشهابي - عبد الكريم الخليل - أحمد طبارة - عمر الجزائري - علي الأرمنازي - حافظ السعيد - محمود العجم نجا - نايف تللو - محمد مسلم عابدين - سليم عبد الهادي - سليم الجزائري - أمين لطفي - عبد القادر الخرسا - رشدي الشمعة - محمد الشنطي - جورج حداد - باترو باولي - علي الناشيبي - نور القاضي - توفيق البساط - جلال البخاري.
(٣) حكم غيابيًّا على السادة: رفيق العظم - حقي العظم - رشيد رضا - داود بركات - فارس نمر - شبلي شُمَيّل - خليل مطران - ابراهيم النجار - جورج عبد المسيح - جبرائيل آصف - نجيب عازوري - جورج بحري - خليل أبي اللمع - خليل بولاد - هنري حبيب - نجيب البستاني - يوسف أمين البستاني - فيليب شما - نجيب قحطان - نجيب قريصاتي - جورج دوماني - كميل إده - ميشال لطف الله - يوسف كحيل - يوسف الخازن - خليل مشّاقة - يوسف الصيدناوي - ألفونس زينيه - فؤاد الخطيب - قسطنطين ينّي - رزق الله أرقش - سليم تابت - عزة العابد - شكري غانم. راجع: أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص٢٤٠ - ٢٥٠.

النادي الأهلي الذي يحوي العديد من أسماء الأعضاء العاملين فيه، وهذا الحرص والانتباه أدى إلى إفلات بعض أهل بيروت من حبل المشنقة. وصار خطباء النادي الأهلي فيما بعد شهداء ٦ أيار ١٩١٥[١].

جمال باشا واعتقال عارف النعماني

خضع عارف النعماني للتحقيق مع سواه من زعماء الجمعيات الإصلاحية واللامركزية في بيروت، وربما كان للبلاهة التي اصطنعها أثناء ردّه على المحقق بقوله: «إنه انتخب رئيسًا لنادٍ ثقافي فقط، متسائلًا عن سبب استجوابه، وماذا يملكون من أدلّة إجرامية ضده» دورًا دفع المحقق إلى تأكيد جنونه فنجا، وخرج ينفض غبار الموت عن كتفيه. ولكن نجاته من حبل المشنقة دعت بعض معاصريه إلى اتهامه بشراء حياته بالمال، فرد قائلًا: "إنه لو كان لأحد أن ينقذ نفسه بماله لما عُلّق أحد على أعواد المشانق، ولما نجا أحد من زعماء الجمعيات اللامركزية والإصلاحية في بيروت والجبل"[٢].

ولعل السبب في نجاته ضبطه لأعصابه وتركيزه الذهني على اصطناع البلاهة كما ذكرنا. وربما كان السبب أيضًا العلاقات المتينة بين أسرة آل النعماني وولاة الدولة العثمانية، ومنهم جمال باشا، التي تجعلهم بنظر الأتراك من الموالين لهم وليس العكس. ولكن الرأي الغالب أن عارف النعماني كان ذا شخصية قيادية أمسكت بسرّيّة تامّة بسياسة القوى الوطنية في بيروت وربطتها بالتوجه السياسي المناهض للأتراك داخل الدول العربية وبالتحديد بجمعية العهد في مصر. فمن خلال خطب ومحاضرات أعضاء النادي الأهلي الذي ترأسه، استقطب التحرك السياسي الوطني لبيروت بحنكة ورويّة دون أيّ اتصال مباشر مع دول أجنبية، أو حتى حضور مؤتمرات دولية، أو الاتصال بالأمير فيصل في تلك المرحلة كما فعل سواه (المحمصاني والزهراوي والعريسي)[٣] كي لا يثير شبهات الدولة العثمانية ضده. وبلفتة ذكية تمويهية حوّل متجره إلى مقر للتحرك السياسي السري بدلًا من النادي الأهلي الذي كان مراقبًا من الأتراك. وما إخفاؤه السجلّ إلا دليل يؤكد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٤).
(٣) المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٨٥).

حنكته السياسية. إضافة إلى أنه كان فوق الشبهات وفوق الوشايات السياسية المغرضة التي أودت بحياة بعض شهداء لبنان من أمثال عبد الكريم الخليل.

واستمر جمال باشا بالتنكيل ببيروت وأهلها، فلم يكتفِ بالإعدامات وإغلاق الجمعيات والنوادي والتحقيقات والمحاكمات وأخذ الناس بالشبهة، بل عمد إلى تشتيت بعض الأسر البيروتية والسورية المناضلة، فساق جمال باشا هذه العائلات إلى الأناضول، وقام بتجويع أهل بيروت ومدن الساحل اللبناني بقطع القمح والطحين عنهم. فانتشرت الأمراض وعمّ الفقر والجوع والبؤس لبنان[١]، وبخاصة بيروت التي هجرها أهلها بسبب تهديد الحلفاء بضربها بالبوارج، فاضطر عارف النعماني إلى الهرب من بيروت بعد أن توقفت أعماله التجارية بين لبنان ومانشستر بسبب إعلان الحرب العالمية الاولى. ولأن لبنان بحكم وقوعه تحت الحكم العثماني كان في حالة حرب مع دول الحلفاء، ومنها إنكلترا، انعكس ذلك سلبًا على تجارة عارف النعماني التي توقفت كليًا[٢]، فانتقل إلى مصيفه في عاليه. ولكن بسبب تهديد الحلفاء بضرب بيروت بالبوارج، توجّه مع عائلته إلى دمشق، فاستغل فرصة وجوده هناك لابتياع القمح من قرية السلمية وتوزيعه على مواطنيه في بيروت الذين كانوا يئنّون من الجوع، نتيجة انقطاع المواد التموينية بسبب الحرب، مخاطرًا بنفسه في الوقوع بقبضة العسكر وتسليمه إلى الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش التركي الذي كان رديفًا فيه.

ورغم تنقله الدائم بين سوريا ولبنان لم يُسأل عن بطاقته العسكرية[٣]، علمًا بأن أهل بيروت عانوا كثيرًا من جند جمال باشا الذين كانوا يبثّون الجواسيس ويترصدون أبناء بيروت، ويداهمون المنازل بحثًا عن الشباب البيروتي، ليقودوهم إلى القشله في السراي الكبير تمهيدًا لتوزيعهم على جبهات القتال في اليمن والعراق ضد الحلفاء[٤] مما عرّض الأُسر البيروتية لفقدان أو موت أكثر من شابّ واحد ضمن العائلة الواحدة[٥].

(١) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، ص ٣٩ - ٤٠.
(٢) مقابلة مع السيد وجيه أنيس النعماني في ٢٣/٣/١٩٩٦.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٥).
(٤) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، ص ٤٥.
(٥) من مذكرات الرسام البيروتي مصطفى فروخ رحمه الله، حول اثنين من إخوته عادا من الخدمة=

وقبل الانتقال إلى التحرك السياسي لعارف النعماني في دمشق، ننهي مرحلة مهمة من نضاله السياسي في مدينته بيروت من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٤، عمل خلالها من أجل إصلاح الأوضاع السياسية والإدارية في لبنان. فتعاون مع الأتراك، ولكنه فشل في إحراز أي تقدّم أو إحداث أي تغيير. لذا انتقل إلى التعاون مع جمعيات عربية مصرية مناهضة للأتراك. ففتح فروعًا لها في بيروت وذلك ضمن طروحات سياسية مختلفة حول نقل الخلافة إلى مصر أو إلى الحجاز تحت حكم خديوي مصر أو الشريف حسين، وذلك ضمن الهيمنة الإنكليزية أو إلغاء الخلافة وربط سوريا ولبنان بالحكم الفرنسي[١]. ولكن هذه التحركات السياسية من قبل الجمعيات والنوادي انتهت بحملة اعتقالات وإعدامات قضي خلالها على الحركة الوطنية في البلاد العربية. ولكن هل انتهت المقاومة الوطنية؟ سنحاول معرفة ذلك من خلال التحرك المقبل لعارف النعماني في دمشق.

=العسكرية الإجبارية داخل الجيش التركي في اليمن، وما لبثا أن توفيا لإصابتهما بأمراض نتيجة سوء التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة.

(١) T. Touma: Paysans et instruction féodales chez Druzes et les Maronites du Liban du XVII siecle à 1914, pp 704-709، أيضًا: حليم بركات: تاريخ المجتمع العربي، ص ٤١٨.

الفصل الثالث
تحرّكه السياسي في دمشق

ترك عارف النعماني لبنان بسبب سوء الأوضاع الأمنية والاقتصادية متوجهًا إلى دمشق، حاملًا معه خيبة الأمل والحسرة على فشل كل الجهود النضالية في لبنان بسبب حملات الاعتقالات والإعدامات التي قامت بها تركيا.

والواقع أن وضع سوريا لم يكن أفضل من وضع لبنان. فقد دخلها جمال باشا واليًا سنة ١٩١٣، فنشر جواسيسه لتتبّع تحركات الوطنيين ضمن الجيش العثماني، وقام بإعدام عدد منهم. فبدأت اتصالات رجال الحركة الوطنية في سوريا بالشريف حسين حاكم الحجاز وابنه الأمير فيصل، وأدى ذلك إلى تحويل اتجاههما من فكرة اللامركزية إلى السعي للحصول على الاستقلال بتأييد ودعم بريطاني مقابل مساعدتها في حربها ضد تركيا. ونزل الأمير فيصل في دار عطا البكري الذي كان مقرًّا للاجتماعات السرّيّة، وذلك أثناء مروره على دمشق متوجهًا إلى الآستانة لتقديم شكوى والده ضد الوالي العثماني. فاتصل بأعضاء جمعية العهد وجمعية الفتاة[١]. فانتسب إلى الجمعيتين ووضع ميثاق دمشق للثورة على الأتراك ومساندة بريطانيا من أجل الاستقلال[٢].

والتقى عارف النعماني بالأمير فيصل في دمشق، فعادت جذوة الأمل في النضال الوطني إلى نفسه بعد هذا اللقاء. وتتابعت اللقاءات مع الأمير، ولكن جذوة الأمل هذه ما لبثت أن خفتت في ظل الصمت الطويل الذي لاذ به الأمير في أحد لقاءاته به، مما ترك لدى عارف النعماني تساؤلًا ما لبث أن تبدد، عندما علم أن جمال باشا يريد إلقاء القبض عليه[٣].

(١) **جمعيّة الفتاة:** أسّسها ياسين الهاشمي في دمشق وانتقلت سنة ١٩١٤ إلى بيروت. راجع: السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.
(٢) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٢٣٧ - ٢٤٣.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٥).

أثناء ذلك كانت الأوضاع السياسية في سوريا ولبنان تسير في اتجاهين معاكسين: اتجاه من جانب حزب الاتحاد السوري المركزي، ومركزه مصر، ويطالب بسوريا الكبرى والحكم الهاشمي، ويقابله اتجاه آخر للنهضويين اللبنانيين في باريس تحت رعاية شكري غانم، وجمعية عصبة التحرير السورية اللبنانية في نيويورك برئاسة أيوب ثابت. وهذا الاتجاه يعمل من أجل استقلال سوريا وضم جبل لبنان ودمشق وحلب ضمن اتحاد فدرالي، ويطالب بالحماية الفرنسية مع إبعاد الحجاز عن الحكم الفرنسي[1].

ثورة الشريف حسين وبداية الحكم الفيصلي للبنان

ولكن الأجواء السياسية سنة ١٩١٦، كانت تنذر بحدوث مستجدّات على الساحة العربية. وبالفعل، ما هي إلا أيام قليلة حتى قام الشريف حسين بإطلاق رصاصته الأولى من بطاح مكة (معقل الإسلام) إيذانًا ببدء الحرب ضد الأتراك، تخلّصًا من الأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد، ومن أجل إقامة دولة عربية موحدة تمتد من الخليج إلى كيليكيا، مع إدارة خاصة لبغداد - البصرة، والتنازل عن الساحل السوري. ولقد تم الاتفاق من خلال مراسلات (حسين - مكماهون)[2].

وقام الأمير فيصل باحتلال العقبة، فسقطت غزة والخليل ويافا وبيت لحم. وتابع الجيش العربي تحرّكه بمساعدة الجنرال اللنبي ولورانس متوجهًا شمالاً بخطّين: داخلي ما وراء دمشق (حمص- حماة- حلب) وساحلي (حيفا - عكا - صور - صيدا - طرابلس)[3]، وأدى ذلك إلى نهاية الحكم التركي نتيجة الثورة العربية التي جمعت الشباب السوري والعراقي والمصري واللبناني. واحتل الحلفاء الدول العربية بسهولة تامة، لأن الثوار العرب، وهم أصحاب البلاد، ساعدوا الحلفاء من أجل نيل الاستقلال والتخلص من الأتراك واستعادة المجد السالف[4].

---

(١) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال - في وادي النيل - (١٩٠٦ - ١٩٢٢)، ج ١، ص ٩٦ - ٩٧.
(٢) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٦ - ١٧.
(٣) محمد بديع شريف: النهضة العربية الحديثة، ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٤) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٧٢.

إذن انتصرت الثورة العربية الكبرى، وانتصر الحلفاء أيضًا، وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة دول المحور وانسحاب تركيا من الأراضي العربية. وفي ٢ تشرين الأول ١٩١٨، دخل الأمير فيصل دمشق، بعد أن غادرها الموظفون الأتراك، وأُعلنت الحكومة العربية في دمشق برئاسة الأمير سعيد الجزائري وبمعاونة شكري الأيوبي، وبديع المؤيد، وفارس الخوري.

ولكن في المقابل بقيت الاتجاهات السياسية السابقة على حالها. لأن الساحة العربية ظلت منقسمة بين تيار (حجازي - سوري) بهيمنة إنكليزية، وتيار (سوري - لبناني) بهيمنة فرنسية. وسيبدو ذلك واضحًا من خلال البرقيتين اللتين أرسلهما سعيد الجزائري إلى ممثلي لبنان آنذاك: الأولى إلى عمر الداعوق (ممثل بيروت)، والثانية إلى البطريرك الياس الحويّك (ممثل جبل لبنان)[1].

وقام عمر الداعوق بتسلُّم حكم ولاية بيروت من اسماعيل حقّي، وتنفيذ مضمون البرقية، وتشكيل حكومة في بيروت ممثلة للحكومة العربية في دمشق برئاسته وعضوية السادة: سليم علي سلام وأحمد مختار بيّهم وسليم الطيارة مديرًا للأمن يعاونه عارف النعماني ومخايل طراد وألفرد سرسق وسواهم[2]. وأصدرت الحكومة الجديدة منشورًا، تدعو فيه الأهالي إلى منع حمل السلاح والتظاهر، والعطف والمحافظة على الأسر التركية النازلة بينهم، وتجريد الجيوش العثمانية من أسلحتها ومنع تمرّدها، وتجميعها في سراي بيروت. ورفع العلم العربي[3] وقامت الحكومة بتعيين عبد الحميد كرامي متصرفًا لطرابلس، ورياض الصلح حاكمًا لصيدا[4].

أما البرقية الثانية فقد رفضها البطريرك الياس الحويك، فعهد بتنفيذ مضمونها

---

(١) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).
ويضيف أنيس النصولي إلى أسماء أعضاء الوزارة السادة: رامز سركيس وجان فريج ومحمد الفاخوري وصلاح بيّهم ومحمد سلام ويوسف عوده وعارف دياب. راجع: عشت وشاهدت، ص ١٦ - ١٧.
(٣) رفعت العلم فاطمة المحمصاني أخت الشهيدين محمد ومحمود محمصاني. راجع السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.
(٤) المرجع نفسه.

إلى حبيب باشا السعد الزعيم الماروني الذي كُلِّف بتشكيل حكومة عربية في جبل لبنان، وحلف على الإنجيل يمين الولاء والطاعة للشريف حسين في مكة. ورفع العلم العربي على سراي بعبدا[1].

وأوفد الأمير فيصل اللواء شكري الأيوبي كحاكم عامّ على بيروت وجبل لبنان باسم ملك الحجاز[2] وجميل الألشي كحاكم عسكري مع مائة جندي[3].

هذه السياسة لاقت الترحاب والتهليل من مسلمي لبنان وسوريا[4] ولكنها زرعت الشكوك والخوف لدى فرنسا ونصارى لبنان من نوايا الأمير فيصل، ومن ورائه إنكلترا، وبالتالي أظهرت مدى جهل الأمير بأوضاع الصراع الطائفي السياسي في جبل لبنان وتاريخها منذ ١٨٦٠[5].

ولا شك في أن هذا الانقسام ساعد الحلفاء على ضرب أماني القوى الوطنية في لبنان بتحقيق الوحدة والاستقلال. وذلك من خلال معاهدة سايكس-بيكو السرية بين فرنسا وإنكلترا التي نصّت على تقسيم البلاد العربية فيما بينهما. فبعد ١٥ يومًا من تأليف عمر الداعوق الحكومة العربية في بيروت دخلت الجيوش الفرنسية بيروت، فطوّق الجنود السراي بالمدافع. وأُنزل العلم العربي، وأُلغيت كل الإجراءات التي قامت بها حكومة الأمير فيصل، وطلبت فرنسا انسحاب شكري الأيوبي من لبنان. وقام القائد الفرنسي كولوندر والحاكم العسكري دي بياباب بزيارة البطريرك الياس الحويك لتأليف مجلس إدارة الجبل برئاسة حبيب باشا السعد[6]. هذه الأوضاع السياسية، قسمت الرأي العام اللبناني بشكل عام إلى فريقين: فريق مسلم معارض لسياسة فرنسا، وفريق مسيحي مؤيد وداعم لسياستها.

(١) مجلة المقاصد، عدد ١، ١٩٨١، مقال للرئيس صائب سلام بعنوان: هل فشل الاستقلال؟ كانون الثاني، ص ١٦٨. أيضًا: السيد محمد سلام، جريدة الحياة، ٢٨ شباط ١٩٥٣.
(٢) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.
(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ١٧.
(٤) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٧٤.
(٥) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ٨٤.
E. Rabbat; La formation Historique du Liban, pp. 268-269.
(٦) ويضيف السيد محمد سلام بأن إنزال العلم كان بإشراف فصيلة إنكليزية بحضور الجنرال ديدز وكيل الجنرال اللنبي. جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.

الفريق المسلم عبَّر عارف النعماني عن خيبة أمانية الوطنية إزاء ما جرى بقوله: "إنه ورئيس الحكومة وأعضاءها، انكمشوا على أنفسهم، ومضوا يفكرون بالمقاومة والعصيان"[1].

أما الفريق المسيحي، فقد كشف عن أمانية بإحلال الوجود الفرنسي مكان الوجود العثماني وإلغاء كل مظاهر الهيمنة العربية، معبّرًا عن ذلك بالرقص والتهليل.

وبعد مرور شهر على (إنذار دي بياباب) وصل الأمير فيصل إلى بيروت فنزل ضيفًا على الجنرال بلفن الذي كان يقيم في قصر الياس سرسق واجتمع برئيس الحكومة العربية وأعضائها، وأعرب عن نيته بتأسيس وكالة دار الاعتماد العربي. فأعاد ذلك لعارف النعماني ولرئيس الحكومة وأعضائها الأمل بالوحدة العربية، طالما أن هناك ما يربط لبنان بالوطن العربي. فعبَّر عن ذلك بقوله: "كان طبيعيًّا أن نهلل للفكرة، ولكن تعيين أسعد التميمي معتمدًا للوكالة بدلًا من عمر الداعوق أصابنا بالخيبة والمرارة"[2]. مما يعني لعارف النعماني، أن المد العربي بدأ بالانحسار التدريجي عن لبنان. وأن علاقة العرب بلبنان لن تكون انصهارًا ووحدة بل تآخٍ وتكامل، ومجريات الأمور توضح ذلك، فبدلًا من حكومة عربية، صار هناك ممثل معتمد ووكالة اعتماد عربي، وهذا التدبير لحفظ ماء الوجه، وهو مرحلي يلغى فيما بعد. وبالفعل تعاقب على معتمدية الوكالة ثلاثة فقط: أسعد التميمي ويوسف العظمة وجميل الألشي. ثم ألغيت الوكالة في لبنان.

هذه المفاجآت في الأحداث السياسية اللبنانية المتلاحقة وغير المتوقعة تدعونا إلى وقفة تاريخية تحليلية للأوضاع السياسية في بلاد الشام، وتحديدًا في جبل لبنان منذ سنة ١٨٤٠ ليصار إلى ربطها مع أحداث ١٩١٨. فبعد سنة ١٨٤٠ عاد جبل لبنان إلى الحكم العثماني المباشر إثر معاهدة لندن والتي قضي فيها على

(١) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج - وادي النيل - ١٩٠٦ - ١٩٢٢، ص ١٥٤.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧). ويُضيف السيد محمد سلام بأن المعتمد هو جميل الألشي، يعاونه أسعد التميمي ثم يوسف العظمة ثم رشدي الصفدي راجع: جريدة الحياة، ٢٦ شباط ١٩٥٣.

التحالف المصري – الشهابي[1] فاستنجد مسيحيو الجبل بفرنسا. وما لبثت الاضطرابات في الجبل أن تجددت، فقسم الجبل إلى قائمقاميتين (درزية ومسيحية).

وتابعت فرنسا تدخلها في شؤون لبنان من خلال نابليون الثالث الذي عمل على إيجاد منطقة نفوذ لفرنسا تفصل بين مصر والأناضول[2] ولكن مع ازدياد الفتن بين القائمقاميتين سنة ١٨٦٠ تدخلت الدول الأجنبية لإيجاد نظام بديل، فاتفق على إقامة نظام المتصرفية في جبل لبنان فقط وجعله إمارة مستقلة تحت حكم أمير مسيحي أجنبي[3]، ورضي مسيحيو الجبل أن لا يكون وطنيًا[4]، واعتبروا ذلك أول خطوة نحو الاستقلال.

إذن عملت فرنسا على إيجاد نظام المتصرفية في الجبل لتقويض أساليب الحكم الإسلامي العثماني ولإحلال النظم الاستعمارية الفرنسية في المشرق كله[5] وجعل الجبل بديلًا لفرنسا عن تركيا وجسرًا للعبور إلى المشرق العربي[6]. وساعد فرنسا في ذلك خوف المسيحي من المسلم وعناده من أجل إثبات ذاتيته تجاه المفهوم الإسلامي (لأن الحكم للإسلام) وأن أصحاب الديانات الكتابية يصبحون بالدرجة الثانية أو يسمح لهم بالعيش في ظل الإسلام. وأنه أثناء حكم الدولة العثمانية ظهرت الفروقات بين المسلمين والكتابيين، فمُنعوا من حمل السلاح، ومن الشهادة أمام المحاكم وركوب الأحصنة، ووجّهت إليهم عبارة (أشمل)، وفرض عليهم أحيانًا لباس معيّن[7].

هنا يظهر لنا سبب التدخل العسكري السريع لفرنسا، وتعيين حاكم عسكري لها في لبنان بهدف تفويت الفرصة على الأمير فيصل لضم لبنان إلى المملكة العربية المزمع قيامها.

(١) Adel Ismail: Le Liban sous les Mutasarrifs, P. 23.
(٢) محمد قره علي: خطط الشام، مج ٣، ص ٩٢ – ٩٥.
(٣) Mounir Ismail: Segretaria di serdigna, cart N 223, dépêche de villanis à cavour, No. 74.21, Avril 1861; N 76, Mai 1861; N 77 19, Juin 1861.
(٤) لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان، ص ١١.
(٥) عبد العزيز نوار: محاضرات في تاريخ لبنان الحديث، ألقيت في جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٠.
(٦) أحمد طربيه: لبنان في عهد المتصرفية ١٨٦٠ – ١٩٢٠، ص ٧٧ – ٧٨.
(٧) تيودور هانف: لبنان في زمن الحرب، ص ٢٠.

حوار فيصل – النعماني حول استقلال لبنان

بناء عليه، قام عارف النعماني كزعيم بيروتي وكسياسي مرتبط بالأمير فيصل من أجل الاستقلال والوحدة العربية بتحليل المستجدّات السياسية في لبنان وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو إيجابية، واضعًا قضية موقفه السياسي العربي الوحدوي في نقطة تجاذب حادّ بين حلم الوحدة العربية، وواقع الكيان المميز لوطنه لبنان وبالتحديد لبيروت.

فمن خلال الحوار التاريخي الخاص الذي دار بين الأمير فيصل وعارف النعماني بعد وصوله إلى لبنان، وتأسيس وكالة الاعتماد العربي، أدرك أن الأمير فيصلًا يجد صعوبة في ضم لبنان إلى باقي الدول العربية، وأن هناك تدخلات قوية وضاغطة من جانب الدول الأجنبية، تحول دون ذلك. وقد بيّنّا ذلك من خلال التدخل العسكري السافر في لبنان سنة ١٩١٨ إضافة إلى ما سبق أن ذكرناه عن استمرار التدخل الفرنسي في شؤون جبل لبنان منذ ١٨٤٠. فكان جواب عارف النعماني كزعيم سياسي لبناني بيروتي مسلم، يخاطب أميرًا عربيًا يرتبط معه بقضية مصيرية واحدة تتعلق بوحدة لبنان واستقلاله مع الدول العربية هو التالي: "إن نحن ضممنا لبنان إلى الدول العربية ضمًّا فسيتعبنا كثيرًا، لأن بعض أبنائه يطلبون حماية فرنسا. إنني أرى ترك لبنان مستقلًا، شرط أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان، ضمن حدود لبنان ما قبل الحرب العامة. وشرط أن يكون لبنان بمعزل عن كل تأثير أجنبي وأن يكون حاكمه وطنيًا، وتكون علاقته بسوريا محصورة في وحدة اقتصادية"[1].

هذا الطرح السياسي لعارف النعماني ليس صادرًا عن تفكّه سياسي يقصد به التسلية، إنما هو وليد تجارب عاشها آل النعماني في تفاعل مستمر مع الولاة الأتراك لبيروت، واستقطاب سياسي لزعماء الحركة الوطنية فيما بعد، وعارف النعماني ليس إنسانًا مغمورًا، إنما هو زعيم وطني لجمعية سرّيّة عملت داخل بيروت ضمن تحرك سياسي عربي، وقد اعتُقل وخضع للتحقيق وكاد أن يشنق كما سبق أن ذكرنا. لذا حمل رده على الأمير أبعادًا سياسيّة طرحت النقاط التالية:

أولًا: أشار عارف النعماني إلى «أن ضم لبنان إلى الدول العربية سيتعبنا كثيرًا»،

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

موضحًا للأمير أن هناك فئات من اللبنانيين ترفضُ، لا بل تخاف من الحكم العربي، وخير مثال لذلك موقف شكري غانم والبطريرك الياس الحويك - ومن ورائهما فرنسا - تجاه الحكومة العربية.

ثانيًا: أكد الأمير "أن بعض أبناء لبنان يطلبون حماية فرنسا". وحادثة السراي والتدخل العسكري السريع لفرنسا وتهليل المسيحيين لذلك فيه خير إيضاح لما يقوله.

ثالثًا: طلب من الأمير "ترك لبنان مستقلًا". إن كلمة (تَرْك) تعني أن العكس سيجرّ البلاد إلى الخراب. وهذا الموقف حق لعارف النعماني في ذمّة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فهو المطالب باستقلاله، بل والمطالب بدولة لبنان الكبير، لأنه طلب من الأمير ضم ما سُلخ من أراضيه، لتعود اللُّحمة إلى أبنائه. وأن يكفل للبنانيين شروط التعايش الإسلامي - المسيحي.

رابعًا: أوضح للأمير أن الأجنبي وراء انقسام لبنان، والحاكم الوطني هو الذي يستطيع أن يراعي تطلعات أبنائه كافة إلى العدل والمساواة، وهو في إصراره أن تكون الوحدة مع سوريا محصورة بالاقتصاد، يعرف كم عانى لبنان من الجوع سنة ١٩١٤، ولولا القمح السوري لمات أكثر أبناء لبنان.

نلاحظ مما تقدم، أن عارف النعماني هو الداعي لاستقلال لبنان، وهو المطالب بدولة لبنان الكبير، والمنادي بتحييد لبنان أجنبيًا والعامل من أجل ربطه بسوريا اقتصاديًا.

وبعد حوالي نصف قرن تقريبًا، قام الأستاذ سعيد عقل بإحياء ذاكرة التاريخ اللبناني المعاصر. فأكد على فضل عارف النعماني، وسعيه من أجل الاستقلال وإعادة لبنان المشرذم إلى حدوده السابقة (دولة لبنان الكبير)[1].

---

(١) مجلة الأفكار، السنة ١٣، عدد ٦٩٧، ١٨ كانون الأول ١٩٩٥ (بمناسبة توقيع كتاب للأستاذ فريد سلمان (قيام الذاكرة) في قاعة مجلس الفكر).
والواقع أن محاولة الأستاذ سعيد عقل إلقاء الضوء على الحقيقة التاريخية لأعمال عارف النعماني سبّبت استغرابًا واستهجانًا وتفكّهًا لدى الأستاذ فريد سلمان الذي رد على الأستاذ سعيد عقل في مجلة الأفكار، عدد ٧٠١، تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٩٦، بكثير من الاستخفاف بمداخلة الأستاذ عقل، لأن كلامه لا يصبّ في فلسفة وجود لبنان، وأيّ لبنان؟ لبنان حاجة الفكر الماروني=

هذا الحوار بين الأمير فيصل وعارف النعماني يدعونا لربط الماضي بالحاضر كما أشار الأستاذ سعيد عقل، وبخاصة من منطلق العلاقات اللبنانية - السورية التي ما زالت مادة مفتوحة للنقاش والحوار واللقاء حتى يومنا هذا. لقد سجل عارف النعماني موقفًا فريدًا في تاريخ لبنان وسوريا الحديث، وهو موقف أكبر من أن يُنسى أو يطمس لأنه حقيقة من حقائق تاريخ مسلمي لبنان.

والواقع أن تلك الطروحات السياسية التي تقدَّم بها عارف النعماني تدل على سياسة الاعتدال والبعد عن التهور، ولو كان مفتقدًا للحنكة السياسية لأشار على الأمير بضرورة العصيان والتمرد وإشعال الجبهة البيروتية ضد الفرنسيين، كما حدث في الجنوب والبقاع، ولكنه آثر التريث حتى تنجلي المواقف السياسية في لبنان وبقية الدول العربية، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وصحَّ ما توقَّعه عارف النعماني، من خلال مسارعة فرنسا وإنكلترا لعقد اتفاقية سايكس-بيكو، والاستيلاء على لبنان وفلسطين، منعًا لحدوث أي مفاجآت قبيل عقد مؤتمر الصلح بين الحلفاء ودول المحور.

= الدرزي. لبنان ورغم التناقض التام بين الطائفتين والدم، يبقى حلم كينونة لبنان، هذه الكينونة التي تضيع بين الستة آلاف أو المئة ألف سنة لعمر الكيان.
وتبقى إرادة الاستقلال والعيش الحر للثنائي في خلق لبنان (الماروني - الدرزي) فقط. وأيّ خلق لاستقلال لبنان في ظل نظام المتصرفية مثلًا، والمتصرف هذا يتبع السلطان.. وفجأة يلغي جمال باشا هذا النظام! أهذه إرادة الاستقلال؟ أن يكون لبنان لا يعني إلا الجبل فقط؟ أهذه هي البدايات؟ وماذا يعني أن يسمح مفهوم التطور بوجود فئات! وأي فئات؟ السريان والمسلمين؟ وهل التطور، أو حقيقة تشكّل الكيان اللبناني هو الذي أوجد تلك الفئات المتجذرة عبر الأجيال في لبنان والتي سلخت قصرًا عن الجبل، ووجودها وتعايشها كان منسجمًا دينيًا مع الدولة الحاكمة (تركيا) لذا لم تدخل في صراع مع الحكام؟ ولكن أمام الاستبداد وخنق الحريات يطالب المسلم البيروتي عارف النعماني بالاستقلال، ويسجن ويُنفى خارج وطنه، ويدفع الدم والمال جنبًا إلى جنب مع المسيحيين اللبنانيين مثل: أمين الريحاني ونجيب عازوري واليازجيين والبستانيين، وأنطوان سعاده وسواهم، والدروز مثل: الأمير أمين أرسلان وعادل أرسلان وشكيب أرسلان، فتنمو الذات اللبنانية، وتتنفس من الفكر الليبرالي أزاهير القومية العربية.

الفصل الرابع

موقفه من معاهدة سايكس-بيكو

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بقي لبنان مقسّمًا بين مجلس إدارة جبل لبنان المطالب بالاستقلال تحت الوصاية الفرنسية، وبين ولاية بيروت والأقضية الأربعة والذين يعملون للاستقلال والوحدة مع سوريا. وفيما بعد سقط الحكم العربي في لبنان وظهرت اتفاقية سايكس-بيكو السرية والتي عقدت سنة ١٩١٦ بين فرنسا وإنكلترا لاقتسام البلاد العربية فيما بينهما. ولم تعارض إنكلترا انتداب فرنسا على لبنان، شرط إقناع أبنائه بذلك، على أن تكتفي إنكلترا مقابل ذلك بالانتداب على فلسطين.

وكان همّ فرنسا وإنكلترا استبعاد العرب، وخصوصًا الأمير فيصل، عن مؤتمر الصلح. حتى لا يكون للعرب أيّ موقف معارض لاتفاقية سايكس-بيكو. ولكن لورنس أقنع حكومته بضرورة توجيه دعوة للشريف حسين لحضور مؤتمر الصلح[١]، وأصرّ الرئيس الأميركي ويلسون على فصل لبنان وسوريا عن المقررات الخاصة بالدولة العثمانية، وضرورة استفتاء السكان، وانتخاب الوصيّ عليهم، ليُصار إلى تمثيلهم في مؤتمر الصلح[٢]، وبناء عليه أفسح المجال للأمير فيصل لتمثيل الدول العربية بما فيها لبنان.

هذا الموقف الأميركي عملت فرنسا على تطويقه في لبنان الواقع تحت سيطرتها. فأوعزت إلى مجلس إدارة جبل لبنان بتفويض داود عمون رئاسة الوفد اللبناني، إمعانًا في تأكيد فصل لبنان عن سوريا، لأن فرنسا تجد في مجلس إدارة جبل لبنان، وبخاصة البطريرك الياس الحويك، مناصرًا وليس معارضًا للوصاية الفرنسية على لبنان. وتلخصت مطالب داود عمون إلى المؤتمر بما يلي: توسيع

---

(١) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢١.

(٢) A. Williams: Britain and France in the Middle East and North Africa 1914-1967, P. 17.

نطاق جبل لبنان، والمطالبة بالاستقلال، وإنشاء مجلس نيابي، ومساعدة فرنسا في نشر العلوم، والانفصال عن سوريا، والمطالبة بالحماية الفرنسية[١].

هذه المطالب أثارت القوى الوطنية في ولاية بيروت والأقضية الأربعة. وبخاصة بعد افتضاح أمر اتفاقية سايكس-بيكو التي تحول دون مشاركة العرب في المؤتمر.

أثناء ذلك، كانت فرنسا تسعى من خلال بيكو لإقناع اللبنانيين في بيروت والأقضية الأربعة بالوصاية الفرنسية. فبدأ بيكو اتصاله بالشخصيات البيروتية المعارضة لسياسة فرنسا في لبنان.

واجتمع بيكو بزعماء بيروت في منزل بدر دمشقية لتبادل الآراء في وضع لبنان السياسي. وحضر الاجتماع جمهور كبير من وجهاء ومفكّري بيروت. وبعد تناول الشاي، انتصب بيكو خطيبًا، فأشاد بصداقة فرنسا للبنان وخدماتها منذ سنة ١٨٦٠، وقال إنها ستضاعف الخدمات من أجل الوصول بلبنان إلى درجة رفيعة سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا، ليكون بعدها أهلًا للاستقلال.

وصار يتنقل بين المدعوين ويجاذبهم الحديث، حتى وصل إلى الحلقة التي يجلس فيها عارف النعماني، فبادره فورًا وعلى مسمع من الجميع: "وأنت ما رأيك يا مسيو نعماني؟" فوقف عارف النعماني مجيبًا: "إن خطابك لا جدل فيه، وإن فرنسا ساعدتنا كثيرًا، نحن العرب، للتخلص من نير الأتراك، لننعم باستقلالنا. وكانت جمعياتنا السرية والعلنية، تجتمع دائمًا في باريس، المدينة التي علّمَتنا ثورتُها قيمة الحرية والاستقلال، ولكن جهادنا وتضحياتنا وتعليق رجالاتنا على أعواد المشانق، ودماء شبابنا الذين خاضوا معكم الحرب جنبًا إلى جنب، وما مُنيت به بلادنا من خراب وجوع وعذاب، وما نزل بأهلها من اضطهاد... أتظن أن هذا البذل كان فقط من أجل إبدال كرباج بكرباج، وعبودية بعبودية، ونير بنير؟ لقد أخطأت الفهم يا مسيو بيكو"[٢].

وغادر عارف النعماني القاعة قبل أن يسمع الجواب.

---

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج ٢، ص ٨٧٣ - ٨٧٨.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

هذا الرأي الجريء جدًا لم يكن خاصًا بعارف النعماني فقط، إنما كان يمثل رد أغلبية القوى الوطنية في بيروت والأقضية الأربعة أيضًا الرافض للوصاية الفرنسية. إذ هل يعقل أن يتخلص الوطنيون من ظلم الأتراك، ليرحّبوا بظلم فرنسا فيما بعد؟

وطبعًا هذا الموقف لعارف النعماني كان يعني بداية مقاطعته لفرنسا.

وتوجه عارف النعماني إلى دمشق، فاتصل بالأمير فيصل ليعرب له عن مخاوفه تجاه ما يجري في جبل لبنان، فأعلمه الأمير: "بأنه سيذهب إلى باريس ليُسمع الدنيا صوت عدالة قضيتنا"[١]، والتي تلخصت بما يلي: استقلال الدول العربية، وتوحيد العرب في أمة واحدة، والمشورة مع الدول الأجنبية، يدفع الأمير ثمنها نقدًا بدل أن يضحي بالحرية التي حصل عليها بقوة السلاح[٢].

إذن كان لبنان في مرحلة ما بعد الحرب سنة ١٩١٨، واقعًا تحت الاحتلال الفرنسي. وقد تمكن عارف النعماني، والزعماء المسلمون والمسيحيون، بالرغم من اتفاقية سايكس-بيكو، ومحاولة إبعاد لبنان عن طاولة المفاوضات في مؤتمر الصلح من إيصال أمانيهم بالاستقلال بواسطة الأمير فيصل الذي اعتبروه الممثل الوحيد لقضيتهم في هذا المؤتمر متجاوزين بهذا القرار الخطير إدارة جبل لبنان ومن يمثّلها من زعماء الموارنة ومن يدعمها من الفرنسيين الذين كانوا يحاولون عزل لبنان عن محيطه العربي ووضعه تحت وصايتهم.

اتفاقية فيصل-كليمنصو

وصل الوفدان العربي واللبناني إلى باريس سنة ١٩١٩، الأول برئاسة الأمير فيصل، والثاني برئاسة داوود عمون وشكري غانم (رئيس الجمعية السورية اللبنانية) وهوارد بلس (رئيس الجامعة السورية الإنجيلية). ولكن الرئيس كليمنصو رفض مقابلة الوفد العربي، إمعانًا منه في عزل الأمير فيصل المعارض لسياسة فرنسا في الشرق[٣]، وتسليط الأضواء على حلفائها أعضاء وفد إدارة جبل لبنان،

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).
(٢) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ٣٠٢ - ٣٠٦.
(٣) A. Williams: Britain and France in the Middle East, P. 17.

ولسان حالهم شكري غانم الذي قام بضرب المفهوم القومي الوحدوي العربي من خلال طرح القضية الإقليمية بين الدول العربية (أهل الحجاز - أهل الشام)، وتركيزه على التفاوت الحضاري الاجتماعي والفكري بين الحجازيين والشاميين (بدو-حضر)، ورفضه تمثيل الأمير فيصل للبنان، وإصراره على الوصاية الفرنسية[١].

مقابل ذلك اصطدم الأمير فيصل بتناقض مواقف وفد إدارة جبل لبنان وفرنسا وإنكلترا، إضافة إلى ظهور مطامع اليهود في فلسطين[٢]، فبات في وضع صعب ساعده على تجاوزه تحرّك الدبلوماسية الأميركية، وذلك باجتماع تمهيدي بين (بلس-فيصل) وقد أسفر اللقاء عن إرسال لجنة كينغ-كراين لدراسة مطالب الشعوب العربية[٣].

هذا التحرك الأميركي، ربما كان القصد منه دفع عجلة المفاوضات بانتظار المستجدّات، وإظهار أميركا بمظهر الحليف للعرب، أمام مراوغة فرنسا وإنكلترا، رغم أنها لا تختلف عنهما، والأرجح أن لقاء بلس-فيصل كان يخفي وراءه التفاقًا أميركيًّا-فرنسيًّا-إنكليزيًّا يهدف إلى تطويق معارضة الأمير فيصل وإجباره على الرضوخ لمطالب الحلفاء. وخاصة أن الموقف السياسي للبنان بات منقسمًا بين مؤيد ومعارض للأمير، مما يضعف موقف الأمير، ويعطي فرنسا فرصة فرض شروطها عليه.

ونجحت المساعي الأميركية، «وتم اللقاء بين كليمنصو وفيصل سنة ١٩١٩، وفرضت فرنسا شروطها بإحلال القوات الفرنسية في دمشق وحلب بعد انسحاب القوات الإنكليزية منها، والتدخل الإداري الفرنسي المباشر في سوريا، وأن يكون التمثيل الخارجي لسوريا من خلال فرنسا، وأن يعترف فيصل باستقلال لبنان إنما تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعلنها مؤتمر الصلح. بالمقابل تعترف فرنسا باستقلال سوريا المشروط بمدى حاجة سوريا وتعاونها مع فرنسا وتعترف

(١) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٢) S. H. Longrigg: Syria and Lebanon under French Mandate, p. 94.
(٣) S. N. Fischer: The Middle East - A History, p. 378.

فرنسا باللغة العربية لغة رسمية مقابل أن تكون اللغة الفرنسية إجبارية»[١].

هذه الاتفاقية كان يشوبها الكثير من الغموض، لأنها عبارة عن مجموعة من القضايا التي تحتاج إلى الكثير من المرونة والتعليل ليتقبلها الرأي العام العربي. ولعلها أشبه ما تكون بالقنبلة الموقوتة التي سيترتب عليها الكثير من الانفجارات والثورات داخل سوريا ولبنان بالتحديد. كما أنها تفتح تحالفًا جديدًا بين فيصل وفرنسا، علمًا بأن الشريف حسين وابنه عبد الله ارتبطا بتعاون وثيق مع إنكلترا، أما الأمير فيصل فإن علاقته بإنكلترا بقيت مذبذبة، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقضية المراوغة الإنكليزية - الفرنسية في قبوله ممثلًا للدول العربية في مؤتمر الصلح. وربما أراد الأمير فيصل انتظار معطيات أفضل من جانب فرنسا، ريثما تتضح الأمور مستقبلًا.

ولكن ترى هل تغيير التحالفات وقف على الحاكم وحده، أم أن للقوى الوطنية في لبنان وسوريا رأيًا آخر؟ ويتوقف على الجواب تقرير نجاح أو فشل اتفاقية فيصل-كليمنصو. فبعد عودة الأمير فيصل من مؤتمر الصلح في ٣٠ نيسان ١٩١٩، استقبل بالترحاب من جانب الفرنسيين، وبالتظاهرات من جانب مسيحيي جبل لبنان بسبب إخلال فرنسا بوعودها لهم في الوصاية والانسلاخ عن سوريا. فعبّر عن ذلك بشارة الخوري وميشال زكور بالهتافات المعادية لسوريا، وأظهر البطريرك الياس الحويّك تذمّره من تغيّر موقف فرنسا بقوله: "إنه يفضل الموت في ظل صخور لبنان على الانضمام إلى سوريا"[٢]. ولكن يظهر أن فرنسا استطاعت الحصول من الأمير على كل مطامعها في لبنان وسوريا، فتخلت عن مسيحيي جبل لبنان. والواقع أن الأوضاع في سوريا، لم تكن أفضل من الأوضاع في لبنان، فلدى وصول الأمير فيصل إلى دمشق، استقبل بمعارضة شديدة من الوطنيين الذين اتفقوا على مقاتلة فرنسا، وتشكيل قوات عسكرية معارضة للتحرش بالفرنسيين[٣].

(١) خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج١، ص ١٠١ - ١٠٦. أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٢٦. بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص٩٥. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص٢٧٨.
(٢) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص٩٥. محمد جميل بيّهم: سوريا ولبنان (١٩١٨ - ١٩٢٢)، ص٨. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج٢، ص٣٣٤.
(٣) خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج١، ص١٠٦. زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٥٣.

وبحسب اتفاق كليمنصو-فيصل في باريس، بدأ انسحاب القوات الإنكليزية من رياق وبعلبك وشتورا، وأبلغ الجنرال غورو الأمير فيصلًا أن القوات الفرنسية ستحلّ هناك في إطار تدبير عسكري فقط، والحكم الفعلي سيكون للأمير فيصل. ولكن رغم ذلك تدفقت القوات الفرنسية بأعداد كبيرة من البحر (مرفأ بيروت) بحجة التبديل، ممّا أدى إلى إثارة الشكوك بنوايا فرنسا. فانفجر الوضع في بعلبك ودارت المعارك هناك مع الفرنسيين. وما لبثت الثورة أن انتشرت في مزرعة الشوف والحولة وقرى هونين وكفركلا والطيبة، وامتدت إلى سوريا في تل كلخ (ثورة الدنادشة) واللاذقية (ثورة صالح العلي) وإلى أنطاكية وكيليكيا[١].

وبسبب هذه الأوضاع، بدأ الأمير فيصل في ١٥ أيار ١٩١٩، بالتراجع عن اتفاقية كليمنصو-فيصل، فاستعاد ثقة السوريين، وأتت الوفود اللبنانية لتقدّم كل معاني الطاعة والفداء والتأكيد على الوحدة مع سوريا معبّرين عن ذلك بالخطب. ولكن الأمير حاول توضيح سياسته تجاه فرنسا داعيًا إلى عدم التشديد في العداء لها لأن هناك مصالح وروابط مع الحلفاء لا يمكن التجرد منها، ولا بد من الموافقة على اتفاقية كليمنصو-فيصل لأن عكس ذلك سيجر إلى مواجهة عسكرية، ودعا اللبنانيين والسوريين إلى الصبر لأن فرنسا تحترم حقوق الشعوب، ولكن القوى الوطنية رفضت طروحاته مفضّلة القوة والمجابهة[٢].

وأوضح الأمير فيصل للوفد اللبناني كيفية التعاطي مع المسألة اللبنانية بقوله: "إنه يجب أن يُضم إلى لبنان القسم اللازم الوافي لحياة أهاليه الزراعية فيستفيدون من توسيع أراضيهم، كما تستفيد البلاد من ذكائهم ونشاطهم، وأن يكون لبنان مستقلًا داخليًا وإداريًا، ويلزم أن يبقى ما يُلحق به مستقلًا وممتازًا مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية، ولكن الانضمام يكون اختياريًا. والأمير مستعدّ أن يعطي لكلامه ضمانة خطّيّة، مع التأكيد أن اللبنانيين إخوة للسوريين، وهم شعب واحد، لا يفصل بينهم فاصل طبيعي أو مادّيّ، ولا فرق بين لبناني ودمشقي

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص٩٥. محمد جميل بيّهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ٨. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج٢، ص ٣٣٤.
(٢) تألف الوفد اللبناني من السادة: سعيد باشا سليمان وابراهيم الخطيب ورضا الصلح وسعيد الأيوبي ومصطفى العماد، وسواهم.

أو بين مسلم ومسيحي ودرزي"[١].

هذا الطرح للقضية اللبنانية من جانب الأمير فيصل يعيدنا إلى ما قاله عارف النعماني للأمير فيصل في دمشق قبل أيام من إعلان ثورة الشريف حسين على الأتراك سنة ١٩١٦[٢] محاولًا إقناع الأمير بدقة الوضع اللبناني وضرورة إعادة ما سُلخ من لبنان، والحرص على استقلاله مع الارتباط الاقتصادي بسوريا. وبناءً عليه يتبين لنا تأثر الأمير فيصل بالثوابت العقائدية السياسية لعارف النعماني.

تجاه هذه المواقف الرافضة لحكم فرنسا، اضطر الأمير فيصل في ١٧ أيار ١٩١٩ إلى إجراء عدة اتصالات مع المسؤولين الفرنسيين، طلب فيها الأمير إلغاء اتفاقية سايكس-بيكو، وسحب الجنود الفرنسيين من لبنان وسوريا، مقابل اعتراف الأمير فيصل بالمستشارين الفرنسيين العسكريين والإداريين والمهندسين والبعثات التربوية. وطلب من غورو إصدار عفو عامّ عن المعتقلين من ثوّار بعلبك والحولة واللاذقية وتل كلخ والشوف، وتأليف حكومة وطنية في بيروت. ولكن غورو رفض بعد أن سقطت مصداقية الأمير فيصل في القضاء على هذه الثورات[٣].

واستغل مجلس إدارة جبل لبنان فشل الأمير فيصل في إقناع السوريين باتفاقية كليمنصو-فيصل، فنادى في ٢٠ أيار ١٩١٩ باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية[٤].

موقفه من لجنة كينغ-كراين

وسط هذه الأجواء السياسية المتأزمة في المنطقة بين فيصل والقوى الوطنية وصلت لجنة كينغ-كراين لإجراء استفتاء عامّ في البلاد العربية حول نوعية الحكم، وكان قد اتفق على تشكيل هذه اللجنة أثناء تمثيل فيصل للعرب في مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩ بسبب عدم توصّل أعضاء المؤتمر إلى نتائج نهائية بالنسبة

(١) ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٠٩ - ٢١٠.
خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني وصداه في الوطن العربي، ص ١٥٩.
(٢) راجع حوار فيصل - النعماني، ص ٤١.
(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٠ - ٤١. جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٢٠.
خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج١، ص١٠٦.
(٤) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص ٩٦.

لمصير البلاد السورية، لذا اقترح فيصل-بلس على الأعضاء إرسال لجنة تحقيق حيادية تمثل الحلفاء، لمعرفة المطالب السياسية للعرب[١]، فشكّلت لجنة كينغ-كراين، والتي وصلت إلى فلسطين في ١٠ حزيران ١٩١٩. وكانت نتيجة الاستفتاء الرفض التام لإنشاء وطن قومي يهودي.

وانتقلت اللجنة إلى دمشق، وتبيّن من نتيجة الاستفتاء رفض الانتداب الفرنسي والمطالبة باستقلال سوريا الطبيعية على أساس إنشاء دولة ملكية دستورية، ملكها فيصل، تحكم العرب على قاعدة اللامركزية.

وقامت اللجنة بإجراء اتصالات مع بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبكركي[٢]. وشكّلت في بيروت لجنة قوامها السادة: سامح الفاخوري وأحمد مختار بيّهم وسليم علي سلام ونقيب الأشراف عبد الكريم أبو النصر وعارف النعماني، وطالب الجميع بالاستقلال ورفض الانتداب، إلا النقيب، فإنه أصرّ على المخالفة[٣].

ولم تقتصر معارضة الانتداب على رجالات بيروت، فلقد قامت في بيروت السيدة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي اللبناني بتقديم مذكرة إلى لجنة كينغ-كراين طالبت فيها أيضًا بالاستقلال والحرية والوحدة[٤].

ولكن اتضح فيما بعد لعارف النعماني أن لجنة كينغ-كراين كانت خديعة كبرى، الغاية منها كسب الوقت وامتصاص النقمة وتهدئة الأوضاع، وأن أميركا وإنكلترا لا تختلفان عن فرنسا الراغبة في قهر الشعوب واستعمارها.

ولقد حقق الحلفاء ما أرادوه من إرسال اللجنة التي شكّلت اعترافًا ضمنيًا من العرب بمبدأ الوصاية الأميركية أو الإنكليزية أو الفرنسية على البلاد العربية، وأظهرت للعلن نوايا الحلفاء بطرح القضية الصهيونية، وقضية فصل لبنان عن سوريا، وحددت زمن الوصاية، وضمنت حرية العبادة وحرية الكتابة، وعدم تجزئة سوريا خوفًا من التنافر، وبأن فيصلًا ملك.

---

(١) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٠٣ - ١٠٤.
(٢) S.N. Fisher: The Middle East A History, p. 378.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧)
(٤) مقابلة مع د. زاهية قدورة، ٢٥ أيار ١٩٩٦.

إذن الاستفتاء ركّز على استقلال الدول العربية المشروط بوصاية أميركية أو فرنسية أو إنكليزية، مع ضرورة الارتباط بالأمير فيصل. لقد كرّست لجنة كينغ-كراين مبدأ الوصاية أو الانتداب، والمؤسف أن العرب قبلوا بالاستفتاء، وشكّلوا اللجان لهذا الأمر، ولم يكونوا يعلمون بأنهم يسعون، وبإرادتهم، للانتداب.

حوار الجنرال غورو-النعماني حول استقلال لبنان

وهكذا نجد أن العرب ما كادوا يتخلصون من الأتراك حتى وقعوا فريسة المطامع الاستعمارية. فمن اتفاقية سايكس-بيكو إلى اتفاقية كليمنصو-فيصل إلى لجنة كينغ-كراين، ضمن مرحلة زمنية امتدت من أواخر ١٩١٨ إلى أوائل حزيران ١٩١٩، عمل العرب خلالها من أجل الاستقلال، وعملت الدول الأجنبية من أجل الوصاية، يساندها في ذلك بعض مسيحيّي لبنان.

مقابل ذلك بدأت القوى الوطنية في لبنان من مسيحيين ومسلمين تحركها، وذلك ما بين ١٥ حزيران و٢٥ تشرين الأول ١٩١٩، من أجل مقاومة مخططات فرنسا التي ظهرت في مؤتمر الصلح بعد لقاء كليمنصو-فيصل ومحادثات عمون-بلس-غانم. فبدأ التحرك السياسي الوطني من خلال الاجتماعات الممهدة لعقد مؤتمر عربي عام، وبالتالي إلغاء معاهدة كليمنصو-فيصل ثم تتويج الملك فيصل. فاجتمع أهل الساحل (بيروت وطرابلس وصيدا وصور ومرجعيون) في ١٥ حزيران ١٩١٩ يمثلهم السادة: توفيق البيسار ورشيد طليع ورياض الصلح وعفيف الصلح، وأهل الإقليم يمثلهم السادة: ابراهيم الخطيب، وتامر حمادة عن الهرمل، ورشيد نفاع عن المتن، وتوفيق مفرّج عن الكورة، ومحمود فاعور عن القنيطرة، وممثلو الأقضية الأربعة (حاصبيا وراشيا وبعلبك والمعلقة) وهم السادة: سعيد حيدر ومحمد علي حيدر ومراد غلمية. أما اجتماعات بيروت، فتمت في قصر عارف النعماني في منطقة حوض الولاية بحضور السادة: سليم علي سلام ورضا الصلح ومحمد بيّهم وأمين بيّهم وفريد كسّاب ومحمد اللبابيدي وجرجس حرفوش ومحمد الفاخوري وجان التويني[١].

وتجدد اجتماع بيروت في ٢ تموز ١٩١٩ في منزل سليم الطيارة مستشار

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

رئيس دار الاعتماد العربي السيد جميل الألشي، وبالاقتراع السري تم اختيار عشرة مندوبين للمؤتمر المزمع عقده وأربعة عشر عن المناطق. وانضم إليهم الشيخ رشيد رضا وفارس الخوري ويوسف أسطفان. وكانت نتيجة هذه الاجتماعات عقد المؤتمر السوري العام في دمشق أوائل تموز، وأصدر أول مقرراته، وهو التأكيد على استقلال البلاد السورية[١].

هذه التحركات والاجتماعات للقوى الوطنية اللبنانية الموالية لسوريا، أقلقت مجلس إدارة جبل لبنان، الذي اجتمع في ٢٢ تموز ١٩١٩ بحضور أربع وعشرين شخصية، وطالب باستقلال لبنان وضم بيروت تحت الوصاية الفرنسية. ولقد قامت السلطات الفرنسية بتسهيل سفر البطريرك الياس الحويك (ممثل مجلس إدارة جبل لبنان) إلى فرنسا للمطالبة بذلك في ٥ آب ١٩١٩[٢]. وعملت فرنسا على التدخل في الهيكلية الإدارية والقضائية للبنان، فعزلت المدراء والقضاة وعينت أشخاصًا موالين لسياستها دون استشارة مجلس إدارة جبل لبنان ثم انتقلت إلى تطويع القوى الوطنية المعارضة لحماية فرنسا في لبنان[٣].

فبدأ غورو اتصالاته مع القوى الوطنية المعارضة، بحجة تأليف مجلس استشاري خاص به، يسترشده كلما دعت الحاجة. فاتصل الجنرال غورو بأحمد نامي بك، طالبًا منه إقناع عارف النعماني بقبول عضوية المجلس الاستشاري الذي سيتألف من السادة: نخلة التويني، وعبد الله بيّهم، والداماد أحمد نامي بك. هذا الطلب أثار عجب عارف النعماني بقوله للداماد: "كيف طلب غورو ذلك وهو يعلم أني ضد الانتداب الفرنسي، وهو يعلم عقيدتي وميولي"[٤]. ورغم معرفة الجنرال غورو بذلك فلقد اعتبر وجود عارف النعماني في المجلس الاستشاري أمرًا ضروريًا.

واجتمع الجنرال غورو بعارف النعماني[٥] في مقره بقصر بسترس، حيث

(١) محمد جميل بيّهم: سورية ولبنان (١٩١٨ - ١٩٢٢)، ص ١٠٩.
(٢) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص ٨٨٨. جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٥٩٦ - ٥٩٩.
(٣) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص ٢٧٤ - ٢٧٧.
(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).
(٥) يذكر النعماني في مذكراته أن الجنرال استقبله وأخذه بيده إلى غرفته الخاصة حيث يوجد طاولة حولها مقعدان، عليها إبريق شاي. ولقد تقدم الجنرال وصبّ الشاي وقدّمه له واقفًا.

أطلعه على رغبته بالاجتماع به، رغم معرفته بعقيدته السياسية وما نقله بيكو عنه[١].
وتمنى الجنرال أن لا تشكّل هذه العقيدة مانعًا لعارف النعماني من الانضمام إلى المجلس الاستشاري، فردّ عارف النعماني قائلًا: "ليس هناك غموض ولا إبهام في عقيدتي، إنها تنحصر بالاستقلال والوحدة. وقد كان ذلك سهل المنال عندما دخلت الأمة العربية الحرب إلى جانبكم، وأعلنت ثورتها على الأتراك، بناء على وعدكم وتصريحاتكم الشهيرة المتكررة بالاستقلال والحرية، وارتباط بريطانيا بالكتب المتبادلة بين الشريف حسين - مكماهون، ولكن بريطانيا وحكومتكم نكثت بالعهود. ولم تحفظوا أيّ وعد إلا وعدكم لليهود بفلسطين، فإذا لم ترتدّوا عنه، وتحقّقوا ما وعدتمونا به خسرتم صداقتنا".

أثناء ذلك كان غورو يبتسم، وعند عبارة "خسرتم صداقتنا" قطب حاجبيه، وقاطعني: "أرجو التوضيح". أجبت: "بعد احتلال فرنسا للبنان، واحتلال إنكلترا لفلسطين والعراق، إذا لم يكن للأمة العربية أن تحقق الوحدة، فليقم اتحاد فيدرالي عربي يضم العرب ضمن استقلالهم الذاتي، على أن يكون لبنان مستقلًا داخليًا. أي أن يكون إمارة مستقلة حيادية، يرتبط بالعرب اقتصاديًا وماليًا، وليضاف إليه البقاع. وتكون مدينة بيروت مرفأً حرًا. هذا ما أراه الآن وسأسعى لتحقيقه"[٢].

وأضاف عارف النعماني: "إن تعلّق أهل البلاد بفرنسا إنما مردّه بقية من أمل بما سمعوه من عطف الحلفاء على قضاياهم الاستقلالية. ولكن السياسة العليا قضت على تلك الآمال"[٣].

أظهر الجنرال غورو احترامه لآراء عارف النعماني السياسية وأفكاره، مشددًا على ضرورة انضمامه إلى المجلس كمستشار خاص له، وليس للسياسة العليا، وتلافيًا لأغلاط قد يقع فيها قائلًا له: "فادخل خدمةً لبلادك".

وبالفعل صدر المرسوم بتشكيل المجلس الاستشاري، والذي لم يعقد سوى مرتين. ولكن كثر اتصال الجنرال غورو بعارف النعماني، حيث كان يقابله يوميًا، وربما أكثر من مرة في اليوم. وأحيانًا ليلًا، حسب الظروف.

(١) راجع: موقف عارف النعماني من اتفاقية سايكس - بيكو، ص ٣٩.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).
(٣) المصدر نفسه.

إذن كان هدف فرنسا من وراء إدخال عارف النعماني في عضوية المجلس الاستشاري تطويق القوى الوطنية المعارضة لسياستها داخليًا وخارجيًا. فلقد وجد الجنرال غورو أن عارف النعماني، يجمع بين الزعامة الداخلية في لبنان والمكانة الخارجية في سوريا. فاستغل ذلك بتعيينه مستشارًا له لكشف المشاكل مع المعارضة في لبنان وحلّها، ومعرفة كل التحركات في سوريا.." ولكن غاب عن فكر الجنرال غورو" كما يقول عارف النعماني: "أني لأمّتي ولأميري. وأني صديق للأمير ولست جاسوسًا عليه"[١].

أضف إلى ذلك أن لقاء غورو-النعماني يحدد الثوابت العقائدية للفكر السياسي لعارف النعماني بالنسبة لمعالجة قضية استقلال لبنان، إذ إن لقاء فيصل-النعماني سنة ١٩١٦[٢] لم يكن مختلفًا عن لقاء غورو-النعماني سنة ١٩١٩. فأولًا وأخيرًا كان محور اللقاءين قضية استقلال لبنان وضم ما سلخ عنه، أما العلاقات مع الدول العربية أو مع سوريا فلا تتعدى العلاقة الاقتصادية.

ونلاحظ أن كلام عارف النعماني وجد صداه لدى الجنرال غورو الذي تبنّى فكرة دولة لبنان الكبير. علمًا أن البطريرك الحويّك طالب بدولة لبنان الكبير.. ولكن مع الاستقلال والوصاية الفرنسية والعلاقات الاقتصادية مع فرنسا... من هنا تفرّد عارف النعماني بطرح دولة لبنان الكبير والاستقلال، دون وصاية، لا عربية ولا أجنبية.

إن اجتماعات القوى الوطنية الرافضة للانتداب الفرنسي على لبنان إضافة إلى تحرّك إدارة جبل لبنان وسفر الياس الحويّك إلى باريس للمطالبة بالحماية الفرنسية، واتصال الجنرال غورو بالقوى الوطنية، وبالتحديد بعارف النعماني، من أجل السيطرة على الموقف في بيروت، كل ذلك أدى إلى بلورة الأوضاع السياسية على الساحة اللبنانية. فقام الأمير فيصل في ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ بإرسال رسالة إلى كليمنصو أكد فيها محبته لفرنسا (الحرية والعدل والمساواة) ولكن السياسة الفرنسية في الواقع تقوم على التفريق بين أبناء الأمة العربية (أهل الحجاز- أهل العراق- أهل الشام) بل وأبناء فلسطين وسوريا والساحل السوري. ولم تكتف

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).
(٢) راجع: حوار فيصل النعماني، ص ٤١.

فرنسا بذلك بل قسمت لبنان على أساس طائفي ومذهبي (مسلم-مسيحي)[١].

ورغم ذلك بقي كليمنصو على موقفه السلبي، لأن شروط فرنسا في اتفاقية كليمنصو-فيصل لم تتغير حتى انعقاد مؤتمر الصلح.

أثناء ذلك كان مجلس إدارة جبل لبنان يتحرك بإيجابية فعّالة من خلال البطريرك إلياس الحويك الذي أرسل مذكّرة إلى مؤتمر الصلح في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩، جدد فيها المطالبة باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية، وطالب بتعويضات من تركيا وألمانيا عن خسائر لبنان في الحرب العالمية الأولى، وشدد على ضرورة مراعاة فرنسا للتفاوت الفكري والحضاري بين لبنان والعرب، مما يؤدي إلى منع إقامة أي اتحاد معهم، وألحّ على تكريس التعاون الاقتصادي مع فرنسا[٢]. ولقد مثّل ردّ كليمنصو على مجلس إدارة جبل لبنان حجر الزواية لإنشاء الكيان اللبناني[٣]، فلقد أكد على العلاقات الاقتصادية مع لبنان، وأن يحتفظ للجبل بالأراضي السهلية والمرافىء البحرية، وأن مؤتمر الصلح سيحقق أماني مجلس إدارة جبل لبنان بذلك[٤].

أعماله في المؤتمر السوري

ولكن ذلك كله لم يحل دون تضافر جهود القوى الوطنية في لبنان وسوريا وفلسطين لتهيئة جبهة من العرب الرافضين لواقع الهيمنة الفرنسية والمطالبين بالاستقلال، فقاموا بالدعوة لعقد المؤتمر السوري العام في ٨ آذار ١٩٢٠ في دمشق بحضور ٨٥ مندوبًا عن سوريا ولبنان، وتمحورت قرارات المؤتمر حول المسائل التالية:

- استقلال سوريا الكبرى (سوريا وفلسطين ولبنان).
- تتويج الأمير فيصل ملكًا على البلاد، وقيام الدولة السورية، ونشر الدستور.
- إنشاء مجلس للشيوخ ومجلس للنواب.

---

(١) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص ٢٨١ - ٢٨٦.
(٢) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص٩٦. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص٨٨٨. محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ٩٠.
(٣) عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧ - ١٩٢٠، ص ٥٢٥.
(٤) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص٢٨٠.

- إلغاء اتفاقية كليمنصو-فيصل.
- حفظ حقوق الأقليات في الانضمام إلى سوريا ولبنان، والدروز يتم إعطاؤهم الاستقلال ضمن الدولة السورية، أما بيروت والإسكندرونة فمدن حرة.
- رفض مزاعم الصهيونية في فلسطين.

ولقد برر المؤتمرون ذلك بالوعود الاستقلالية التي أطلقها الحلفاء ومناداة الرئيس الأميركي ويلسون باستنكار المعاهدات السرية وتحرير الشعوب، وأكبر مثال على ذلك الاستفتاء الذي قامت به لجنة كينغ-كراين في تكريس حق العرب في تقرير مصيرهم. واتفق المؤتمرون على تشكيل حكومة استقلالية برئاسة رضا الركابي[1].

واضح من المقررات الحرص على استقلال سوريا الكبرى ووحدتها تحت حكم الملك فيصل دون أي استثناء. وأعني بذلك أن لبنان حكمًا ضمن سوريا الكبرى. وحكومة رضا الركابي ستعمل ماديًا ومعنويًا من أجل تنفيذ ذلك.

هذه المقررات اطلع عليها عارف النعماني قبل أربع ساعات من وصول الوفد اللبناني وانعقاد المؤتمر. فوقع في حيرة من أمره بالنسبة لقرار ضم لبنان وعبّر عن ذلك بقوله: "إنه حين وضع القرار المتعلق بإعلان فيصل ملكًا على سوريا وفلسطين، أدخل المؤتمرون لبنان ضمن حدود المملكة، فخشي عارف النعماني من عرقلة الطريق للهدف الذي كان الجميع يسعون إليه. ولكنه بالمقابل لا يرى ذلك مناسبًا. لذا بدأ تحركه وذلك من منطلق ثوابته العقائدية السياسية والتي لا يستطيع أن يتغافل عنها أو يسمح للغير بتجاوزها. وكيف، والأمر يتعلق بكينونة لبنان؟»

وبالفعل أخذ القرار المتعلق بضم لبنان، وتوجه إلى قصر الملك فيصل، ولكن الملك رفض تعديل القرار المتعلق بلبنان لأنه سبق واتخذ قراره مع كافة

(١) حكومة رضا الركابي تألفت من السادة: علاء الدروبي (رئيس مجلس الشورى) رضا الصلح (وزير الداخلية) سعيد الحسيني (وكيل وزير الخارجية ويديرها عوني عبد الهادي ريثما يصل الحسيني) اللواء عبد الحميد فلطقجي (وكيل وزير الحربية على أن يديرها رئيس أركان الحرب يوسف العظمة) فارس الخوري (وكيل وزير المالية) جلال الدين زهدي (وكيل وزير الحقانية) ساطع الحصري (وزير المعارف) يوسف الحكيم (وزير وكيل التجارة). راجع: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤.

أعضاء المؤتمر. فأخذ عارف النعماني على عاتقه مسؤولية إقناع أعضاء المؤتمر، وذلك بمساعدة يوسف العظمة الذي كتب نص تعديل القرار بالنسبة للبنان، وأيضًا رئيس المؤتمر هاشم الأتاسي الذي سمح بمناقشة تعديل القرار المتعلق بلبنان مع أعضاء المؤتمر.

وسلّم القرار للشيخ رشيد رضا. وعندما بدأ بقراءة الفقرة المتعلقة بوضع لبنان، علت الأصوات مستنكرة. فعمل عارف النعماني وهاشم الأتاسي ويوسف العظمة على إسكاتها. وعندما طرح القرار للتصويت صدّق عليه المؤتمرون بالإجماع. واتهم آنذاك عارف النعماني من قِبل أعضاء المؤتمر السوري العامّ بأنه يحقق رغبات الجنرال غورو.

أما النص الذي سعى عارف النعماني إلى تعديله فكان ما يلي: "أن تراعى أماني اللبنانيين في كيفية إدارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، شرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي". وهذا النص مدوّن على الزنك في سجلّ المؤتمر[1].

لقد أصرّ عارف النعماني على تغيير القرار لاقتناعه بضرورة مراعاة وضع لبنان وإعطائه الحرية في إدارة مقاطعته، شرط الابتعاد عن الأجنبي. وهذا التفكير خارج عن مألوف تفكير مسلمي لبنان وخاصة أهل بيروت علمًا أن النعماني لا يشذّ عن هذا التفكير، ولكن مفهوم الوحدة مع بقية الدول العربية لا يعني الانصهار والذوبان بل التكامل. لذا دافع وأصرّ على حرية لبنان واستقلاله في إدارة شؤونه الإدارية والسياسية. ولم يتغاض النعماني ولو آنيًا عن حرية لبنان، لقد آمن بوضع لبنان الخاص والمميز رافضًا أيّ هيمنة تنتقص من سيادة لبنان واستقلاله.

وهذا يدفعنا دائمًا إلى التذكير بالفكر السياسي عند النعماني، فمن ١٩١٦ إلى ١٩١٩ إلى ١٩٢٠ نجده يتنقل ضمن محطات تاريخية زمنية، حاملًا معه ثوابته الفكرية الصلبة المطالبة دائمًا بلبنان عربي مستقلّ بعيد عن التأثيرات الأجنبية.

وبعد أن تم تتويج فيصل ملكًا، عاد عارف النعماني إلى بيروت وقد ازداد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢). نقل النص محمد جميل بيّهم: سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ١١٣ - ١١٩. ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤.

إعجابًا بعظمته، ولكن غورو أجابه: "بأنه كان يخشاه أميرًا أكثر مما يخشاه ملكًا"[١]. وربما كان العكس صحيحًا بالنسبة لما حصل بعد صدور مقررات المؤتمر السوري، إذ سرعان ما ظهر اتفاق لويد جورج-كليمنصو الذي نتج عنه عقد مؤتمر سان ريمو في إيطاليا. وأرسل مجلس إدارة جبل لبنان وفدًا إلى باريس في ١ آذار ١٩٢٠[٢] بانتظار قرارات المؤتمر، ليُصار إلى تطويقها خوفًا من أي مستجدات. وبعد انتهاء المؤتمر السوري أرسل عبد الله الخوري في ١٧ آذار ١٩٢٠ رسالة إلى البطريرك الحويّك يطمئنه فيها بأن شيئًا لن يتغير في موقف فرنسا[٣]، وقامت التظاهرات في لبنان مستنكرة مقررات المؤتمر السوري[٤]، وأرسل البطريرك الحويّك رسالة إلى مؤتمر الصلح محتجًّا فيها على مقررات المؤتمر، وتتويج فيصل ملكًا، والوحدة مع سوريا... مطالبًا بدولة لبنان الكبير والاستقلال والوصاية، مذكّرًا كليمنصو بالعلاقات التاريخية بين لبنان وفرنسا ودور الإرساليات في إعداد موظفين موالين للسياسة الفرنسية[٥].

نلاحظ هنا كما ذكرنا سابقًا التقارب في وجهات النظر بين النعماني والحويّك حول دولة لبنان الكبير والتباعد الحادّ بينهما حول ضرورة الاستقلال مع، أو بدون، وصاية أجنبية.

وطلبت فرنسا من خطباء الجوامع في بيروت عدم الدعاء للملك فيصل لأن ذلك يشكّل اعترافًا به. بل الدعاء للخليفة العثماني محمد وحيد الدين السادس. فاستنكر خطباء الجوامع، ذلك ورفض الشيخ محمد المكاوي هذا الإجراء (قاضي بيروت وخطيب مسجد المجيدية)، وصار يخطب ضد الانتداب الفرنسي. فكان من نتيجة ذلك أن اعتقله الفرنسيون وسجنوه في جزيرة أرواد، وطلبوا إليه أن يعتذر علنًا على المنبر ويكتب ذلك ويوقّعه، فرفض، فربطوه في حبل وأنزلوه في بئر فيه

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢).
(٢) Conference de la paix à la secreterie de la délègation de l'empire Britanique, No. 254, 24 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44. تألف الوفد من السادة: عبد الله الخوري وأميل إده وتوفيق أرسلان ويوسف الجميل.
(٣) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ١٥٤ - ١٥٥.
(٤) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص١٠٣. أنيس مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص٩١٦.
(٥) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٣٤.

ماء بارد. وكان الفصل شتاء، وهو طاعن في السن فأصابه الرشح ونزلة صدرية، وكاد أن يموت. فأخلت فرنسا سبيله مقابل عدم مهاجمته فرنسا[١].

أما في دمشق فقامت الحكومة الركابية، بالرد على اتفاقية لويد جورج-كليمنصو، بمحاولة الاتصال في ١٨ آذار ١٩١٩ بلويد جورج للالتفاف على فرنسا وشق التحالف البريطاني-الفرنسي، والقضاء على مصالح فرنسا في الشرق. فمقابل اعتراف إنكلترا باستقلال سوريا الكبرى تضمن الحكومة الركابية المحافظة على المصالح البريطانية والإفادة من مساعداتها في حدود الاستقلال.

إذن فقد ساعد المؤتمر السوري العرب على تحريك الأوضاع السياسية وقلبها، وفضح التحالفات السرية بين فرنسا وإنكلترا. وأظهر قوّتهم في أخذ المبادرة، وفرض قراراتهم دون أيّ اكتراث بالحلفاء. لذا سارعت فرنسا إلى عقد تحالف مع إنكلترا، واستنكر المفوض السامي الفرنسي في لبنان الجنرال غورو مقررات المؤتمر. وقامت البطريركية المارونية ومجلس إدارة جبل لبنان بالضغط على فرنسا لإلغاء مقررات المؤتمر. مقابل ذلك قامت الحكومة الركابية بمحاولة عقد تحالف مع بريطانيا.

ولقد أدى هذا الصراع بين القوى المعنيّة بقضية سوريا الكبرى إلى الإسراع بكشف أوراقها وتحالفاتها السرّيّة تحسّبًا لما قد يقوم به الملك فيصل من أعمال عدائية ضد فرنسا، تعطيه القدرة على فرض قرارات المؤتمر السوري العام بالقوة على الحلفاء في مؤتمر الصلح.

عارف النعماني ونتائج مؤتمر سان ريمو

أسفرت هذه الصراعات عن عقد مؤتمر دولي بين الحلفاء في ٥ أيار ١٩٢٠ في سان ريمو بإيطاليا لتوضيح مسار التحالفات الفرنسية-الإنكليزية المتعلقة بسوريا الكبرى، تمهيدًا لمجابهة مقرّرات المؤتمر السوري. فاتفق على فرض انتداب فرنسا على سوريا ولبنان وإنكلترا على العراق وفلسطين. لأن هذه الدول غير مؤهلة للحكم والاستقلال. ولا بد من الانتداب تمهيدًا لممارسة الحكم الذاتي

(١) الشيخ شقيق يموت، جريدة اللواء ١٩٩٧/٦/٤.

فيما بعد...[١].

هذه القرارات فجّرت الأوضاع الداخلية في سوريا ولبنان، فقامت التظاهرات في دمشق مما عجل باستقالة حكومة رضا الركابي، وتشكيل حكومة هاشم الأتاسي[٢]. واندلعت الفتن الطائفية، وارتفعت الأصوات مطالبة الأمير فيصلًا بإعلان الحرب، فرفض علنًا ولكنه تغاضى عنها ضمنيًّا. هذه الردة العنيفة من جانب العرب ضد مقررات مؤتمر سان ريمو تزعمتها حكومة الأتاسي. فقام يوسف العظمة، بتتبع أخبار المعارك المندلعة في جبل عامل والبقاع ومناطق النصيرية (اللاذقية) وأنطاكية والجزيرة...[٣].

ونتيجة ذلك ساءت العلاقات السورية-الفرنسية. وتأزم الموقف بين الأمير فيصل والجنرال غورو، الذي حاول مقابلة الأمير لاستجلاء حقيقة هذه الأوضاع السياسية المستجدّة. فردّ عليه ببرقية مقتضبة وغير واضحة، فطلب الجنرال غورو عارف النعماني عند الساعة الحادية عشرة ليلًا.

وأنقذ مجيء النعماني الجنرال غورو من ضيقه وانزعاجه فقال غورو للنعماني: "خذ واقرأ". وكان نص البرقية هو التالي: "تكرار الاعتداء المجرم على الطائفة الإسلامية يجعلنا نخشى مقابلته في دمشق. الإمضاء: فيصل". وقال الجنرال غورو: "أيجوز لرجل مسؤول كالأمير أن يكتب لرجل مثلي هذه البرقية؟"[٤].

وتوجه عارف النعماني ليلًا إلى دمشق لاستجلاء حقيقة الموقف، فوصل الصالحية عند الساعة الثانية تقريبًا بعد منتصف الليل، فاستقبله يوسف العظمة، وفيما بعد، دخل غرفة نوم الأمير فيصل محاولًا تهدئة الموقف المتأزم بين حكومة

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص ٢٧٨.
E. Rabbath: La formation Historique du Liban politique et constitutionnel, p 289.
(٢) تشكلت حكومة هاشم الأتاسي الذي تولى رئاسة الوزارة والداخلية من السادة: عبد الرحمن الشهبندر (الخارجية)، يوسف العظمة (الحربية)، فارس الخوري (المالية)، جلال الدين (العدلية)، ساطع الحصري (المعارف)، جورج رزق (التجارة).
راجع: جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٢٠.
(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٤.
(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٨).

الشام والجنرال. فكان رد الأمير: "إن الاغتيالات في بيروت، والضواحي والجنوب، هيجت الرأي العام في دمشق. وسرت إشاعات أنها نتيجة لخطة مدبَّرة من جانب فرنسا، فاضطررت لإرسال برقية إلى الجنرال لتهدئة الرأي العام، وتلافيًا لما يمكن أن يحدثه القلق والهياج ضد مواطنينا في دمشق". فرد عارف النعماني قائلًا: "الرأي العام أحيانًا يجرّ المسؤولين إلى أشياء قد تضر جدًّا بقضيته".

ومنعًا من إشعال الفتن والوصول بالبلاد إلى نفق مظلم، طلب عارف النعماني من الأمير كتابة رسالة توضح حقيقة وخلفية البرقية التي وجهها إلى الجنرال بقوله: "إني لم أقصد إزعاجكم، إنما قصدت لفت نظركم لإعطاء الأوامر المشددة لمن بيدهم أمر الأمن، كي نتجنب قيام بعض العناصر المشاغبة، وتحت ستار الطائفية، بأعمال لا نرضاها نحن ولا أنتم، وخاصة في هذه الظروف الحرجة". وبالفعل جلي الأمر كلّيًا بالنسبة إلى الجنرال غورو[١].

وكان هدف النعماني من تلك الوساطة قطع الطريق على المشاغبين الذين أشعلوا نار الفتن المذهبية في لبنان وسوريا بهدف إغراق البلاد بالفتن الداخلية، وإلهاء سوريا عن التصدي عسكريًّا لمقررات مؤتمر سان ريمو. والحقيقة أن الأمير كان يدرك أن فرنسا وراء قيام الفتن الطائفية في لبنان، من خلال تذكير المسيحيين بحوادث ١٨٦٠، وبالدعوة إلى الفينيقية، وإظهار العرب كوحش[٢]، لذا حاول الأمير من خلال رسالته إلى غورو إفهامه أن ألاعيب فرنسا وخططها باتت مكشوفة، وأنه لا يستطيع تهدئة الرأي العام في دمشق إلا من خلال رفضه لقاء غورو، وذلك حتى تقلع فرنسا عن ممارسة إثارة الفتن الطائفية.

لجأت فرنسا إلى إشعال نار الفتن الطائفية، لإثارة حرب داخلية في سوريا ولبنان تعيق الحكومة الأتاسية عن تنفيذ مخططاتها ضدها وذلك كسبًا للوقت ريثما تنتهي قضية الحرب مع كيليكيا. ولكن الحكومة الأتاسية واجهت ذلك بعناد.. فقامت بتفجير المعارك في كافة المناطق السورية واللبنانية ضد الحكم الفرنسي، وخفضت التجنيد الإجباري لمدة سنة، وقامت بإصدار قرض بنصف مليون دينار

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).
(٢) أنيس صايغ: لبنان الطائفي، ص ٤٢٠.

سوري من أجل تمويل الخطط العسكرية. . واتصلت الحكومة الأتاسية بالأتراك الكماليين (نسبة إلى كمال أتاتورك) في كيليكيا لقطع خطوط الإمدادات العسكرية على القوات الفرنسية التي تحارب الأتراك هناك. وذلك بمنع الفرنسيين من استعمال سكة حديد (رياق–حلب)، فانهزمت فرنسا في كيليكيا واضطرت إلى عقد هدنة مع الأتراك لتتفرغ للحرب في سوريا. مقابل ذلك بقي مرفأ بيروت مشرعًا لاستقبال القطع الفرنسية والجنود[١].

والواقع أن هذا القرار (قطع خط سكة حديد رياق–حلب) المفاجىء، نزل كالصاعقة على رأس الجنرال غورو، الذي أرسل في طلب عارف النعماني بعد منتصف الليل. فوجد الجنرال بحالة عصبية سيئة ينقر بأصابعه على مكتبه. وعندما رآه رُدت الروح إلى الجنرال الذي هتف قائلًا: "وهذا ضرب جديد من صديقك (يعني الأمير فيصل)! إنه يمنع مرور القطع العسكرية الفرنسية عن طريق حلب إلى كيليكيا مع علمه أننا ما زلنا مشتبكين مع الأتراك، وأنا مضطر لإرسال نجدة، والأمير بحالة حرب مع تركيا. . فكيف يمنع مرور حلفائه ضد أعدائه؟ إذا أصرّ فسيسبّب كارثة عسكرية، وسأقتحم الممر بالقوة، فالجنود والقاطرات في رياق تنتظر الأمر. ولم يخطر ببالي أن الأمير سيمنع وحداتنا من المرور، ولقد أبرقت منذ الساعة السابعة مساء، وحتى الآن لم أتلقّ جوابًا. والساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل"[٢].

هذا الموقف يبين لنا حجم المساعدات التي قدمها العرب للحلفاء من أجل الاستقلال، وأن قليلًا من الجرأة في دفاعهم عن أراضيهم وحقوقهم تظهر لنا مدى مراوغة الحلفاء في تحقيق أماني العرب، وتسخيرهم فقط من أجل تحقيق مطامعهم الاستعمارية، وهنا يظهر لنا سبب الصدمة التي أُصيب بها غورو بسبب تصرف الأمير. .

وأتت البرقية من الأمير. فقام عارف النعماني بترجمتها وقد جاء فيها ما يلي: "إنه، نظرًا لظروف حرجة، واعتبارات شتى، لا يمكنني السماح بمرور جنود أجنبية في الأراضي السورية. الإمضاء: فيصل". وقرر عارف النعماني التوجه إلى

(١) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص٤٤.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

دمشق فوصلها مطلع الشمس حيث تشاور مع الأمير فيصل بالمشكلة. فسمح للجنود الفرنسيين بالمرور شرط عدم البقاء في محطة حلب أكثر من ساعتين[١].

مما تقدّم نلاحظ تدخّل عارف النعماني لمنع التوتر في العلاقات السورية–الفرنسية، يساعده في ذلك علاقته بالجنرال غورو الذي اعتبره مستشارًا سياسيًا له. ولقد أثبت النعماني حنكته ودرايته في حل أصعب المواقف السياسية بين فرنسا وسوريا (قضية النعرات الطائفية، قضية سكة حديد رياق–حلب).

أضف إلى ذلك أن العلاقة الشخصية بينه وبين غورو، قامت على الصدق والثقة واللياقة لدرجة استشارته في إقامة حفلات رسمية أو إلغائها، وحتى في اختيار من يدعو من الشخصيات الرسمية. بالمقابل كان عارف النعماني يفرض على الجنرال غورو حضور بعض الاحتفالات الدينية كاحتفال التوحيش[٢] في جامع البسطة. وربما كانت الغاية من ذلك إعطاء غورو صورة صادقة عن مسلمي لبنان وعفويّتهم وتديّنهم وحبّهم لفرنسا (الحرية، العدل، المساواة) وبأنّهم ليسوا وحوشًا كما يحلو للبعض أن يصوّرهم. .

كل ذلك يبيّن لنا نوعيه العلاقة بين غورو والنعماني التي تصل إلى حد إشراك الواحد للآخر في شؤونه وهمومه العامة وحتى الخاصة، الهامّة والخطيرة منها والعاديّة التقليدية. . وما ذلك إلا نوعًا من الصفاء الوجداني بين الأشخاص ينساق وفق انسجام فكري مع الآخرين، وإن اختلفت وجهات النظر في الأمور السياسية، وخاصة ما يتعلّق بمصلحة الوطن.

أما الأمير فيصل فعلاقته به تعود إلى ما قبل ثورة الشريف حسين، فلقد وجد

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).
(٢) التوحيش: تقليد ديني يمارس على شكل احتفال، يقوم به المسلمون كتعبير عن الوحشة لفراق شهر رمضان. وقد طلب شباب لجنة جامع البسطة أواخر سنة ١٩١٩ من عارف النعماني حضور غورو حفلة التوحيش. قال النعماني: «ولمّا اقترحت على غورو الحضور. سألني رأيي، فاقترحت عليه القبول، ولكن غورو لم يأت. وسألت الضابط الذي جاء ليعتذر عن مقرّه، فقال: "النادي العسكري الفرنسي" – حيث كان يحضر حفلة راقصة للجالية الفرنسية – وذهبت إلى النادي. وخرج غورو لاستقبالي، فقلت بلهجة مازحة: إن حضور حفلة دينية صعب عليك. ولكن الشباب لا يفهمون ذلك". فقرر غورو مرافقة النعماني بسيارته، ولحقت به سيارته الخاصة واستقبل استقبالًا رائعًا. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٠).

فيه الزعيم المناضل من أجل الاستقلال، فاعتبره المجسّد لأمانيه. لذا تقرّب منه لمساعدته على استقلال لبنان. نتيجة ذلك بات الأمير فيصل صديقًا ارتبط معه سياسيًا وشخصيًا، فعمل عارف النعماني على حل الأزمات السياسية التي كانت تقع بين الأمير فيصل والجنرال غورو، مشكّلًا بذلك صمام الأمان بينهما.

مقابل ذلك عمل عارف النعماني على ترطيب الأجواء السياسية بين الجنرال غورو والأمير فيصل متحيّنًا الفرص لجمعهما معًا. فحين أتى الأمير إلى بيروت، متجهًا منها إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح، أقام عارف النعماني حفلًا على شرفه في نادي سباق الخيل في بيروت. ودعا أيضًا الجنرال، واصطحب النعماني الأمير بعربته، فاستُقبل استقبالًا رائعًا من قِبل شباب منطقة البسطة الذين هتفوا (بدنا الحرب) لأن الأمير فيصل كان يجسّد آنذاك آمال الشعوب العربية بالاستقلال والوحدة. ووسط الموسيقى العسكرية الفرنسية استقبل الجنرال وضبّاطه الأمير فيصل، وعارف النعماني[١].

هذه العلاقات الشخصية السياسية بين عارف النعماني والأمير فيصل والجنرال غورو لم يستغلّها من أجل منصب وزاري أو زعامة[٢] بل كان الهدف الأسمى لديه استقلال لبنان وإبعاده عن الهيمنة الفرنسية، ليبقى منسجمًا مع محيطه العربي. فكان أشبه بالمايسترو الذي ضبط آنذاك إيقاع السياسات السورية-الفرنسية-اللبنانية بإيجاده صيغه تفاهم بين فيصل وغورو من أجل الحفاظ على النظام العام. فسعى بحكمة ورويّة، من أجل تقريب وجهات النظر المختلفة بين حاكمين قويّين، يتعاطيان الشأن السياسي بغايات وأهداف جدّ متباينة ومتناقضة،

(١) «في آخر شوط للسباق، أطلق جوادان جُدلت في شعر معرفة أولهما وناصيته ثلاث شرائط حريرية تمثل العلم العربي، وفي ثانيهما شرائط تمثل العلم الفرنسي. وأعلن الأمير بصفته الحكم فوز الجواد الذي يحمل العلم الفرنسي. واتضح للجمهور العكس، وظهر أن الأمير قام بذلك من باب اللياقة. ولكن الجمهور أنكر ذلك، وكاد أن يقلع ناصية الأمير والجنرال». راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩١).

(٢) عندما طلب منه أصدقاؤه الترشح «للانتخابات النيابية» أجابهم: "إن فرنسا ستحاربني لأني أعمل ضدها" علمًا بأن النعماني كان له منزلة هامّة بين أبناء وطنه، ولطالما حُملت عربته على الأكفّ... وبالفعل ترشّح للانتخابات. فخاضها ضد عبد القادر حمود، وخاضها أيضًا حليم قدورة ضد خير الدين الأحدب، وسقط عارف النعماني في الانتخابات. من مقابلة مع عبد الرحمن عارف النعماني ١٠/٧/١٩٩٧. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

ضمن مرحلة تاريخية مصيرية ودقيقة جدًا، يحاول فيها كلا الطرفين إسقاط الطرف الآخر في المطبّات السياسية من أجل القضاء عليه.

أثناء ذلك عمل عارف النعماني في حركة دؤوبة وحس وطني من أجل نزع فتيل الحرب بينهما، ريثما ينتزع الأمير الاعتراف الدولي بمملكته، وذلك تحقيقًا للهدف الأسمى.. وهو الاستقلال.

دعمه المادي لمجلس إدارة جبل لبنان

وفق ما ذكرنا عن علاقات عارف النعماني السياسية والشخصية بالأمير فيصل والجنرال غورو، لاحظنا أن الوضع السياسي السائد بين فرنسا وسوريا ولبنان كان غير مستقر، ويميل دائمًا إلى التوتر والانفجار، لولا وساطات النعماني التي كانت تعيد الأمور السياسية إلى مسارها السلمي. والمعروف أن هذا الجو المتوتر من جانب فرنسا كان نتيجة إعلان العرب قيام مملكة سوريا الكبرى الموحدة المستقلة. فردّ الحلفاء على ذلك بعقد مؤتمر سان ريمو الذي نص على الانتداب الفرنسي البريطاني لسوريا الكبرى، مما أدى إلى تفجّر الثورات وتوتر العلاقة مع فرنسا. ولكن بقي السؤال، إلى متى يستمرّ الوضع السياسي في لبنان وسوريا على هذا الحال ومؤتمر الصلح لم يحدّد أو يعلن مقرراته النهائية، والخلافات ما زالت قائمة بين دول الحلفاء ودول المحور بانتظار المستجدّات السياسية؟

رغم ذلك تابعت الحكومة الفيصلية سياستها الهادفة للقضاء على الوجود الفرنسي في سوريا ولبنان.. وظهرت تحركاتها في لبنان من خلال محاولتها القضاء على مجلس إدارة جبل لبنان الذي طالب بانتداب فرنسا وبقائها في لبنان... فبدأت الحكومة الفيصلية تعمل على إظهار الموارنة بأنهم لا يريدون فرنسا، وأن استفتاء لجنة كنغ-كراين الذي تعتمد عليه فرنسا في بقائها في المشرق باطل، وأن العرب لا يريدونها إنما يريدون الاستقلال بالاتفاق مع سوريا.

لذا قامت القوى الوطنية في سوريا ولبنان بالتحرك ضد تسلّط لابرو (متصرف جبل لبنان الفرنسي) لتحقيق الاستقلال. فاستدعى الأمير فيصل الأميرلاي سعيد البستاني الذي كان يعمل من أجل التفاهم بين سوريا ولبنان لإقناعه بضرورة الاتحاد بين سوريا ولبنان، واتفقت وجهات النظر بينهما على ضرورة دفع مجلس

إدارة جبل لبنان (والذي يعتبر دعامة فرنسا في لبنان) للمطالبة باستقلال لبنان في مؤتمر الصلح، كردّ على رفض مقررات مؤتمر سان ريمو، والحماية الفرنسية. وتعهّد سعيد البستاني للمعتمد العربي في لبنان جميل الألشي بالاجتماع بأعضاء مجلس الإدارة، فالتقى جميل الألشي مع الأمير أمين أرسلان لتنسيق المواقف مع بقية أعضاء المجلس[1].

مما تقدم، نلاحظ تمحور العمل السياسي آنذاك بين المسيحيين والمسلمين في لبنان على الاستقلال في إطار التضامن العربي، والاتفاق مع سوريا بالنسبة لقضية ضم الأقضية الأربعة.

وهذا التحرُّك أيضًا لأعضاء مجلس الإدارة يكشف لنا عمق النزاع بين السلطة المنتدبة والإرادة اللبنانية من أجل خروج لبنان من واقع الحماية الفرنسية، وإلغاء صلاحية المفوض السامي.

لذا ابتكر زعماؤه صيغة لميثاق وطني عرف «بالمضبطة». ولقد قام رياض الصلح، وبإيعاز من والده رضا الصلح (وزير الداخلية في سورية)، بالاتصال بسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وسعد الله الحويّك لكتابه مضبطة الاستقلال والتي نصّت على ما يلي:

١- استقلال لبنان الكبير استقلالًا مطلقًا.

٢- حياده السياسي (لا يُحارِبْ ولا يُحَارَبْ) حيث يكون بمعزل عن كل تدخل حربي.

٣- إعادة الأراضي اللبنانية المسلوخة منه بموجب اتفاق مع سوريا.

٤- يجري درس المسائل الاقتصادية من قبل لجنة مؤلفة من الطرفين (لبنان - سورية) وتنفّذ بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا.

٥- يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وأحكامها.

وقّع هذه المضبطة أعضاء مجلس الإدارة السادة: سعد الله الحايك وخليل

(١) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص ٩٢١. أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٥ - ٤٩.
Gen: Gourand à quai d'orsay, No. : 2864, 25 Mars 1920 in F.O 371/5034/44.

عقل وسليمان كنعان ومحمود جنبلاط وفؤاد عبد الملك والياس الشويري ومحمد الحاج محسن. إذ كانوا يشكّلون أكثرية المجلس. أما بقية الأعضاء فلم يُطلب توقيعهم، وهم السادة: نقولا غصن ويوسف البريدي وحسني الحجار ومحمد صبرا الاعور ونعوم باخوس نائب كسروان الذي سبق واستقال من منصبه[1].

صدرت هذه المقررات في ١٠ تموز ١٩٢٠. وقد صيغت وَفْقَ عريضة قدّمها أعضاء المجلس الـ ١٢ (استقالة عمون) إلى مؤتمر الصلح. حيث شرحوا فيها مطالب اللبنانيين بالاستقلال، بقولهم: "ولمّا كان استقلال الجبل ثابتًا تاريخيًّا منذ أجيال طويلة، وموقعه وطبيعة أهله الموالفة للحرية الاستقلالية، مما يستلزم حياده السياسي، لوقايته من مطامع جيرانه، وقد دل على ذلك، ما أحدثته المقاطعة من تحرّك النعرات الطائفية لدى الجهلاء في البلدين، لذا بذل المجلس مزيدًا من الاهتمام، توصّلًا لوفاق يضمن حقوق البلدين المتجاورين (سوريا-لبنان) ومصالحهما، وذلك باعتماد المقررات الخمسة ضمانًا لذلك[2].

واضح من ذلك أن الغاية كانت رفع الانتداب، واستبدال معاهدة حبّية به تصون استقلال لبنان.

تم الاتفاق على هذه المقررات بسرية تامة ووقّعت في منزل نجيب الأصفر في بيروت، دون علم داود عمون وحبيب باشا السعد، لأنهما كانا لفرنسا قلبًا وقالبًا. وبرزت مشكلة المال، لتأمين انتقال أعضاء مجلس الإدارة من بيروت إلى دمشق، فحيفا، فباريس. وتعهّد عارف النعماني بدفع عشرة آلاف وخمسماية ليرة ذهبية، أي بمعدل تسعمائة ليرة ذهبية لكل عضو. وطلب رياض الصلح ضمان المبلغ، وتحرير صك بذلك لضمان سفر الأعضاء. ووافق سليمان كنعان على توقيع السند، فكفله الأمير أمين أرسلان، لمدة خمسة عشر يومًا.

وتعهدت الجمعيات الوطنية في المهجر، دفع نفقات الإقامة في باريس دون تحديد لمدة الإقامة. وذكر بشارة الخوري أنه اطلع على المضبطة وكاد أن يوقّعها ولكنه اعترض على قضية المرور على دمشق، وربما خشي من إضافة بنود سرّيّة

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢).
جريدة اللواء بتاريخ ١٤/١٢/٩٥، ص٨. من مقال لضاهر ريشا.

(٢) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص٤٦.

على المضبطة. ووقع بشارة الخوري في حالة لبس تجاه ذلك ولم يشارك في التوقيع. وتوجَّه الأعضاء بسيارات متفرقة إلى دمشق للانضمام إلى الوفد السوري المتوجّه إلى مؤتمر الصلح في باريس.

ففي ليل ٩-١٠ تموز ١٩٢٠، وعلى مقربة من رويسات صوفر، اعترض حاجز فرنسي سيارة سليمان كنعان نائب جزين وولده مارون ورياض الصلح في المديرج أمام نفق السكة الحديدية. فطلب سليمان كنعان من ولده مارون ورياض الصلح العودة إلى بيروت. فتوجه رياض إلى دمشق بالقطار، أما سليمان كنعان فقد اعتقلته السلطات الفرنسية مع محمود جنبلاط نائب الشوف وسعد الله الحويّك نائب البترون والياس طنوس الحويّك وخليل عقل ورشيد خليل عقل وأمين أرسلان ومحمد محسن نائب الهرمل والياس الشويري نائب المتن وسعيد البستاني أمير الجند اللبناني وفؤاد عبد الملك نائب جزين ويوسف البريدي نائب زحلة. وفيما بعد اعتُقل عارف النعماني[1]، واتُّهِم نجيب الأصفر بأنه وراء ذلك[2] وتذكر بعض المراجع بأن وديع كرم هو الذي أفشى سر المضبطة[3]، ولعل في ذلك بعض الصواب لأن نجيب الأصفر سيكون فيما بعد شريكًا لعارف النعماني في مشاريعه المستقبلية في العراق.

واقتيد المعتقلون إلى الطابق الأرضي للسراي الصغير، وكانت التهم الموجهة إليهم، أن المعتقلين، حاولوا السفر إلى أوروبا عن طريق دمشق وحيفا بدون إذن الحكومة الفرنسية وهناك أيضًا تهمة المضبطة التي وضعها أعضاء مجلس الإدارة، معبرين فيها عن الأماني اللبنانية المتعلقة بفرنسا وحكومة فيصل. وآخر التهم قضية المال...

والواقع أن قضية مضبطة مجلس إدارة جبل لبنان، أثارت الذعر لدى الفرنسيين والمسيحيين في لبنان. وخاصة الجنرال غورو الذي اتهم أعضاء

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٢). زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص١٦٧. أمين الريحاني: ملوك العرب، ج٢، ص٣٥٣. بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص ١٠٥. يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، ص ٩٢١. أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص٤٨. حسان حلاق: التيارات السياسية في لبنان، ص٥٥ - ٥٦.

(٢) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العامّ، ج٢، ص٢٣.

(٣) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، ص٤٨.

المجلس بأنهم ابتيعوا بدراهم الأمير فيصل وأعوانه. واستنكر ذلك داود عمون وأغناطيوس مبارك وأميل إده[1] والبطريرك الياس الحويّك الذين اتهموا أعضاء المجلس بالخيانة[2].

وبناء عليه ألغى الجنرال مجلس إدارة جبل لبنان لأنه رفض الانتداب، وشُكِّلت مكانه لجنة إدارية مؤقّته، ووجّه إلى الأمير فيصل رسالة اتهمه فيها بشراء مجلس الإدارة. وألّفت فرنسا مجلسًا عسكريًا برئاسة الكولونيل فوكرسون وعضوية كليمنصو وديبوي ولابير لمقاضاة أعضاء مجلس الإدارة بتهمه الخيانة العظمى[3].

بدأت محاكمة سليمان كنعان. تحدّث عن المضبطة والمال وعن علاقته بالأمير مصطفى أرسلان الذي أكّد رفضه للبنان الكبير في ظل الانتداب وعن مبدأ الأمير أرسلان الشريفي والوحدوي، وبأن كنعان صار مثله (أيّ رفض لبنان الكبير ويريد الوحدة مع سوريا).

وهنا عاد رئيس الجلسة لسؤال كنعان عن اسم الرجل الذي أدانه المال، فأنكر معرفته به شخصيًّا وقال: «أن جلّ ما يعرفه بأنه وقَّع على سند بإمضائه لأمر تاجر من بيروت، وأظنه من بيت النعماني، وكان الأمير أرسلان الواسطة بيننا، وهو الذي كفل توقيعي على السند». واستغرب الرئيس أن يكون لدى تاجر مسلم مبلغ كبير بهذا الحجم لأجل ملاحقة قضية لبنان، ولا بدّ أن يكون المال لإيجاد اتفاق بين لبنان وسوريا.

ولكن كنعان، أكّد أن بين المسلمين أنصارًا للبنان، كما أن بين المسيحيين أنصارًا للوحدة السورية.

وسأل الرئيس الأمير أرسلان عن المال، فأكّد بأن كنعان (صديقه الشخصي) قد طلب منه أن يكفله على سند بقيمة عشرة آلاف ليرة مصرية، فكفله. وسأله

(١) إميل إده: غربيّ التفكير، قطع جذور الانتماء العربي للمسيحيين في الشرق وقال بانتماء المسيحيين إلى شعوب البحر المتوسط، ولقد قام سنة ١٩٤٣ باعتقال حكومة الاستقلال وحبس أعضائها في راشيا. راجع: زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص١٦٧.

(٢) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص٤٩ - ٥٢.

(٣) المصدر نفسه.

الرئيس عن اسم الشخص الثالث، فأكّد أرسلان بأنه ليس من حقّه البوح في معاملات خاصة، فأكّد الرئيس: «أن كنعان قد صرّح بأنه قبض المال منك وعلى طاولتك، فمن أين أتيت بالمال؟»

فردّ الأمير غاضبًا بأنه لم يدفع مالًا من يده وكل ما قام به هو أنه كفل إمضاء كنعان على السند المكتوب لأمر التاجر البيروتي (يعني النعماني). ولكن الرئيس استحلف أرسلان بشرفه ليذكر اسم الشخص الثالث الذي دفع المال لكنعان. فقال: «إن الشخص الثالث الذي كان معنا هو رياض الصلح». فاستغرب الرئيس الاسم! فقال له المدير العام للجلسة: «ابن وزير داخلية سوريا».. وهنا علت الضجة في المحكمة. فقال الرئيس: «إذن المال من أبيه». فأنكر أرسلان ذلك، وأكّد أن المال من بيروت.

واستدعي النعماني فورًا، وسأله: «إن كان يعرف كنعان». فنفى معرفته به. ونفى كنعان أيضًا معرفته بالنعماني، وسأل الرئيس النعماني: «كيف تم دفع المال لكنعان؟» فاستغرب النعماني قضية المال وأن يكون قد دفع مالًا لكنعان أو طلب منه دفع مال لكنعان، وهنا احتدّ الرئيس وقال للنعماني بأنه دفع المال بواسطة رياض الصلح.

وأجاب النعماني: «بأن رياض الصلح قد زاره كصديق وطلب منه أن يكتب سندًا بقيمة عشرة آلاف جنيه مصري لأنه له معاملة تجارية، ومسألة شراء حرير وشرانق من الجبل، فقبلت أن يكتب سندًا لأمري كي أخدمه». وزادت دهشة الرئيس! وأكّد النعماني مجددًا بأنه لم يدفع مالًا، ولم يستلم سندًا، ولا يعرف سليمان كنعان. وسأل الرئيس عن السند. فأجابه النعماني: «إنه في حوزة رياض الصلح». واستغرب الرئيس ذلك فأجابه النعماني: «لأني لم أدفع مالًا فلا حاجة بي إلى السند».

وطلب الرئيس أن يبقى النعماني تحت تصرُّف المجلس الحربي. بعد ذلك طلب الأمير أمين إخلاء القاعة وأن تكون الجلسة سرّيّة...

واستحلف المجلس العسكري الأمير أمين بشرفه عن اسم الشخص الذي دفع المال لأعضاء المجلس، فاعترف باسم عارف النعماني. واعتقلت السلطات

الفرنسية عارف النعماني[١].

وأصدر المجلس الحربي الدائم للأراضي السورية في ٢١ تموز ١٩٢٠ حكمًا بتجريم عارف النعماني لاشتراكه برشوة موظفين رسميين، وهناك أسباب تخفيفية تقضي بحبسه لمدة سنتين أو دفع غرامة ١٢,٥٠٠ ل.س. وحُكم بأغلبية ثلاثة أصوات ضد صوتين، وخفف الحكم من السجن إلى الاقامة الجبرية بناء لطلب فخري بك وبترو طراد. وقبِل غورو ذلك نظرًا لصداقة عارف النعماني وخدماته لفرنسا ولأنه لم يتقاض مالًا[٢]. ولكن الجنرال غورو لم يصدق أن يقوم النعماني بخدمة ابن وزير داخلية الشام (رياض رضا الصلح) بنقل بطاقة الأمير الموقّعة من قِبل سليمان كنعان والأمير أمين أرسلان إلى اسمه، من دون احترام دوافع الخطوة التي هي الغرض[٣].

أما أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان فصدرت الأحكام ضدهم على الشكل التالي:

يُنفى سعد الله الحويك –١٠ سنوات ويعيد ٨٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله مصروفًا لسفره، ويُغرَّم ١٤٠٠ ليرة

يُنفى فؤاد عبد الملك –١٠ سنوات، ويعيد ٨٠٠ ليرة مصروفًا لسفره، ويُغرَّم ١٦٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

يُنفى خليل عقل –١٠ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرَّم ٢٠٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

يُنفى سليمان كنعان –١٠ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرَّم ٢٨٠٠ ليرة + ١٤٠٠

يُنفى محمد الحاج محسن – ٨ سنوات، ويعيد ١٤٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرَّم ٢٨٠٠ ليرة + ١٤٠٠ ليرة

(١) يوسف ابراهيم يزبك: وثائق حول أشهر محاكمة سياسية في عهد الانتداب، نقلها نجيب البعيني، نهار الشباب ١٨/٨/١٩٩٨.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٤).

(٣) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ١ – ٢).

يُنفى محمود جنبلاط - ٧ سنوات، ويعيد ١٣٥٠ من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرَّم ٢٧٠٠ ليرة + ١٣٥٠

يُنفى الياس الشويري- ١٠ سنوات، ويعيد ١٥٠٠ ليرة من أصل المبلغ الذي تناوله، ويُغرَّم ٣٠٠٠ ليرة + ١٥٠٠

يُنفى سعيد البستاني - ١٠ سنوات

يُنفى أمين أرسلان - ٦ سنوات

ونقل أعضاء المجلس مع عارف النعماني إلى جزيرة أرواد، ثم إلى جزيرة كورسيكا حيث بقي النعماني هناك حتى سنة ١٩٢٣..

وهكذا حكم على أعضاء مجلس الإدارة بالنفي والسجن والغرامات المادية. وأثناء نقلهم إلى جزيرة كورسيكا، أعلن الجنرال غورو دولة لبنان الكبير، واتخذ من حادثة مجلس إدارة جبل لبنان ذريعة لاحتلال سوريا. فبعث إنذاره الشهير إلى الأمير فيصل في منتصف تموز[١] لاعتقاده بأن الأمير هو الذي موّل مجلس الإدارة للتمرد ضد الحكم الفرنسي، وأن ابن وزير الداخلية كان بطل (البيع والشراء). وحشد غورو الجيوش الفرنسية لاحتلال سوريا، حيث دارت معركة ميسلون ١٩ تموز ١٩٢٠ بقيادة يوسف العظمة. تلك المعركة التي جمعت السوريين إلى جانب اللبنانيين[٢] فكان من نتائجها انتهاء الحكم الفيصلي في سوريا بتاريخ ٢٤ آب ١٩٢٠. وتوجّه الأمير إلى إيطاليا، وبدأ الانتداب الفرنسي لسوريا، فسجّلت المعارضة الوطنية السوريّة مزيدًا من الثورات والمعارك المناهضة لفرنسا[٣].

(١) نص الإنذار على التقاط التالية: السماح لفرنسا باستعمال خط سكة حديد رياق - حلب، القبول بالانتداب، إلغاء التجنيد، قبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري (وهي مؤسسة مصرفية فرنسية)، منع الأمير من الذهاب إلى مؤتمر الصلح قبل الموافقة على بنود الإنذار. راجع: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ١٠٤.

(٢) من الذين شاركوا في معركة ميسلون الطبيب اللبناني رشيد معتوق الذي استشهد يوسف العظمة على ذراعيه. ولقد نفى الفرنسيون فيما بعد رشيد معتوق إلى العراق. راجع: جريدة اللواء ١٤/١٢/١٩٩٥، من ص ٨، مقال ضاهر ريشا.

(٣) أنيس نصولي: عشت وشاهدت، ص ٤٩ - ٥٣. E. Rabbath: La formation historique du Liban. P.P. 347-348.

نفي النعماني إلى جزيرة كورسيكا

وهكذا وبسبب الخيانة وحنكة القيادة الفرنسية الواعية لتحركات القوى الوطنية في لبنان، ارتسمت نهاية التحرك السياسي لعارف النعماني بالنفي والسجن، لأن مسألة استقلال لبنان بالنسبة له كانت قضية قدرٍ لا مفرّ منه سعى لتحقيقه باللِّين تارةً (علاقته الشخصية مع غورو) وبالخطط السرّيّة وبذل المال طورًا، دون أي اكتراث لقوة دولة عظمى كفرنسا وجبروتها، والتي كانت تعتبر نفسها حامية الوجود المسيحي في الشرق.

لأنَّ موقف عارف النعماني، منذ أول طرح لقضية استقلال لبنان بعد انتهاء الحكم العثماني لم يتغير، فلقد ظلّ النعماني، يطالب ويفاوض ويفرض على الأمير فيصل مراعاة قضية استقلال لبنان[١]. وهذا ما ينفي عن العلاقات السورية-اللبنانية مسألة إلغاء لبنان وذوبانه في سوريا الكبرى. بل على العكس نجد النعماني يطالب الأمير فيصل بالاستقلال كما يطالب غورو بذلك.. لقد شكّل استقلال لبنان عند النعماني الهاجس والمصير.. لأنه رجل الاستقلال التوّاق إلى الحرية. من أجل ذلك هانت عليه مشاقّ الغربة والنفي، فتحمل النعماني وأعضاء مجلس الإدارة مصاعب النقل إلى أرواد والعودة إلى بيروت، حيث نقلتهم باخرة فرنسية محمّلة بالجنود الفرنسيين الجرحى العائدين إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب في كيليكيا. وكاد النعماني وأعضاء مجلس الإدارة أن يقضى عليهم في الباخرة لولا لطف الأقدار[٢].

ولم تتوقف المعاناة عند هذا الحد بل تجاوزتها إلى المسائل الصحية

(١) راجع: موقف عارف النعماني في المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠، ص ٥٧.

(٢) تفصيل حادثة الباخرة أن الربان ذكر على لائحة الطعام أن عارف النعماني ورفاقه من الأتراك، وبما أن الجرحى الفرنسيين كانوا قد أصيبوا أثناء المعارك مع الأتراك في كيليكيا، فقد رأى هؤلاء الفرنسيون رمي النعماني ورفاقه ليلًا في البحر. ولم يخلص النعماني من نوايا الفرنسيين إلا باسترجاع بعض الذكريات عن (ملهى المرصد) في بيروت وتلك المغنية الألمانية، وترديد مُرافق النعماني (اسماعيل الشافعي) لمقطع من الأغنية. فأتى أحد الركاب، وهو ألماني كان يحارب مع الفرنسيين في كيليكيا مستوضحًا هوية النعماني وسبب ترديده هذه الأغنية. وعندما علم بأنهم ليسوا أتراكًا، نبه عارف النعماني إلى المؤامرة. فاستدعى النعماني الربّان الذي أجرى تحقيقًا سريعًا حول الموضوع. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٤).

والظروف اللّاإنسانية التي تعرّض لها أعضاء المجلس أثناء إقامتهم في مرسيليا[١]. وانتهت تلك المعاناة بمجرد وصولهم إلى جزيرة كورسيكا[٢] فاستأجر النعماني قصرًا ومكث هناك مع إخوانه أعضاء المجلس بعيدين عن أخبار لبنان.. ولكن منعت زوجته من مقابلته[٣]. عاود عارف النعماني اتصالاته بالمسؤولين الفرنسيين من أجل السماح له بالسفر إلى مانشستر لتفقد تجارته هناك. وبعد شهر سمح له بالسفر برفقة رقيب فرنسي دائم[٤]، ونظرًا لحنكته وسرعة بديهته، اتصل أثناء العودة بوزير الخارجية الفرنسي السيد بريان، وأقنعه بضرورة نقله ورفاقه من الجزيرة إلى باريس. وبالفعل تمّ له ما أراد بشرط تسجيل اسمه وأسماء رفاقه في سجلّ الشرطة يوميًّا[٥].

تحمّل عارف النعماني معاناة النفي بعناد وكبرياء، رافضًا التسليم بمبدأ التخلص من الحكم التركي والاستسلام للانتداب الفرنسي. رغم اتصال غورو بالنعماني وأعضاء مجلس إدارة جبل لبنان في المنفى من خلال شكري غانم، عارضًا عليهم الحرية مقابل التوقيع على العريضة التالية:

"إني آسف جدًّا لما صدر عني نحو الحكومة الفرنسية التي لم نضمر لها إلا الخير والولاء، ولم يكن أبدًا قصدنا فيما رمينا إليه الإساءة لها، وحبنا التقليدي لها مشهور لدى العموم"[٦].

وطبيعيّ أن يرفض عارف النعماني التوقيع على العريضة، وتبعه في موقفه هذا سليمان كنعان[٧] والأمير أرسلان. في حين وقّع على العريضة سعد الله الحويّك

---

(١) يذكر عارف النعماني أنه حُشر مع أعضاء مجلس الإدارة في غرفة ضيقة مظلمة ليس لها منافع صحية. وكان بينهم مريض بالسكري، فاضطروا إلى شراء برميل لهذه الغاية. (المصدر نفسه).

(٢) في كورسيكا (منفى نابليون بونابرت) كان للنعماني صداقات مع من بقي من عائلة بونابرت. المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٩٦).

(٣) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٦).

(٤) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٣).

(٥) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني، (مجموعة رقم ٢٠٩٦).

(٦) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٧).

(٧) **سليمان كنعان**: تمكّن فيما بعد من الهرب. وتفصيل ذلك أنه أقام عند سيدة أجنبية وأطلق لحيته وأوهمها بأنه يخفي أوراقًا سرّيّة. فأعلمت الشرطة التي لم يكن لها علم بقضية النفي، فسألوه عن هويته، فأجابهم، بأنه منفي. واكتفوا بتسجيل أنه أجنبي بدون هوية وإقامة، وأمروا بترحيله،=

وخليل عقل ومحمود جنبلاط والياس الشويري وفؤاد عبد الملك ومحمد الحاج محسن وسعيد البستاني ورشيد عقل[١].

والواقع أن عارف النعماني لم يكن بحاجة إلى توقيع عريضة أو طلب استرحام من فرنسا للإفراج عنه، لأنه كان واثقًا من عدالة قضيته. ويؤكد على ذلك تاريخ علاقته الجيدة بفرنسا وغورو. كما أعلنت ذلك مجلة فلوريل الباريسية وقد عبّرت عن ذلك بنشرها ما يلي: "لا نستطيع القول إن إنسانًا مثل النعماني، ساعد الفرنسيين عن طيب خاطر، عدوّ لفرنسا، دون أن يُظهر فعليًّا أيّ عداوة تجاه فرنسا التي يحبها. لذا يُطلب الرجوع إلى قضية ربما صدر الحكم فيها بشيء من السطحية. وإذا أُعيد النظر بدراستها بتمعن فقد يتغير الحكم»[٢].

إن ما ذكر في هذه المجلة، يشكّل اعترافًا واضحًا بأن ما قام به عارف النعماني ساعد في إعلان دولة لبنان الكبير والذي تعتبره فرنسا من إنجازاتها المهمة تجاه لبنان.

نلاحظ فيما ذكرناه اهتمام النعماني بالقضايا السياسية الوطنيّة، وخاصة قضية الاستقلال بصرف النظر عن أيّ خطر يترتب على ذلك، وقد استمر هذا الحس رغم الموقف السياسي التعسّفي من جانب فرنسا بإبعاده قصرًا عن الساحة السياسية في لبنان. فظلّ نصيرًا وداعمًا ماديًّا ومعنويًّا للحركات التحريرية في البلاد العربية، كما ظل على اتصال دائم بأمين الريحاني[٣] وشكيب أرسلان[٤] من أجل صمود القوى الوطنية المناضلة في تونس والسودان والمغرب العربي[٥].

=وبالفعل غادر باريس إلى سويسرا. واستدعت الشرطة عارف النعماني لمعرفة كيفية هروبه، فأجابهم: "إن شرطتكم أخرجته". راجع: محمد قره علي: مذكرات النعماني (مجموعة رقم ٢٠٩٦).

(١) المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢٠٩٦).

(٢) ذكرت مجلة فلوريل الصادرة في باريس بتاريخ ١٩٢١/٥/٢١، ص ٤٩، السنة الثانية، عدد ٢١، ما يلي: "عارف النعماني ذلك المهم الأبرز بين رفاقه المعتَقلين والذي تميز بثرائه، ومواقفه الإنسانية، ومساهماته المادية والمعنوية على الصعيد السياسي والاجتماعي والإنساني. وذكرت أن قضية محاولة النعماني استخراج النفط والمعادن، وإنشاء خط حديد الحجاز تعود فكرتها للألمان.

(٣) **أمين الريحاني**: من الأدباء والمفكرين المسيحيين المتعصبين للقومية والوحدة العربية وداعٍ للقومية السورية.

(٤) **شكيب أرسلان**: من رواد النهضة العربية الذين اعتنقوا الفكر الليبرالي، ودعوا إلى القومية والوحدة العربية.

(٥) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني، الخاتمة.

الفصل الخامس

أعماله الاقتصادية

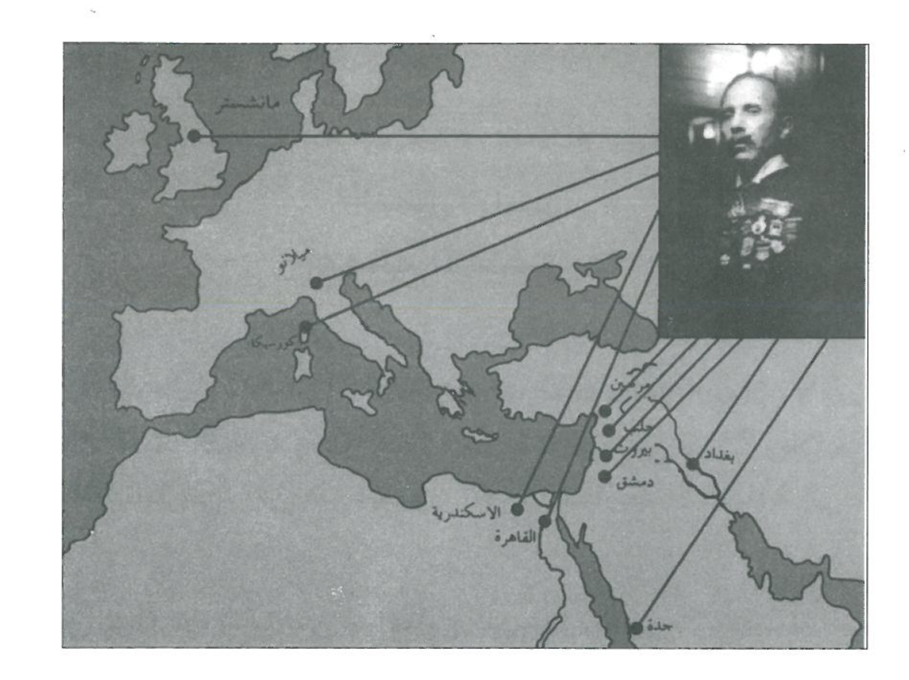
إن الشأن السياسي والشأن الاقتصادي في حياة عارف النعماني لا يفترقان. لأن أغلب أعماله التجارية ومشاريعه الاقتصادية تأخذ منحى سياسيًا وطنيًا من أجل تأمين الإفادة للوطن. من هذا المنطلق تحولت مشاريعه الاقتصادية إلى أعمال تنموية وطنية.

قبل انتهاء فترة النفي التي قضاها بين كورسيكا وباريس، سمحت له السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٢ بمغادرة فرنسا، شرط عدم دخول أراضي الانتداب الفرنسي (سوريا-لبنان). لذا وجد نفسه مرغمًا على دخول المناطق العربية الواقعة تحت الانتداب الإنكليزي (مصر، فلسطين، الحجاز، العراق). وقام بمشاريع اقتصادية جديدة هناك، علمًا بأن ظروف السّجن والنفي، أضرّت كثيرًا بنشاطه السياسي والاقتصادي في بيروت. بالإضافة إلى ما سبق وتعرّضت له تجارته بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى كما ذكرنا...

إذن بسبب قرار المنع. فتح عارف النعماني مراكز وفروعًا لتجارته في البلاد العربية، كالإسكندرية التي جعلها مركزًا رئيسيًا لذلك، وكانت الفروع في القاهرة وبيروت ومرسين وجدة وميلانو. أما مانشستر فكانت محلًّا للتوريد. وفي ما يلي تفصيل تجارته والمشاريع التي قام بها في تلك الفروع والمراكز:

أولًا: أعماله في مانشستر

أسس عارف النعماني محلًّا لاستيراد بالات القطن الخام من مانشستر، وعهد بإدارة المحلّ للسيد إدلبي. وبسبب الحرب العالمية الأولى، توقف السيد الإدلبي عن إرسال البضائع إلى لبنان. وغير اسم صاحب المحل حتى لا يعرف بأنه سوري لأن سوريا كانت تحت الحكم التركي الذي دخل في حالة حرب مع



إنكلترا. وتابع السيد الإدلبي تجارته مع الدول المحايدة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أطلع السيد الإدلبي عارف النعماني على سير العمل في المحل أثناء الحرب. وأعطاه الأرباح التي قدِّرت بملايين الجنيهات (وهذا سبب غنى النعماني)، إضافة إلى ازدياد الطلب على بالات القطن التي كانت تشترى بـ١٠٠ جنيه وتباع بـ٣٠٠ جنيه[١].

تلغرافياً : عارف النعماني
Télégramme : AREF NAMANI
صندوق البوسطة ٩٩

عارف النعماني
بيروت
A. NAMANI
BEYROUTH

المركز الرئيسي : الاسكندرية
محل التوريد : مانشستر
محلات وفروع :
مصر
بيروت
مرسين
جدة
ميلانو

شكّل محل مانشستر المورد الرئيسي لثروة النعماني التي كانت السبب في فتح تلك الفروع الجديدة لتجارته في البلاد العربية والقيام بالعديد من المشاريع الاقتصادية، والأعمال الخيرية وتمويل حركات النضال الوطني.

(١) مقابلة مع عميد آل النعماني السيد وجيه نعماني أطال الله عمره، بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

ثانيًا: أعماله في مصر

بعد السماح لعارف النعماني بمغادرة فرنسا وعدم دخول أراضي الانتداب الفرنسي كما أشرنا سابقًا بدأ اتصالاته بالشريف حسين والملك علي. وأصبح الوكيل المعتمد لهما في مصر، يؤمّن كل ما يحتاجانه من خامات وقطنيات وخيطان وما شابه ذلك. لذا افتتح فرعًا رئيسيًا لتجارته في الإسكندرية، أشرف عليه شخصيًّا، بمساعدة السيد وجيه النعماني الذي عمل كمحاسب للمركز وفيما بعد تسلم المحل المذكور سنة ١٩٢٤ وفتح عارف النعماني فرعًا آخر لتجارته في القاهرة، عهد بإدارته للسيد أنيس النعماني.

ثالثًا: أعماله في لبنان وتصادمه مع ويغان بسبب بنك الإصدار الوطني

كان متجر بيروت مزدهرًا قبل الحرب العالمية الأولى يقصده التجار من بغداد وتركيا وسوريا لشراء القطنيات بالجملة. وكان التاجر التركي كما يذكر السيد وجيه النعماني: "يكرّ زنّاره المرصوص بالليرات الذهبية ليدفع ثمن البضائع نقدًا". وبسبب ظروف الحرب العالمية الأولى خفّ العمل في المتجر، نتيجة توقف استيراد البضائع من مانشستر إلى بيروت. فاضطر عارف النعماني سنة ١٩١٠ إلى العمل بالتجارة الداخلية بسبب حصار جمال باشا للبنان. وانتقل إلى سوريا كما سبق وذكرنا واستورد القمح من السلمية إلى بيروت... وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد للمتجر ازدهاره بسبب حسن تصرف وكيله في مانشستر السيد الإدلبي الذي أعطاه أرباح المتجر عن سنوات الحرب كما أشرنا. ولكن انشغاله بالسياسة، ومن ثَمَّ نفيه إلى كورسيكا سنة ١٩٢٠ ومنعه من دخول لبنان وسوريا كما ذكرنا انعكس كل ذلك سلبًا على متجره في بيروت. وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣، تلقى عارف النعماني عفوًا من رئيس الجمهورية الفرنسية عن المدة الباقية له لتنفيذ الحكم فعاد إلى الوطن[١] حيث استقبله على متن الباخرة ثلاثة من العسكريين الفرنسيين، الذين دهشوا حين رأوه، فقالوا له: "أهذا أنت!!" وربما كان قصر قامته وضعف بنيته لا يوحيان بقوة أفعاله ورزانة شخصيته. وعلى رصيف المرفأ استقبلته الجماهير الشعبية التي حملته على الأكفّ إلى قصره في حوض الولاية في

(١) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات الفرنسية (وثيقة رقم ٨).

بيروت[١].

عاد عارف النعماني إلى بيروت أثناء حكم الجنرال ويغان. وبدأ التصادم بينهما. فالنعماني الذي خسر المعركة السياسية مع الجنرال غورو وسجن ونفي، وقضت فرنسا في معركة ميسلون على آماله بالاستقلال والوحدة، لن يقف مكتوف اليدين أمام سياسة فرنسا الاقتصادية والهادفة إلى استنزاف عرق الشعب اللبناني وتعبه وإفقاره بجني الأرباح الطائلة وتسريب ثروته من الذهب خارج البلاد.

بدأ بيرار بتأسيس بنك الإصدار لسوريا ولبنان[٢]. عارضًا مشروعه هذا على مجلس النواب لإقراره والموافقة عليه. فقام عارف النعماني بإعداد مشروع تأسيس بنك إصدار وطني، أساسه الذهب. وعمل دراسة تبين فوائده الاقتصادية على لبنان، كبديل لمشروع إصدار سوريا ولبنان الذي بدأ بإصدار عملة نقدية ورقية سورية، لتحلّ محل الليرة الذهبية العثمانية، وذلك بموافقة الانتداب الفرنسي.

وتلقى النعماني دعوة من وزير المال للاجتماع باللجنة البرلمانية المكلفة بدرس الموضوع لإبداء الرأي فيه. وعقد اجتماعًا مع مديري جميع المصارف العامة في دمشق وبيروت[٣] وألّف اللجنة[٤] لمتابعة طلب تأسيس بنك الإصدار الوطني مع الحكومة ومجلس النواب مع دفتر الشروط، والتعهد بتغطية رأس المال بالذهب. واكتتب كل واحد من مديري المصارف وأعضاء اللجنة بالمبلغ اللازم، على أن تعرض أسهم البنك على المواطنين للاكتتاب.

وقامت فرنسا بمحاربة هذا المشروع على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بالحوار المباشر مع عارف النعماني الذي استدعاه الجنرال ويغان متسائلًا عن حجم الإمكانات المادية المتوفرة لدى أعضاء اللجنة. فأجابه: "إن بمقدورنا إدارة أكبر منه". فسأله ويغان: "فلم لا نتعاون معًا؟" فردّ عليه:

(١) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني البنا بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.
(٢) الملاحق: عارف النعماني والوثاق اللبنانية (وثيقة رقم ١)
(٣) المدراء عن المصارف السورية واللبنانية كانوا السادة التالية أسماؤهم: مرقده وميشال شيحا وحبيب وجورج طراد ومصطفى عز الدين، ونجيب يوسف سرسق، وألفرد سرسق. وكان بترو طراد مستشارًا فنيًا. راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).
(٤) تألفت اللجنة من السادة: مصطفى عز الدين ونجيب يوسف سرسق والفرد سرسق ومرقده وعارف النعماني وبترو طراد مستشار فنّيّ للجنة. (المصدر نفسه).

"إن الأمر لا يستحقّ ذلك". وسأله ويغان إن كان لا يزال حاقدًا على فرنسا بسبب النفي، فأجابه متجاهلًا قضية النفي قائلًا: «القضية قضية مصلحة وطنية».

وإمعانًا منه في تأكيد حقه بالمشروع، استهجن النعماني مناقشة ويغان للأمر، ورفض إشراكه في المشروع، لأنه لا يعترف بالاحتلال والتدخل الفرنسي للبنان، ولأن القضية وطنية ولا دخل لفرنسا بها. وعبّر عن ذلك وبمنتهى الهدوء بقوله: "لو أن جماعة من غير الفرنسيين طلبوا تأسيس بنك إصدار وطني للنقد الفرنسي، بماذا كنت تجيب؟" فاجابه ويغان بعصبية: "كلامك جنون وسخرية.." فنهض النعماني مودّعًا، ولحق به ويغان ليقول له بإصرار: "فكّر بالأمر"[١].

المرحلة الثانية: لجأت فرنسا إلى مهادنة النعماني مقابل مقاسمته رأس المال. فأرسلت بترو طراد طالبًا منه مقابلة بيرار. فرفض لأنه يعلم نوايا بيرار ولكنه عاد ورضخ للأمر بناء لإلحاح بترو طراد. وتم اللقاء بينهما في فندق بسّول.. وحاول بيرار الدخول كشريك في المشروع على أن يترك للنعماني وأصحابه ٤٩٪ من رأس المال، وانتهى الاجتماع بالفشل.

المرحلة الثالثة: كشفت فرنسا عن نواياها العدائية تجاه المشروع عندما قام أوبوار باستدعاء عارف النعماني بواسطة عبد الله بيّهم. فاستقبله وبيده مطواة ينجر بها قطعة من الخشب (مما يدلّ على طابع العدائية) مستفسرًا عن مدى راحته في أجاكسيو (إشارة إلى قضية النفي) وعن جدّيته في متابعة المشروع، وعن نسبة النجاح المتوقعة له، وعن دراسته لكافة الحسابات وتقديرات الربح والخسارة. وركّز أوبوار على مصدر المال إذا كانت هناك رساميل حجازية متوقّعة، فأجابه النعماني قائلًا: "إن الحجاز اليوم هو أشدّ احتياجًا لمن يغذيه بالرساميل، ومشروعنا يموّله أولئك اللبنانيون الخمسة، ومن ورائهم غدًا الشعب اللبناني". ولكن أوبوار لم يقنع بجوابه فعاود السؤال عن مصدر النصف مليون ليرة ذهب، وألمح إلى تردّده بتساؤله: في حال تفرّق بقية الأعضاء، ما هي ردود فعل النعماني؟ فوجد لدى النعماني إيمانًا مطلقًا بمشروعه، وصلابة وموقفًا جادًّا للاستمرار مهما كانت الظروف. وقد أثار ذلك ضيق أوبوار الذي هدّد النعماني بالنفي إلى مدغشقر.

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).

عندما عاد النعماني للاتصال بأعضاء المشروع وجدهم قد اختفوا، وأنه منذ مغادرته منزل أوبوار أصبح تحت المراقبة، وغير مرغوب بوجوده في لبنان.. . فتوجه ليلًا إلى الناقورة، ودخل الناقورة الإنكليزية متوجهًا إلى القدس فعمّان فالإسكندرية، حيث مكث هناك حتى سنة ١٩٢٦...[١].

والملاحظة الدقيقة لما ذكر عن لقاء (النعماني- ويغان-أوبوار) تأرجحت بين المهادنة والمقاسمة والتهديد... ومقابل رفض النعماني لكل العروض وعدم رضوخه وقلة اكتراثه لهيبة الدولة الفرنسية وتحدّيه للقوى الأجنبية الحاكمة والتي وصلت إلى حدّ التهور، سقط النعماني للمرة الثانية في مواجهة خاسرة مع فرنسا رغم كل الأماني والجهود المخلصة من جانب أعضاء المشروع لخدمة اقتصاد لبنان.

وهكذا استطاعت فرنسا من خلال بنك سوريا ولبنان (مؤسسة فرنسية) من سحب الذهب من أيدي اللبنانيين، فسيطرت سياسيًا واقتصاديًا على لبنان. وشرح النعماني ذلك مبينًا بعملية بسيطة جدًا مدى الأرباح الفاحشة التي تسرّبت للخارج بواسطة البنك بقوله: "لقد كانت الليرة الذهبية (عند ظهور النقد الورقي السوري) بليرتين لبنانيتين فباتت بأربعين ليرة لبنانية. أما الستة عشر مليون ليرة ذهب (وهو ما كان يملكه لبنان قبل الانتداب) فقد أصبحت عام ١٩٤٨ نصف مليون وسنة ١٩٥٣ لم تزد على ربع مليون[٢].

رابعًا: أعماله في مرسين

لم تتوقّف مشاريع عارف النعماني رغم مشاكله مع ويغان وأوبوار واستمرت مع استمرار دورة الحياة، فكان يفتتح محلًا ويقفل آخر بهدف الاستفادة والإفادة. ولكن بقي دائمًا مدى صدق ووفاء من تعامل معهم والظروف السياسية والاقتصاديّة المعيار والرهان على استمرار أيّ مشروع أو إنهائه، وهذا ما حصل بالنسبة لمحلّ مرسين الذي اضطر إلى إقفاله...[٣].

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٠٨٧).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مقابلة مع وجيه النعماني بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٣.

خامسًا: أعماله في حلب

افتتح عارف النعماني محلًا آخر في حلب، وسلم إدارته للسيد أنيس النعماني؛ ولكن ما لبث أن أقفله بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية[١].

سادسًا: أعماله في الحجاز

تعود علاقة عارف النعماني بالأسرة الهاشمية إلى سنة ١٩١٦، والتي كانت تحكم الحجاز منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث تولى الشريف حسين سدانة الكعبة. وفيما بعد سمح له بإمارة الحجاز.. فقام أولاده فيصل وعبد الله بالتصدي للبدو والدفاع عن الحجاز. وما لبث الشريف حسين أن أعلن الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٩١٦ من أجل الاستقلال فوحّد الأمير فيصل نجل الشريف حسين القبائل العربية بمساعدة إنكلترا التي أمدّته بالمال والأسلحة. فاحتلّ العقبة، ودخل دمشق كما ذكرنا، وساعد الإنكليز في حربهم ضد تركيا.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت خيبة أمل الشريف حسين مع الحلفاء، إثر إعلان مقررات مؤتمر سان ريمو التي كرست انتداب فرنسا وإنكلترا للبلاد العربية فترك الأمير فيصل سوريا بعد هزيمة ميسلون متوجهًا إلى إيطاليا، معترضًا على السياسة الفرنسية. وفي سنة ١٩٢١ توّج فيصل ملكًا على العراق، بعد اجتماع تشرشل-فيصل في مؤتمر القاهرة.

خلال هذه الفترة انقطع عارف النعماني عن الاتصال بالأمير فيصل بسبب قضية مجلس إدارة جبل لبنان ونفي النعماني.

وبعد عودته من المنفى، اصطدم بويغان وأوبوار بسبب قضية بنك الإصدار الوطني. فهرب إلى فلسطين، والتقى في عمّان الشريف حسين سنة ١٩٢٣ وأصبح معتمدًا لتجارة الحجاز كما ذكرنا.. وأثناء وجوده في متجره بالإسكندرية قصده السيد حسين العويني الهارب من الاضطهاد الفرنسي في لبنان، فطلب من النعماني مساعدته في إيجاد عمل له.. فسلّمه متجره في جدة[٢].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

ولكن طموحات النعماني كانت أبعد من فتح فرع لتجارته في الحجاز. فقد كان يعيش بتفاعل تامّ مع الأحداث التي تجري من حوله والشائعات التي تتردد عن وجود معادن وبترول في شبه الجزيرة. والواقع أن قضية النفط واستخراج المعادن، ومد سكة حديد، كانت في الأساس فكرة الألمان. وبدأ النعماني دراسة موضوع الحصول على امتياز لاستخراج النفط من الحجاز. وتلقى دعوة من الشريف حسين لزيارة مكة. والتقى الشريف حسين الذي استرجع معه هموم الأمة العربية بعد الحرب، ونكث الحلفاء بعهودهم ومواثيقهم. وصار الشريف حسين يخرج الرسائل التي كان يرسلها إلى نائب الملك البريطاني في الهند سنة ١٩١٨[١]، والتي تظهر حرص الشريف حسين على مصداقيّته مع شعبه، وتخوّفه من الفتن إزاء نكث بريطانيا وعودها معه مما كان يضطره إلى الانسحاب وتعين البلاد التي يستحسن الإقامة فيها مع حرصه على الصداقة والولاء لبريطانيا. وفي ذلك ما يظهر انه كان يشعر أن الحلفاء قد تخلّوا عنه بعد أن قضوا على الخلافة العثمانية، وأنهم كانوا يودون التخلص منه.

وتابع الشريف حسين رسائل العتاب الموجّهة إلى وزير الخارجية البريطانية[٢] ففي رسالة تساءل عن سبب تخلّي بريطانيا عن العرب الذين لا يريدون إلا الاستقلال. وذكّر نائب الملك البريطاني في مصر بوعود بريطانيا بأنها لن تبرم أي

---

(١) أخرج رسالة بعثها إلى نائب الملك البريطاني في الهند سنة ١٩١٨. يقول فيها: "متى تأكدت من عجزي عن الحصول على ما يؤمل من النتائج - يتحتم عليّ الانسحاب من الأمر لاعتقادي أن تعديل مقرراتنا المذكورة يؤدي إلى الإخلال بالغايات. فهذا يسقطني من ثقة بلادي. عندما يظهر عكس تلك المقررات التي أعلنتها. وأكون خدعت نفسي. مع ما يجر ذلك من اضطراب البلاد بالفتن. مما لا يفيدني.. وإن كان لا بد من التعديل فليس لي سوى الانسحاب. وانكم لا ترتابون في أني وأولادي من أصدقائكم، الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ثم يعينون البلاد التي تستحسن إقامتنا فيها للسفر اليها في أول فرصة». محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠)

(٢) وهذا نص بعض الرسائل:
«إن الضرورة تلجئني على البحث عن تأثير هذا الانقلاب السياسي الذي ضاعف حزن العرب مما اعترى عهودهم مع العظمة البريطانية خاصة والحلفاء عامة بشأن استقلالهم التام ببلادهم. واستفهام تلك العظمة يعين مآل تصريحاتها بتاريخ ٨ صفر ١٣٣٤ بقول نائب جلالة الملك بمصر بأن حكومة بريطانيا قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا لا تنوي إبرام أي صلح كان ضمن شروطه الأسياسية، حرية الشعوب العربية وخلاصها من الألمان والأتراك». راجع: محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

اتفاق ضمن شروطه حرية الشعوب العربية. وأعطى الشريف حسين للنعماني رسالة أخرى من وزير خارجية بريطانيا. أكد فيها تصميم بريطانيا على الوقوف إلى جانب العرب من أجل الاستقلال.

إن القراءة المتأنية لهذه الرسائل تظهر ضبابية العلاقة بين بريطانيا والشريف حسين الذي كان يحاول إيجاد المسوّغات لنكث الحلفاء بوعودهم. لأنه فقد القدرة على المبادرة واتخاذ المواقف التي تخرجه من مأزقه مع بريطانيا التي ظلّت تلجأ إلى سياسة التسويف والمماطلة، تحسّبًا للمستجدات.

وكذلك قدم للنعماني رسالة أخرى موجهة من صاحب الجلالة ملك بريطانيا[١] يهنئه فيها بانتصارات ولده في العراق، ويبتهج لنجاح الجيوش العربية في توسيع نطاق المناطق العربية المحررة.

مقابل ذلك قام الحلفاء بإرسال مذكرة إلى مصطفى كمال في ٢٣ كانون الأول ١٩٢٢ لعقد صلح جديد معه، تاركين العرب وهم شركاؤهم في الحرب في حالة لا صلح مع تركيا. ورغم ذلك بقي العرب على موقفهم الموالي للحلفاء الذين استمروا في خداع العرب من خلال عقد الصلح المنفرد مع تركيا بضمان ألمانيا التكاليف الرسمية. فضيعوا على العرب حقوقهم في كيليكيا[٢].

إذن شعر الشريف حسين بأن المستقبل غامض مع بريطانيا، ولكن الواقع لم يكن يعطي خيارات للجوء إلى القوة، بقدر ما كان يفرض الاستسلام لسياسة الأمر الواقع التي كان الحلفاء يحاولون فرضها على بلاد العرب.

وسط هذه التناقضات المبهمة، بدأ عارف النعماني البحث عن التغيير، ولكن خارج الواقع السياسي. فعرض على الشريف حسين مشروعه الاقتصادي الرامي إلى التنقيب عن البترول وإنشاء خط سكة حديد، يربط مكة بجدّة والوجه بالمدينة. ولكن الشريف حسين خاف من التدخل الأجنبي، لأن أيّ مشروع لم يكن يتم دون

---

(١) جاء في مذكرة صاحب الجلالة البريطانية: أعرب عن سروري لانتصار ولدكم على العدو في أرض السواد، وأن جلالتكم الملوكية بصفتكم القائد للنهضة الشريفة لأجل تحرير العرب. وبصفتكم الوالد للأربعة أنجال المظفرين تكون أسباب افتخاركم ورضاكم مضاعفة. وأنا أبتهج لنجاح الجيوش العربية وكذلك لمشاهدتي اتساع نطاق منطقة تحرير العرب. المصدر نفسه (مجموعة رقم ٢١٠٠).

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

معونة أجنبية. فبدد النعماني مخاوفه بقوله: "أعيّن موظفًا أجنبيًا ثم أصرفه متى أشاء"[١].

فطلب الشريف حسين منه زيارة ابنه الأمير عليًّا في الطائف، وعرَض المشروع عليه والقيام بالإجراءات الرسمية مع الحكومة الحجازية لأخذ حق البحث والتنقيب والحفر، وتقديم شروحات تفصيلية حول المشروع..

وعاد النعماني إلى الإسكندرية بانتظار الجواب. كان طبيعيًّا أن يحظى مشروعه بالموافقة، نظرًا لمكانته عند الأسرة الهاشمية من جهة، ولمواقفه الوطنية من أجل التحرر والاستقلال من جهة أخرى. ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، فلقد اندلعت الحرب الأهلية في الحجاز ونجد بين قبائل آل هاشم وآل سعود وآل رشيد. وتمكنت إنكلترا قبل الحرب العالمية الأولى من جمع هذه القبائل المتناحرة على السلطة في اتفاقية القطيف. وذلك لضمان عدم نشوب أي حرب ضد آل هاشم.

ولكن بعد انتهاء الحرب وإعطاء العراق للأمير فيصل، والأردن للأمير عبد الله والحجاز للشريف حسين، اشتدت المنافسة أواخر سنة ١٩٢٣-١٩٢٤ بين الأسرة الهاشمية وآل سعود، فغادر الشريف حسين جدّة متوجهًا إلى عمّان بعد معركة (الهدى) متنازلًا عن الملك لوليّ العهد الأمير علي[٢] ولكن عارف النعماني لم يهتمّ لهذا الحدث، لثقته بأن بريطانيا، لن تتخلى عن مساندة آل هاشم في هذه الحرب. فتوجه إلى جدّة مع فريق العمل المؤلّف من المهندس الفنلندي السير توماس هولد[٣] ومساعديه. اهتدى المهندس إلى البترول الذي كان يتماوج على وجه الماء في منطقة (الوجه). وبعد التنقيب والدرس تبيّن للمهندس أن مصدر البترول هو (الظهران) الواقعة بيد آل سعود. فأشكل الأمر على النعماني لأن الحرب كانت ما زالت سجالًا بين الفريقين[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٠).

(٣) **السير توماس هولد**: مهندس فنلندي خبير بالبحث والتنقيب عن البترول، استقدمه النعماني من الهند إلى الإسكندرية فجدة براتب شهري مقداره ثلاثة آلاف ليرة ذهب. ولمساعديه بين ٥٠٠ و١٥٠٠ ليرة ذهب. راجع محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢٢٠٢).

(٤) المصدر نفسه.

واشتد القتال بين آل هاشم الذين يدين لهم بالود والولاء والسعوديين الذين لا يعرفهم مطلقًا. فتطوع الشباب العربي من الأردن وسوريا والعراق لحماية جدة من السقوط، واستعدادًا للمعركة الحاسمة.

وسقطت جدة في يد آل سعود زعماء الدعوة الوهابية[١] وانتقل حكم الحجاز الذي سمي (بالمملكة العربية السعودية) إلى الملك عبد العزيز آل سعود، وغادر الملك علي الحجاز متوجهًا إلى العراق الذي كان يحكمه آنذاك الملك فيصل بن الشريف حسين[٢].

هذه المستجدّات السياسية الخطيرة والمفاجئة، كانت نتيجتها سلبية للغاية على عارف النعماني. فقد توقف عمل البعثة التي عادت من حيث أتت بعد أن أنفق عليها مبلغ ٢٥ ألف ليرة ذهبية. وضاع مشروع التنقيب عن البترول بخرائطه ورسومه وتجهيزاته الفنية والتقنية.

وبدأ بمراسلة وكيله في جدّة السيد حسين العويني، للسماح له من قبل آل سعود بمتابعة مشروعه، وتلقّى أجوبة منه تشير إلى بداية اتفاق مع آل سعود، ولكن

---

(١) **الوهّابية**: حركة سلفية دينية إصلاحية طهورية، هدفها صفاء العقيدة والسلوك. تأثرت بابن تيمية. تزعّمها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٤ - ١٧٩٢) الذي انطلق في دعوته من مسقط رأسه نجد بعد جولة تعليميّة له في الحجاز والعراق. ركّزت الدعوة الوهابية على مفهوم التوحيد والعبودية لله، ومكافحة مظاهر الشرك والابتداع فيه، والاعتقادات الشعبيّة الخرافيّة، ودعت إلى الالتزام الحرفي بالقرآن وتبنّي السُّنة، ومنعت الدعوة زيارة القبور وإقامة القباب والمآذن للمساجد، ومنعت النذور والتشفّع بالأنبياء والأولياء، وذلك بهدف إبعاد الدين عن الوثنية والحجارة، وطرق التصوّف والمدارس السنّيّة.
الدعوة الوهابية هذه، لقيت ترحيبًا من أمير بلدة الدرعية محمد بن سعود، فصار للدعوة الوهابية سلطة سياسية عسكرية، فاستولت على نجد والحجاز وتهامة. ولقد تصدّى لها والي مصر محمد علي باشا بطلب من العثمانيين سنة ١٨١٤.
لقد ألهمت هذه الدعوى الكثير من الإحيائيين الإسلاميين للاقتداء بها، كحركة شريعة الله ضد المغول في الهند، ووجدت صداها في مراكش.
أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين، ص ٣٩٩ - ٤٠٠. علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب، ص٨٤. رضوان السيد: محاضرة حول حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام ألقيت في المؤتمر الدولي للجمعية اللبنانية التاريخية من ٤ - ٦ ك١ ١٩٩٨، نشرت في جريدة السفير ١٥ ك٢ ١٩٩٩.

(٢) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث ص ٣٠ - ٣١.

الحقيقة كانت عكس ذلك. فلقد فوجىء بخسارة امتياز التنقيب عن النفط، وإقفال متجره في جدّة، علمًا بأن وكيله السيد العويني قال له: "نحن تجار ولسنا سياسيين.. نغير اسم صاحب المحل" (أي العويني بدلًا من النعماني)، ورغم رسالات التطمين والأمل من جانب الوكيل خسر كل مشاريعه هناك.

وهنا نتساءل: هل كان سبب ذلك سوء تخطيط وقلة وعي وسوء فهم الأوضاع السياسية آنذاك من النعماني؟ ولو سلّمنا بذلك وبأن هناك خطأ ما، وأن الموقف السياسي وراء ضياع امتياز التنقيب، ولكن ما علاقة محلّ جدة بالموقف السياسي؟ وحتى موقف الوكيل أيضًا يثير التساؤلات؟

تبقى هناك حلقة مفقودة تدور حول السبب الذي من أجله أخفى الوكيل عن عارف النعماني حقيقة الأمر كي يتمكن من تدارك وقوع تلك الكارثة.

وأجرى النعماني اتصالات بآل سعود في محاولة منه لمتابعة أعمال التنقيب عن البترول في الظهران والعمل في متجره في جدّة خاصة وأن وكيله حسين العويني قد أصبح من المقرّبين لدى الملك السعودي. ولكن محاولاته باءت بالفشل. فاتصل بآل هاشم سنة ١٩٣٤ وخاصة الملك عليًّا والملك غازي. ولكن محاولته فشلت أيضًا. ولقد تدخّل سنة ١٩٤٩ بعض السياسيين اللبنانيين من أصحاب المروءة والنخوة العربية الأصيلة، كعبد الحميد كرامي وعبد الله اليافي وأحمد الداعوق، بتوجيه عريضة إلى الملك السعودي، موضحين مواقف عارف النعماني في سبيل القضية العربية، والأموال التي ساهم بها من أجل دعم قضايا التحرّر من الانتداب والعمل من أجل الوحدة العربية، ولكن تلك المحاولات كان مصيرها الفشل.

والخلاصة تظهر أن علاقة النعماني بالحجاز، كانت من منطلق أمانٍ مشتركة بالوحدة والاستقلال جمعته مع الأمير فيصل ووالده وإخوته، ثم اتخذت منحى اقتصاديًّا يدور حول أعمال تجارية للتنقيب عن البترول. وفجأة وجد نفسه وسط صراع على النفوذ والسلطة بين آل سعود وآل هاشم أدى إلى انتهاء كل مشاريع النعماني الاقتصادية في الحجاز من المتجر إلى امتياز التنقيب عن النفط. فتعرض لخسائر مادية فادحة. ولم يعوّض عليه بأيّ مبلغ. إذن جميع محاولات عارف النعماني لاستعادة حقه بالتنقيب عن البترول واسترداد متجره في جدّة والذي استولى عليه وكيله، قد باءت بالفشل.

سابعًا: اعماله في العراق

والواقع أن طموح عارف النعماني أسطورة قد يصدّقها العقل أو يرفضها. فالنفي لم يذلّه، وحتى الضربات والخسائر التي واجهت مشاريعه في لبنان وفي الحجاز، لم تثنه لحظة عن دخوله المرة تلو المرة تجربة التحدي. فكلما أخفق وخسر ازداد تحديًا وصلابة. إنه كطائر الفينيق ينبعث من النار بحياة متجددة.

ففي العراق، أقام عدة مشاريع منها: مشروع سدود نهر ديالا لزرع القطن وشركة الطيران العراقية، والشركة الإسلامية للحجّاج، وسد الحبانية، وفندق الكارلتون. بالنسبة لمشروع نهر ديالا، فقد قام النعماني بالتخطيط له أثناء نفيه في باريس، بالاتفاق مع الدكتور نجيب أصفر ويوسف فرح وفرح فرح وروفائيل خليفة. وبعد حصوله على قرار العفو سنة ١٩٢٣، اتصل بالملك فيصل في العراق، وأرسل الدكتور نجيب الأصفر لتقديم الشروحات حول المشروع. ورفض الملك إعطاء الامتياز لشركة إنكليزية خوفًا من التحكم فيما بعد باقتصاد العراق. وتمت الموافقة بعد إعطاء الامتياز لتأسيس شركة ديالا في العراق على أن يكون المركز الرئيسي لها في لندن. أما سبب قيام المشروع، فيعود إلى رئيس حكومة العراق الذي قدّم أراضٍ زراعية للاستثمار لمدة عشر سنوات، على ان تُرَدَّ للدولة فيما بعد، وذلك بهدف استصلاح الأراضي الزراعية المهملة وتحريك عجلة الاقتصاد العراقي، والمساهمه في مشاريع التنمية لجهة زراعة القطن. ولكن واجهت المشروع مشكلة الفيضان السنوي لنهر الفرات الذي يتسبب بإتلاف كافة المحاصيل الزراعية. فقام عارف النعماني ونجيب الأصفر بمشروع نهر ديالا لإقامة السدود، ومنع الفيضان[١].

وبدأ الإعداد للمشروع، بالاشتراك مع خبراء إنكليز وذلك باقتطاع الأراضي الأميرية للزراعة. وإذا بأحد أعضاء شركة ديالا السير دنكتون أنفيس يعيّن وزيرًا للدفاع في الحكومة الإنكليزية. فقام بمحاربة مشروع شركة ديالا، بحجة أن حجم الأراضي المقتطعة، وحسب الامتياز، تزيد على مليوني فدان، وأنه خلال سبع سنوات يصبح العراق أغنى من مصر في زراعة القطن[٢].

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٥).
(٢) المصدر نفسه.

والملاحظة الواعية لتحرك وزير الدفاع الإنكليزي آنذاك كانت تبشّر بتحديات قوية تجاه هذا المشروع الاقتصادي الحيوي للعراق. والذي يدخل في إطار التنافس الرأسمالي ضمن شركات إنكليزية تحتكر زراعة القطن في مصر، وتستولي على إنتاجها لصالح معاملها في ولاية مانشستر. فظهور شركات مختلطة أمثال (شركة ديالا) بدأت تثير قلق المسؤولين الإنكليز، إذ ربما أغرق العراق السوق العالمي بقطنه وربما باعه بسعر أرخص، مما يضرّ بالاحتكار الإنكليزي لهذه السلعة. أضف إلى ذلك أن اهتمام عارف النعماني بهذا المشروع لم يكن من باب المصادفة، لأنه يرتبط مباشرة بمجال عمله في تجارة القطن مع إنكلترا. إذن فهدفه واضح في العمل على ضرب الرأسمالية الإنكليزية المحتكِرة لإنتاج القطن المصري، وتفويت الفرصة على الإنكليز لاحتكار إنتاج القطن العراقي.

وظهر التحدي السافر بين إنكلترا وعارف النعماني بعد ثلاث سنوات من استصلاح الأراضي وازدهار زراعة القطن العراقي وجر المياه من نهر ديالا، حيث بدأ المشروع يؤتي ثماره. وَفجأة انخفض مستوى المياه في النهر الذي يرتكز عليه امتياز المشروع، وذلك بشكل لم يحصل في تاريخ المنطقة، فهرب المزارعون إلى بغداد، وانطلقت التظاهرات تهتف بسقوط مشروع نهر ديالا[١].

وسارع عارف النعماني للاتصال برئيس الشركة نورتن كريفس ووزير الخارجية الإنكليزية المستر إيمري. وأبدى الملك أسفه لحراجة الموقف إزاء طلبه من النعماني التنازل عن الامتياز، بقوله: "إن أخصام المشروع أقوياء".

وتم التخلي عن الامتياز، فعادت مياه نهر ديالا إلى مستواها الطبيعي! ولقد تبيّن للنعماني فيما بعد أن وحدات من الجيش الإنكليزي المرابط في كركوك قد كسرت بعض سدود منابع النهر وحوّلت المياه إلى الصحراء وحرّكت المزارعين لإسقاط المشروع[٢].

تجدر الملاحظة هنا أن وقفة التحدي لعارف النعماني تجاه دولة عظمى كإنكلترا. ومواقف التحدي والعناد والصلابة قدره الذي لم يكن ليحيد عنه مهما

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٥).
(٢) المصدر نفسه.

كلفه الأمر. فهو تارة يتحدى فرنسا[١] وطورًا يجابه إنكلترا ويتحداها.. بقصد أو بدون قصد، يدفعه إلى ذلك طموحه كرجل أعمال يملك رأس ماله، ومن حقه كإنسان عربي الإفادة والاستفادة من خيرات بلاده، وعدم تركها للمستثمر الأجنبي الذي يستفيد ولا يفيد إلا فيما ندر، وذلك في ظل هيمنتهم على الحكام العرب المستضعفين.

ورغم فشل مشروع نهر ديالا بقي عارف النعماني على علاقته الجيدة مع الملك فيصل. وفي إحدى اللقاءات وكتفسير لما حدث بالنسبة للمشروع، طلب الملك منه قراءة رسالة خطيرة وردت إليه سنة ١٩١٩، تُظهر مدى أطماع الدول الأجنبية في البلاد العربية. وفحوى الرسالة يدور حول مشروع مقدم من مهندس إنكليزي[٢] اكتشف وجود نهر عظيم كان يجري في الصحراء الكبرى في الأعصر الغابرة[٣]، وقد اندثر هذا النهر تحت رمال الصحراء، ولا يزال يجري تحت البحر الأحمر ويتشعب وسط أهرام الجيزة، ويترك شبه الجزيرة ليغيب في المحيط الهندي عند جزيرة سومطرة.

أما مراحل تنفيذ المشروع، فتبدأ بعد تفجير المياه (لا يذكر في أي نقطة) حيث تتكون بحيرة عذبة بفعل التبخر، وتزداد المياه فيها حتى تبلغ الخليج الفارسي تحت مصبّ نهر الفرات. وتتغذى هذه البحيرة بطريقتين: الطريق الأولى: قرب (المدينة) باتجاه الشمال إلى (اليسرى) ثم صحراء سوريا و(عمارة عناز) و(الوفرة) و(كزينة). والطريق الثانية: تبدأ من جبل (ميزنيا) ثم صحراء سوريا شرقًا حتى تبلغ البحيرة، وجنوبًا إلى (ضفير) و(كزينا حفين) وتتصل بخليج الفرس واقترح المهندس تسمية البحيرة باسم بحيرة الملك فيصل[٤].

---

(١) أولاً: مجابهة النعماني للجنرال غورو بالنسبة لقضية مجلس إدارة جبل لبنان ونفيه إلى كورسيكا.
ثانياً: مجابهة النعماني للجنرال ويغان بالنسبة لقضية مصرف الإصدار الوطني وهربه بعد التهديد بنفيه الى مدغشقر.
(٢) اسم المهندس الإنكليزي واطسون أوف كيلوريغان، من بورت لاند - إيوجون بالولايات المتحدة، شارع نمرة ٤٠ يونيون أوف تورت.
(٣) راجع نظرية كايتاني عن موطن الجنس السامي.
جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٤٨ - ١٦٦.
(٤) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (مجموعة رقم ٢١٠٦ - ٢١٠٧).

إن الدراسة الدقيقة لمضمون هذه الرسالة، توضح مدى اهتمام الإنكليز بالبلاد العربية من أجل جني الأرباح، والهيمنة السياسية والاقتصادية، حيث اشترط المهندس كمكافأة على ظهور المياه أخذ إنتاج نصف ميل من الأراضي على ضفتي النهر كل ثلاثة أميال، تكون مناصفة مع الحكومة لمدة اثنتي عشرة سنة. وقسم المهندس المكافأة على ثلاثة مراحل تبدأ بـ١٠٪ لمدى تسع سنوات، وتنتهي بـ٢٪، ثم ٥، ٢٪. وهناك ١٠٪ لفقراء المنطقة. وطالب المهندس أيضًا بـ٢٠ فدانًا في مصر لبناء منزل معفى من الضرائب وتأمين الحماية لفريق عمله، وهو من الأميركان، وأن يؤمَّن له الخدم والآلات لزوم المشروع...[1].

وعندما عرض الأمير فيصل هذه الرسالة على أفراد الحاشية، اتهمه البعض بالشعوذة والسذاجة، وهذا أمر طبيعي لأن العرب كانوا على درجة من السذاجة والبساطة تمنعهم من تصديق مثل هذا الكلام. فكيف بالاعتقاد بوجود آبار بترول سيكتشفها الإنكليز فيما بعد، وتكون السبب في تحويل شبه الجزيرة العربية القاحلة الجرداء إلى روضة غنّاء..

ولعل المهندس كان يهدف إلى البحث عن البترول تحت ستار اكتشاف ذلك النهر.. المهم أن هذه الرسالة، كما أشرنا، أجابت على كل تساؤلات عارف النعماني حول سبب فشل مشروع نهر ديالا في العراق.. والواقع أن فشل هذا المشروع لم يكن يعني عند عارف النعماني نهاية الكون لأنّ عارف النعماني والتحدي صنوان لا يفترقان كما أشرنا. لذا نراه يخطط لمشاريع أخرى، كإنشاء شركة طيران عراقية تربط البلاد العربية بعضها ببعضها الآخر. وجانب الأهمية في المشروع أن العراق يرتبط بخطوط التجارة مع الهند والشرق الأقصى. وبالتالي تقوم شركة الطيران بربط الشرق الأقصى، والهند بالبلاد العربية، علمًا بأن بريطانيا ربطت العراق والهند بحاكم بريطاني واحد، وهو بذلك يحاول توظيف الرساميل العربية بمشاريع إنمائية تربط آسيا بأوروبا.

وعرض عارف النعماني مشروعه على رئيس الوزراء العراقي آنذاك السيد ياسين الهاشمي ولاقى كل تأييد وقبول.. وانتقل عارف النعماني للتخطيط

(١) المصدر نفسه.

لمشروع الحبانية، وهو عبارة عن سد عظيم لتوليد الكهرباء وريّ الأراضي الزراعية. وقام أيضًا سنة ١٩٢٨ بالإعداد لمشروع نقل الحجاج العراقيين والأعاجم من بغداد إلى جدة ذهابا وإيابًا وسميت بالشركة الإسلامية للحجّاج. هذه الشركة كان معترَفًا بها رسميًا، وتقدّم ضمانة مالية بنسبة ٥٠٪ من قيمة بطاقة السفر كتأمين يعاد إلى الشركة بعد عودة الحجّاج وتأديتهم مناسك الحج، وكان على كل بطاقة سفر ختم الشركة، وختم مراقب الحكومة العراقية.

ولا شك أن سمعة النعماني التجارية وصدقه في التعامل مع أجهزة الدولة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك أعطاه حق ترؤُس الشركة وإدارتها وتوقيع كافة معاملاتها[1].

وتتابعت مشاريع عارف النعماني في العراق والتي اتسمت بالذكاء الحادّ والجرأة في المبادرة والاندفاع دون خوف من المستقبل أو تردد أو ارتباك. فهو لا يؤمن بالفشل بل بكيفية خلق فرص العمل واقتناصها، وتوظيف كل طاقاته المالية والمعنوية من أجل أهدافه الاقتصادية. فقام بشراء أوتيل الكارلتون في بغداد بعد أن علم بظهور النفط في كركوك وذلك لاستقبال المهندسين الأجانب أو الخبراء العاملين في استخراج النفط. ولكنه استبق الحدث فأقفل الفندق سنة ١٩٣٢ وكان من أرقى الفنادق، وهو مخصَّص لاستقبال رجال الدولة في العراق وإعداد الولائم لهم[2]...

وما كادت هذه المشاريع تتحقق وتزدهر، حتى حدث انقلاب عسكري سنة ١٩٣٦ أطاح برئيس الوزراء السيد ياسين الهاشمي[3] فقضي على كافة مشاريع عارف النعماني.

(١) الملاحق: عارف النعماني والمراسلات - العراقية (وثيقة رقم ١).
(٢) مقابلة مع وجيه أنيس النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.
(٣) قضية الانقلاب العسكري تعود إلى الأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك. والتي ترتبط بتسلم الملك فيصل عرش العراق لقاء معاهدة ١٩٢٢ والتي تنتهي فور قبول عضوية العراق في عصبة الأمم. ولكن ذلك أدى إلى ثورات شعبية، ضد الامتيازات البريطانية في شتى مرافق العراق، وضد السياسة الضريبية للدولة وسلطات شيوخ القبائل، وفساد موظفي العهد التركي، وزادت المطالبة بالإصلاح، وظهر التحالف السني الشيعي من أجل التخلص من الفوضى الداخلية والحكم الإنكليزي. مقابل ذلك عمل الملك فيصل على تنظيم العراق وتوحيد أبنائه. ولكن بعد وفاته=

ثامنًا: أعماله في إيطاليا

افتتح عارف النعماني سنة ١٩٢٧ متجرًا في ميلانو بإدارة السيد نبيه النعماني، لتجارة أقمشة الخياطة وخاصة الدنتيل.. وذلك بسبب غزو البضائع الإيطالية للأسواق العربية.. ورخصها مقابل ارتفاع أسعار البضائع الإنكليزية. فصارت بالة القطن تباع بخمسين جنيهًا في إيطاليًا بدلًا من مئة جنيه في إنكلترا.. ولكن عارف النعماني اضطر إلى إقفال محل ميلانو بسبب مزاحمة البضاعة الإسبانية ورخصها مقابل ارتفاع أسعار السلع الإيطالية وكسادها حتى في مصر..[1]

نهاية عارف النعماني الاقتصادية

وهوى الملك عن عرش التجارة العالمية منذ سنة ١٩٢٧... والواقع أن ثمة مشاكل حصلت بينه وبين وكلائه في محل مانشستر من أبناء الإدلبي. إضافة إلى طلبه كمية كبيرة من بالات القطن من محل مانشستر، بأسعار عالية ومضاربة البضائع الإيطالية والإسبانية الرخيصة السعر لها.. فأصبح سعر مشترى بالة القطن من مانشستر ١٠٠ جنيه مقابل مبيعها بـ٧٠ جنيهًا أي بخسارة ٣٠ جنيهًا[2]. وبدأت الشركة الإنكليزية المطالبة بالأموال المترتبة على النعماني، فحاول الاتصال برئيس حكومة العراق السيد ياسين الهاشمي للحصول على مال يخوّله الذهاب إلى إنكلترا لشرح حقيقة الموقف[3].

أثناء ذلك زار المستر جن (الممثل للشركة الإنكليزية التي يتعامل معها النعماني) بغداد سنة ١٩٣٠، وتضايق لأنه لو علم بذلك لأتى إلى بغداد وشرح له حقيقة آل

=سنة ١٩٣٣ تسلّم الملك غازي الحكم، فبدأت الأوضاع الداخلية بالتوتر نتيجة انشغال الساسة بجمع الثروات بمشاركة الشركات الأجنبية، فانتشرت الرشوة في دوائر الدولة. وبدأت الصحافة تشنّ الهجمات الانتقادية بسبب تدخل رجال العشائر والجيش في أمور السياسيّين وتسابق رؤساء الأحزاب والشخصيات على المناصب في الدولة. وازداد انتقاد المجلس النيابي للحكام. فظهرت اضطرابات سنة ١٩٣٥ والتي عرفت بحركات (وسط العراق). فقام الجنرال بكر صدقي بانقلاب عسكري ضد حكومة ياسين الهاشمي. وتسلم الحكم حكمت سليمان الذي كان على خلاف مع ياسين الهاشمي وكان المستفيد والمخطط غير المباشر لذلك بريطانيا.
راجع زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(١) مقابلة مع السيد وجيه النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٤).

الادلبي ولأقنعه بأنه لم يعد يملك الأموال الطائلة كما ذكروا له[1]. وأشار الأقرباء عليه بإعلان إفلاسه، ولكنه رفض، وانتهى النعماني اقتصاديًا بين مشاكل متجر مانشستر والشركة الإنكليزية وأبناء الإدلبي وبين انتظاره معونة ياسين الهاشمي، وتأخر مراسلات أقربائه في العراق الذين كان يطلب منهم "كلمتين يخلّصانه من حيرته، وضيقه، لجهله بما يحصل في بغداد"[2]. وبدأت الشركة الإنكليزية المطالبة بأموالها... فقامت بالحجز على ممتلكاته. فعرضت القصر بالمزاد العلني. فاشتراه أحد تجار الخضار وما لبثت الدولة أن استأجرته وحوّلته إلى مدرسة رسمية للإناث[3]. ولم يكن تدهور أسعار

(١) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٣ وثيقة رقم ٤).
(٢) الملاحق: عارف النعماني ومراسلات العراق (وثيقة رقم ٢).
(٣) قصر عارف النعماني: من قصور مدينة بيروت شُيِّد في أوائل القرن العشرين. يقع في منطقة البسطة التحتا مقابل قصر الخرسا، ومنزل الرسام مصطفى فروخ سابقًا، ومنزل آل عضوم. يحتل القصر زاوية على مفترق طريقين: الطريق الأولى إلى الجانب الغربي للقصر أي عند المدخل الرئيسي، وهي باتجاهين: شمالًا إلى منطقة ومدرسة حوض الولاية أو المدرسة العسكرية العثمانية فمنطقة برج أبي حيدر. وجنوبًا تتجه إلى منطقة قبر الوالي أو الباشورة فالإطفائية حاليًا. والطريق الثانية وتشكّل الحدود الشمالية الجنوبية للقصر وتتجه نحو البسطة التحتا التي تمتدّ شمالًا إلى البسطة الفوقا وجنوبًا إلى قبر الوالي أو الباشورة. المدخل الأول للقصر عبارة عن بوابة حديدية عريضة مخرّمة بنقوش ورسوم مختلفة، تفضي إلى بركة يحيط بها من اليمين والشمال سلالم عالية بارتفاع حوالي الثلاثة أمتار تلتقي عند باحة تشكّل المدخل الثاني للقصر الذي تحيط به الجنائن من جميع جهاته. حيث نجد في وسط الجنينة الرئيسة شجرة أرز واحدة يحيط بها بعض أشجار الصنوبر.. أما القصر فيتوسط هذه الجنائن، وهو عبارة عن بناء مؤلف من طابقين (دوبلكس) الطابق الأول يتألف من دار يحيط بها عدّة غرف جدرانها ملوّنة برسوم الأزهار وأغصان الشجر، وفوق الأبواب آيات قرآنية، والسقف مزخرف وملوّن ومذهّب. يتصل الطابق الأول بالطابق الثاني بدرج رخامي أبيض حلزوني الشكل ينتهي إلى بهو صغير يفضي إلى الدار التي يحيط بها مجموعة من الغرف، والتي لا تقلّ عن الطابق الأول فخامة وروعة في الرسم، وأيضًا في تخطيط الآيات القرآنية فوق كل باب..
تحوّل القصر بعد انهيار تجارة عارف النعماني إلى مدرسة رسمية (مدرسة الإناث الأولى الرسمية).
هذا القصر تعرّض للتشويه من قبل الدولة بحجة توسيع الطريق فقطعت شجرة الأرز الوحيدة وتحولت إلى مقاعد للطالبات، علمًا بأن البيوت الملاصقة بقيت على حالها.. مما أدى إلى تشويه معالم القصر.. وفيما بعد هُدم القصر في السبعينات وأُعيد البناء بشكل هندسي عاديّ جدًا وبقي مدرسة للبنات. واللافت للنظر أن المدرسة، وخاصة إن كانت للإناث، فمن الطبيعي أن نكون بعيدة عن المحلات التجارية، وعلى الأقل مسوّرة أسوة بالمدارس الراقية.
الغريب أنه حتى بعد أن أُعيد البناء نفاجأ بمحلات لا حصر لها لبيع الأثاث العتيق، مما شكّل مع هدم قصر الشيخ عبد القادر الخرسا أيضًا الذي شُيّد مكانه بناء سكني عاديّ ظهور محلات للأثاث القديم، فأدى ذلك إلى استحداث سوق لبيع المفروشات القديمة. فأين مما ذكرت تراث مدينة بيروت، وماضي بيروت، وأهل بيروت، قصر النعماني الذي شهد تشكُّل الوفد إلى المؤتمر=

البضاعة والخسائر المادية فقط وراء خسارة محلات عارف النعماني، وإنما قيام فرنسا وإنكلترا بمحاولة إحباط وعرقلة كافة مشاريعه في العراق وبيروت والحجاز أملًا بالوصول إلى إذلاله ونهب ماله وإفلاسه والقضاء عليه ماديًّا ومعنويًّا.. مردّ ذلك أن النعماني لم يكن في تطلعاته الاقتصادية، ذلك الإنسان العادي المحصور ضمن محيط وطنه لبنان فقط، بل كان رجلًا أكبر من الوطن، تحرك عالميًّا ودخل في مشاريع اقتصادية متحديًا أقوى دولتين (فرنسا-إنكلترا). ورغم خسارته المتلاحقة لم ينكفئ أو يتراجع بل اختار السقوط الصاعق لأن كل مشاريعه كانت بمثابة الصواعق على كل من حاربه وعمل على القضاء عليه.

= السوري الأول ١٩٢٠ والذي استقبل الأمير فيصل.. وفيما مضى كان يستقبل الولاة الأتراك لبيروت... فأين تاريخ مدينة بيروت، وهل يعقل أن يندثر البشر وأيضًا الحجر؟ وأن يندثر معهم تاريخ وتراث أهل بيروت؟
راجع: د. فاطمة قدورة: محاضرات بيروت... تراث وحضارة، ص ٢٠.

الفصل السادس

أعماله الثقافيه والإعلامية

وكما قدّم عارف النعماني حياته وماله من أجل القضايا السياسية والاقتصادية في لبنان والبلاد العربية أهتم أيضًا بالقضايا الثقافية والتعليمية في بلاده وذلك من منطلق إيمانه بالفكر الخلّاق، والعلم المؤدي إلى عبور تخوم الجهل المتفشي بين الناس، وبأنّ مفتاح الحياة الكلمة التي توصل إلى الحقيقة في كل المجالات. لذا ساهم بماله من أجل التعليم الخاص في بيروت وكافة المناطق اللبنانية، فتبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية لمدرسة الشيخ عباس، وهي من المدارس الخاصة التي نالت شهرة واسعة بين أبناء مسلمي بيروت في أوائل القرن العشرين[(١)].

وتبرع عارف النعماني بمبلغ مماثل لإنشاء مدرسة الفاروق المقاصدية في منطقة الطريق الجديدة في بيروت، من أجل تعلّم أبناء تلك المنطقة من الفقراء والمتوسطي الحال. خاصة وأن المنطقة آنذاك كانت عبارة عن تلال رملية مليئة بنباتات الصبار.. وتشكو الفقر وإهمال الدولة.. فقدّم المبلغ لإدارة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية[(٢)] بواسطة السيد وفيق النصولي[(٣)]. ولم يقتصر اهتمامه على ذلك بل شارك في الدعم الماديّ للعديد من مدارس لبنان الإسلامية والمسيحية، ونذكر على سبيل المثال ثمن بالة من القطن قدّمه كتبرع لإحدى مدارس الراهبات حيث كان ثمن البالة ،آنذاك يوازي ثمن بناية[(٤)]. وساهم أيضًا في إرسال الطلاب اللبنانيين لاستكمال دراستهم في مصر وفرنسا، كما حدث

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).
(٢) جميعة المقاصد الخيرية الإسلامية: تأسست في بيروت سنة ١٢٩٦هـ وضمت وجهاء مدينة بيروت الذين اهتموا بالشأن المعيشي والتربوي لسكان بيروت وذلك من خلال إنشاء العديد من المدارس الخاصة. راجع: الفجر الصادق لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.
(٣) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).
(٤) مقابلة مع الدكتور أسامة عانوتي، بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٩٦.

بالنسبة للسيد عمر الفاخوري وتوفيق فايد...[1].

ولعارف النعماني مساهمات مادية في حقل الصحافة والإعلام. فلقد ساعد ماديًا في تأسيس جريدة الأحرار لصاحبها جبران التويني والتي ظهرت سنة ١٩١٩[2]، وذلك رغبة منه في نشر الوعي الفكري بين الناس وكشف ألاعيب فرنسا ومخططاتها في لبنان. ومن يساندها ويؤيد سياستها من حكام لبنان ورؤسائه. ونلاحظ ان هذه الصحيفة قد عالجت قضية مصرف سوريا ولبنان وتحويل العملة الذهبية إلى ورقية، وأيضًا قضية الثورات ضد الحكم الفرنسي، ولو من خلال صور كريكاتورية كانت غاية في النقد اللاذع للسياسة الفرنسية في لبنان[3].

أعماله الاجتماعية وأبعادها الدينية

إن الذات الانسانية لدى عارف النعماني، تتوهج ببريق خاطف يسلط الأضواء بقوة عليها، فتصرف التفكير عن بقية النواحي لديه، لانها تخرج عن دائرة مألوف البشر في التصرف، وتصل إلى حد لا يقبله العقل في تموجها وعلوّها وتحرّقها مع مشاكل البشر..

فنفحة الخير والعطاء المادي صلاة ذات طقوس لا يدركها إلا القلة من البشر الذين عرفوا القيم الروحية الإنسانية. نحن نؤمن بعظمة الروح لدى الناس المميزين أمثال عارف النعماني لذا نحاول في تعاملنا مع تكثفها بشكل إنسان، أن لا نخدش أو نؤذي سموّها المميز فوق مستوى طبائع البشر، محاولة منا لأبعادها عن الأغراض الدنيوية الرخيصة، والتي يحلو لبعض أصحاب النفوس الحاقدة باتهام هؤلاء المميزين بالبحث عن الشهرة والزعامة والمصالح الاقتصادية. من هذا المنطلق نجد أن أعماله الاجتماعية تأخذ منحى دينيًا بطابع رمزي يظهر من خلال مساهمته في تغذية الحركات الوطنية بما استطاع من أموال، كمساهمة صغرى منه بالجهاد الاكبر مع العدو، ودعمه المادي المستمر للجوامع والكنائس في بيروت، وصرفه المبالغ المادية الضخمة من أجل الأعمال الإجتماعية دون خوف من فقر أو

(١) الوثائق اللبنانية وثيقة رقم (٢) ورقم (٣) قدّمها لنا المحامي والمؤرخ الأستاذ عبد اللطيف فاخوري بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٩٧.
(٢) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).
(٣) جريدة الأحرار - ميكروفليم - من الجامعة الأميركية.

شح.. ونجده يجلب القمح من سوريا إلى لبنان بسبب المجاعة التي حصلت اثناء حكم جمال باشا التركي، ويوزّع مبلغ ٤٥ الف ليرة مصرية على العائلات البيروتية. ويساهم في ترميم القرى ومساعدة سكان أرواد.. ويقدّم الاموال إلى الهيئات الصحية العاملة من أجل مكافحة مرض السل في لبنان، ويساعد بعض العائلات البيروتية في ضيقها كآل سلام وآل العريسي وآل العويني[1].

ويتبرّع لدفع دية قتيل، قتل لأسباب شريفة[2] ويذكر عارف النعماني الله في بحبوحته، ويشعر بأنه كلما أحسن وتبرع بماله أفاء عليه الله من كرمه أضعافًا أضعافًا. فلا يهمه ما سمع من شتم الاغنياء البخلاء وسبه بسبب كرمه الحاتم طائي. ولطالما كادوا له، ولكنه لم يأبه ولقد لُقِّب (بالمحسن الكريم)، وسماه الناس لإسرافه في الاحسان (بالمحسن المجنون)، ولكنه كان يقول في ذلك: "يشفع لي في هذه الصفة قول الإمام علي (رضي): جنونان لا أخلاني الله منهما: الشجاعة والكرم". وهكذا نجد أنه أصبح نموذجًا يضرب به المثل في الكرم والعطاء.

ويظهر البعد الايماني في عمله الاجتماعي عندما تدهورت أحواله المادية وحجزت الشركة الانكليزية على ممتلكاته وصادرت كل ما حوى محله التجاري من دفاتر وأوراق. فاحتفظ بدفتر واحد رفض اعطائه للشركة.. وفيما بعد تبين بانه سجل باسماء العائلات والاشخاص الذين كان يمدهم النعماني بالمال بصورة مستمرة وسرية[3]. لقد عرف الله في غناه فاعطى واحسن، وعرف الله في ضيقه ومصائبه وغدر الناس به، ومكايدة القواد والزعماء، وإنكلترا وفرنسا له في كافة مشاريعه الاقتصادية. ورغم ذلك بقي صامدًا مكابرًا مؤمنًا بأن الحياة ليست بداية ونهاية بل دروب تجدد وعطاء وعمل وابداع. وحتى عندما ذهب المال بقي ذكر

(١) مقابلة مع عبد الرحمن عارف النعماني بتاريخ ١١/٧/١٩٩٧.
(٢) فيتذكر النعماني سنة ١٩٢٠ الشاب من اهل الدامور من آل الغريب عندما قتل مواطنًا لاسباب شريفة. حيث أقامت زوجة القتيل الدعوى عليه وحكم عليه بالاعدام. واتفق آل الغريب على دفع دية لزوجته وجمع أهل المنطقة ٤٠ ليرة ذهبية، وزارني وفد من الكرام طامعين في كرمي. وعلمت أن المحاكمة بعد ثلاثة أيام وعلمت اني مهما اعطيتهم لم يتمكنوا من اكمال المبلغ، فقلت كم هو المطلوب فقالوا ٢٦٠ ليرة ذهبية فانقدتهم المبلغ واسقطت المرأة دعواها، ونجا الشاب من حبل المشنقة. محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).
(٣) مقابلة مع د. اسامة عانوتي بتاريخ ٨/٤/١٩٩٦.

الله في ذاته متجليًا بالصبر على قضاء الله وقدره. . ربما كان مؤمنًا بأن الله أعطاه وان الله أفقره وفي كلتا الحالتين تذكر نعم الله عليه فاغدق من نعمه إلى حد الجنون، وتذكر الله في ضيقه فألبسه ثوب الصبر. . .

ولكن ليس كل ما ذكرناه هو السبب في تدهور أوضاعه المادية، فهو يحاول بجهد وضنك أن يحبس في أعماق ذاته الاسباب الحقيقية التي أدت إلى ما آلت اليه أحواله المادية من تردّد وقصور. . "مخافة أن تسود وجوه بيضاء، وتتنزل العمالقة إلى وهدة الاقزام"[١] ويبقى الصمت الحزين، يلقي بظلاله السوداء على الحقائق التي اخفاها عارف النعماني بين ثنايا روحه. مكتفيًا بالايمان بالله سبحانه وتعالى الذي أسبغ على روحه نعمة الرضى والطمأنينة، بعد أن ذهب العمر وفني الشباب.

---

(١) محمد قره علي: مذكرات عارف النعماني (الخاتمة).

الخاتمة

نستخلص مما تقدم أن عارف النعماني كان رجلًا مخلصًا من رجالات لبنان الأبرار، ورمزًا هامًّا من رموز الوطنية وأحد أعمدتها الشامخة.

لم يكن صاحب نظريات سياسية أو اقتصادية. لقد كان واقعيًا فعلًا وانفعالًا، حيث قدّم لنا مواقف عصيّة على الابتذال والوصولية والنفاق. من أجل تحقيق طموحات ورؤية سياسية واقتصادية، سعى لتفعيلها وخلقها من خلال تلك المواقف العنيدة الصلبة، والجرأة النادرة في قول الحقيقة واثباتها وإعلانها . . . وهنا كانت إبداعية شخصية عارف النعماني. .

- فسياسيًّا وضع يده على مسألة حساسة تتعلق بتميز الكيان اللبناني في علاقته مع الدول العربية وذلك من واقع تعدديته الدينية وتنوع الولاءات السياسية واختلاف الثقافات فيه. .

لقد حاول السياسي المخلص والوطني الكبير، المنسجم مع نفسه وطموحاته السياسية، والذي آمن بثوابت هذا الموقف الوطني، الدفاع عن إيديولوجيته بكل ما أوتي من قوة وجهد، باذلًا الذات والمال، انطلاقًا من إيمانه باستقلال لبنان وسيادته، وتمسكه بالحريات العامة. وكان تحركه بعيدًا عن الطائفية والمذهبية يعمل بحس ونهج وطني مسؤول، ولكن جهوده كلها فشلت، وفشل معها لبنان الذي لا يزال حتى يومنا هذا يتخبط في حروب أهلية دموية طاحنة، نتيجة المعاناة المستمرة لواقعه المميز الفريد بين الدول العربية.

- واقتصاديًا يعتبر عارف النعماني من عمالقة جيل التأسيس في النهضة الاقتصادية لا في لبنان فحسب، بل وفي حواضر الدول العربية؛ عمل خلالها على ربط الاقتصاد اللبناني بالدول العربية والأوروبية، فاتحًا لذلك فروعًا تجاريه بين إنكلترا وايطاليا ولبنان والدول العربية، فكوّن بذلك أمبراطوريّة تجارية خرجت من لبنان الضيق إلى العالم، فأفاد واستفاد؛ ولكن جهوده الاقتصادية انهارت أيضًا

نتيجة لمواقفه السياسية، والمتغيرات التي تعرضت لها الدول العربية بسبب الانتداب الفرنسي والإنكليزي..

يبقى أن نستخلص من كلّ ما ذكرنا أن عارف النعماني كان زعيمًا عالميًّا تخطى بفكره السياسي والاقتصادي حدود لبنان وسوريا والدول العربية إلى أوروبا، وبالتحديد فرنسا وإنكلترا.

- اجتماعيًّا لاحظنا أن صدقيته كانت شفافة بيضاء، قرّبت الناس منه وشدتهم اليه، إضافة إلى كبر وجرأة في قول الحق ودأب في تحقيق الطموحات دون كلل. إن في مواقفه وتحدياته وطموحاته قدوة للأجيال اللبنانية، تثبت لمن عاش معه أو عاصره ولمن بعدهم ممن اختزن سيرته، أن الأوطان الصغيرة لا تحكمها قدرية ضيق المساحة، وقلة الموارد الطبيعية، ولا الحدود المغلقة نتيجة حصار الجيوش لها أو ضعفها إزاء المخططات الاستعمارية، فمتى أعطيت رجالًا من أمثال عارف النعماني يعرفون كيف يحلمون بمساحات كبيرة من النجاح والتفوق، عندئذ يتجاوزون الحدود ويرتفعون مع أوطانهم إلى العالمية المطلقة.

ولكن قد تختفي سيرة هؤلاء الرجال من تاريخ لبنان الحديث بحكم مرور الزمان وتقلب السياسات وتنكر سادة الحكم والسلطة، وتبقى مواقف البطولة أكبر من أن تُنسى أو تشوّه. فالتاريخ فيه زوايا وهّاجة قد يخفّ بريقها في زمن الهزائم والنكسات، ولكن نور الحقيقة لا يلبث أن يعود يسلّط الضوء من جديد على سيرة هؤلاء الأبطال الذين حلموا بالتغيير من أجل مستقبل أفضل للامة العربية. فتحدّوا وناضلوا وربما حققوا أهدافهم، وربما سقطوا، ولكن يبقى للحياة وقفة عز وللتاريخ حق وتأمل.

الملاحق

(الوثائق)

١ - الوثائق الفرنسية
٢ - الوثائق العراقية
٣ - الوثائق اللبنانية

الملاحق: عارف النعماني والوثائق الفرنسية

(وثيقة رقم ١)
(وثيقة رقم ٢)
(وثيقة رقم ٣)
(وثيقة رقم ٤)
(وثيقة رقم ٥)
(وثيقة رقم ٦)
(وثيقة رقم ٧)
(وثيقة رقم ٨)

الملاحق: عارف النعماني والوثائق العراقية

(وثيقة رقم ١)
(وثيقة رقم ٢)
(وثيقة رقم ٣)
(وثيقة رقم ٤)
(وثيقة رقم ٥)
(وثيقة رقم ٦)

الوثائق اللبنانية

(وثيقة رقم ١)
(وثيقة رقم ٢) رسالة من توفيق فايد إلى عمر فاخوري
(وثيقة رقم ٣) رسالة من عمر فاخوري إلى خاله خضر

الملاحق: عارف النعماني والوثائق الفرنسية

(وثيقة رقم ١)

الجمهورية الفرنسية
المجلس الحربي الدائم بلاراضي السورية
القائم في بيروت

قرار حكم

باسم الشعب الفرنسي

اصدر المجلس الحربي الدائم للاراضي السورية الحكم التالي :

في اليوم الواحد والعشرون من شهر تموز ١٩٢٠ وبعد المداولات والمراجعات ودارت ملف الدعوى اقر بالاجماع تجريم المدعو عارف نعماني بجريمة :

الاشتراك في عملية رشو الموظفين الرسميين ، واعتبر المجلس ان هناك أسبابا تخفيفية لصالح عارف نعماني .

وبالتالي فقد حكم المجلس باغلبية ثلاثة اصوات ضد صوتين على المدعو عارف نعماني بالسجن سنتين وبدفع غرامة مقدارها ١٢٥٠٠ ليرة سورية تطبيقا للمواد ٥٩ و ٦٠ و ١٧٩ و ١٧٧ و ٤٦٣ من قانون العقوبات .

تعريف المجرم :

مواطن سوري يعمل بالتجارة في بيروت

نسخة طبق الاصل
كاتب المحكمة

توقيع
مندوب الحكومة
روجيه

(وثيقة رقم ٢)

المفوضية السامية
للجمهورية الفرنسية
في سوريا وكيليكيا

بيروت في ٢٣ تموز ١٩٢٠

الى سمو احمد بك فخري
الى الاستاذ بترو طراد

لقد فكرت مليا قبل بما قلتم لي لصالح مولكم وصديقكم السيد عارف نعماني

بالرغم من انه لا يبدو لي انه من الممكن لرجل مطلع مثل السيد عارف نعماني ان يسدي الى ابن وزير داخلية حكومة الشام الخدمة المتمثلة بنقل بطاقة الامر الموقعة من قبل كنعان بك والامير امين ارسلان الى اسمه من دون احترام دوافع الخطوة التي كانت هي غرضها .

لي الشرف بان اعلمكم بانه نظرا لكون السيد عارف نعماني لم يتقاض مالا ونظر لماضيه ، قررت بان الحكم الذي ادانه سيعلق وبان العقوبة التي نالها ستتبدل بالاقامة الجبرية في مدينة محددة .

تفضلو يا صاحب السمو
تفضلو يا حضرة الاستاذ
بقبول فائق تقديري

غورو

(وثيقة رقم ٣)

المفوضية العليا
للجمهورية الفرنسية
في سوريا وكليكيا

باريس ٢٠ اذار ١٩٢١

مركز الوفد في باريس
٢١، شارع كاسيت (٧١)
هاتف : ساكس ٣٢-٨٤

رقم : ٢٧٥٣٠ / ك

السيد عارف نعماني
اجاكسيو – كورسيكا

حضرة السيد ،

جوابا على رسالتكم وعلى الطلب الذي وجهتموه الي ، لي الشرف بان اعلمكم باني قررت ، في خطوة حسن نية ، ان اعطيكم مهلة شهر للذهاب الى مانشستر للاهتمام باعمالكم ، بشرط ان تتعهدوا بان تكونوا في اجاكسيو عند انقضاء هذه المهلة ٠

ان رئيس كورسيكا الذي على علم بهذا القرار سيعطيك جميع التعليمات المفيدة بهذا الخصوص ٠

تجدون طيها رسالة السيد ايدلبي التي ارسلتموها لي والتي اعيدها لكم ٠

وتفضلوا بقبول احترامي ٠

(وثيقة رقم ٤)

مكتب رئس شرطة كورسيكا

اجكسيو في ٢٤ اذار ١٩٢١

حضرة السيد ،

لي الشرف بان اطلب منكم المرور الى مكتبي لشأن يهمكم ، غدا صباحا ، ٢٥ اذار ، الساعة الحادية عشرة٠

وتفضلوا ، بقبول فائق تقديري ٠

السيد عارف نعماني، اجاكسيو

(وثيقة رقم ٥)

مجلس النواب

باريس ٥ تموز ١٩٢١

سيدي وصديقي ، السيد نعماني

انكم ولا بد استغربتوا عدم رؤيتي • لقد اتصلت بكم هاتفيا مرارا دون نتيجة الا وهي معرفة اخباركم التي تتحسن وهذا من دواعي سروري •

لقد كنت انا في الفترة الاخيرة تعب جد وكنت مجهدا • اتمنى ان تكون صحتكم جيدة • لقد وصلنا الى المرحلة الاخيرة من المفاوضات مع ئيس المجلس ، لقد تم ارسال تلغراف اخير الى الجنرال غورو ، استرجع بعد ذلك حريتي اذا لم نبلغ هدفنا •

ومع الامل برؤياكم قريبا تفضلو بقبول مشاعري الصادقة

نائب باريس
٧٥ بولفار

(وثيقة رقم ٦)

الجنرال غورو
المفوضية العليا للجمهورية
في سوريا وكيليكيا

قائد الاعلى للجيش
رقم ٩٨٩/ ١٠

سيدتي

لقد تلقيت رسالتك التي من خلالها تطلبين اصدار العفو ، المتعلق بقضية زوجك عارف نعماني •

تعرفين ولا شك خطورة الخطأ الذي ارتكبه ضد فرنسا ، ومن المستحيل ان اتصور حاليا الطلب الذي تطلبينه •

تستطيعين ان تتأكدي بان جزيرة كورسيكا حيث كان يوجد زوجك السيد عارف نعماني ، هو بلد آمن حيث لا داعي ان يتضايق ماديا لحين رجوعه الى بلده •

كما ارجوا ان تعلميني بالامر اذا اردت ان تأتي مع اولادك لمقابلة زوجك لان هذا سيكلفك عناء سفر طويل وسيدخرك كثيرا من المال •

تفضلي بقبول ، سيدتي ، عبارة احتراماتي الفائقة •

الجنرال غورو

(وثيقة رقم ٧)

فندق لوتيسيا
٤٥ شارع راسباي
باريس (٦)

حضرة السيد نعماني

يا صديقي و مواطني العزيز ، لقد خرجت توا من عند الجنرال الذي طلب مني عنوانك الذي سجله على بطاقة زيارتك .

تحدثنا بعد ئذ عن الامور التي تعرفها .

هذه هي الورقة التي تم الاتفاق على مضمونها

بضميري و روحي لا ارى شيئا فيها ينتقص من كرامة الانسان الذي يوقعها و بالاخص عندما يكون هذا الانسان احد اعضاء المجلس الاداري .

اقرأها بتمعن — اني ملم باللغة الفرنسية بدرجة استطيع ان او'كد لك ان نصها غير ضار و عادي .

فاذا قابلت هو'لاء الاشخاص اكون لك من الشاكرين اذا استخدمت تأثيرك عليهم لاقناعهم .

آسف لعدم تمكني من مقابلتك في الفندق و خيرها بغيرها .

المخلص شكري غانم

(وثيقة رقم ٨)

وزارة الخارجية
مديرية الشوءون السياسية والتجارية

الجمهورية الفرنسية
باريس في ٦ ديسمبر ١٩٢٢

اسيا — اوقيانيا

حضرة السيد ،

بقرار صادر بتاريخ ١٤ اوكتوبر ، وافق رئيس الجمهورية على محو ما تبقى من عقوبة النفي التي اذنتم بها من قبل مجلس بيروت الحربي .

لي الشرف ان اعلمكم بذلك .

وتفضلوا ، بقبول فائق الاحترام.

السيد عارف نعماني
ص.ب. ٣٩١
شارع المينا الشرقي
اسكندرية
(مصر) .

(وثيقة رقم ١)

في بيروت ١٦ يناير ١٩٤٨

دام عمره

سيدي الأخ الفاضل المحترم يا سيدي
بعد السلام والاحترام والشوق ... وبعد أرجو أن يصلكم تحريري هذا وأنت على
غاية ما يرام من الصحة والعافية ويكون زال البأس انشاء الله
سبب تحريره هو لعرض فكرة يتشبث بها بعض الذين يشتغلون بمسألة
البابورات والسفريات ولنقل الحجاج الى مكه والمدينه في مواسم الحاج .
وقد اتفقوا فيما بينهم وحضروا لمواجهتي وعرضوا عليّ بأن أؤلف شركة
للسفريات في هذا الموسم يؤسس لها فرع في بغداد وهذه الشركه
تتعهد بتسفير الحجاج من عراقيين وأعجام من بغداد الى جدة ذهاباً وإياباً
بنوع ان تكون تلك الشركة هي المعتبره من طرف حكومة العراق مثلما يجري
بالقطر المصري تقريباً حيث الحكومه تتفق مع احدى الشركات وتسفر جميع حجاجها معها
بشرط طبعاً ان تكون امينه من تلك الشركة وتأخذ منها أيضاً ضمانة ماليه
او كفاله بقيمة ... الاف جنيه مصري ترجع لها بعد رجوع الحجاج الى اوطانهم
سيدي: العمليه هي عمليه طيبه ورابحه وليس علينا ان ندفع رأسمال ولا بارة
والجماعه أتوني اليّ (لاعتقادهم) ان حسن سمعتي ومعاملاتي ونظراً لما
لي من الاصدقاء في بغداد يمكنني من اعطاء الشركه اسماً ورونقاً ويساعدني
على حصول مصادقة الحكومه العراقيه بأن تعتبر تلك الشركة هي وحدها
المعتبره عندها وصاحبة المسؤوليه تجاهها . وبعد درس المسأله
أعطيتهم الجواب الآتي: انني اقبل مبدئياً بتأليف الشركه باسمي على الشروط الآتية:

(١) يكون اسم الشركه عارف النعماني وشركاه (وهنا ننتخب اسماً للشركه: الشركه الاسلاميه لنقل الحجاج مثلاً . او الشركه العراقيه لنقل الحجاج او ما شابه..)

(٢) ليس لاحد حق بالاعتراض على خلافي .

(٣) يُعيّن رأسمال اساسي للعمليه ويسلّم لي .

(٤) لي الحق المطلق بالتصرف ووضع الشروط بيني وبين الحكومه العراقيه (التي اريدها) لاجل منحها المصادقة على الشركه والاعتراف بها رسمياً .

هذه هي يا سيدي الاخ الشروط الاساسيه التي طلبتها من الجماعه واما فيما يتعلق بالحكومه العراقيه فاني اقترح ان تعيّن الحكومه هي مندوباً من طرفها تدفع معاشه الشركه وهو يراقب اعمال الشركه . ثانياً تدفع الشركه مبلغ ... من مجموع الناولونات التي تقبضها من الحجاج وهذه القيمه تبقى كتأمين بيد الحكومه ترجعها للشركه عند رجوع الحجاج ولا تصدر تذكرة سفر الا تكون مختومه من مدير الشركه ومن مراقب الحكومه .

هذا الشرح كما يقولون (Grosso modo) عدا عن اجتهادي طبعاً بترتيب الادارة ان كان في بيروت او في بغداد كذلك في السويس وفي جدة وفي كل مكان نحتاج لعملاء لنا ينظرون لراحة الحجاج وتسهيل امورهم .
واني مرسل لكم طيه بياناً بالاسعار النهائيه التي وضعتها والتي على ما اظن لا يمكن مجاراتها مع ضمان راحة الحجاج وتأمين الحكومه على رعاياها وعدم انقطاعهم في الخارج والضمانه هي ماديه وادبيه بآن واحد .
فارجوكم يا اخي ان تفكر قليلاً بهذه العمليه (مع ما انت عليه من التنكيد) وتعطيني رأيك فيما اذا كان ممكن اتمامها والحصول عليها لان انتفاعنا منها سيكون

اقتناع كبير ويمكن المداومة عليها كل سنة وتكون بنجاح وكرر اني اعلم
عدم اهتمامك كثيراً بالماديات ولكن دعني اهتم لي ولك وكما شرحت
فهذه الشركة ستكون نافعة لنا وللعراق وحكومته ايضاً بحيث
يكون الحاج العراقي مضمون الراحة ذهاباً واياباً بضمان واشراف
حكومته كما يجري في القطر المصري .

ارجو ان لا تضن علي بالجواب باسرع ما يمكن كي لا يفوت
الوقت فاتمم الاتفاق هنا واحضر الى بغداد لاتمامه هناك مع
الحكومة ...

هذا والى ان اختم تحريري راجياً من الله تعالى حسن التوفيق والالهام
وان ينشطك ويقويك ويديمك اخاً

عارف

(وثيقة رقم ٢)

عارف النعماني
بيروت

العنوان التلغرافي : عارف النعماني
صندوق البوسطة : ٩٩

بيروت في ٥ شباط [illegible]

عزيزي وجيه حفظه الله

سلام وشوق وبعد فان سكوتكم الطويل كان بدأ باشغال بالي لولا وصول
كمال افندي عندي فاستطلعت منه عن صحتكم وانكم تجيدون عافية .
عسى ان يكون الحال ما شاء الله بخاطركم وقادم على التطمين . فهمت من كمال افندي ان محمود في غالب
الاحيان يكون غائب عن بغداد في الاراضي الزراعية .
ثم مضت الآن مدة ولم اتلق منكم تحرير ولا من محمود ولا ادري عن سير الاعمال شيء ،
ولا عن المسائل الزراعية التي يمكن لمحمود الآن ان يفيدني عنها . فالمرجو ان يفعل .
هل تصرفت الحنطة التي كانت مخزونة من الموسم الماضي ؟
وهل الزرع بهذه السنة طيبة وما هي تقريباً الكمية والمساحات المزروعة ؟
هل يمكن ابات ان يزرع قطن بهذه السنة ؟
ان سكوتكم المتمادي عن التحرير يجعلني هنا مثل الضائع وهذا لا يوافق يلزم ان تحرروا
لي كلمتين على الاقل سواء" انتم ومحمود لاجل ان اكون au courant هذا!
ضروري جداً .
الانسة صبيحة : استغربت من الباشا رسالة الخرجية لها عن يد البنك وقد حصل لها ثقلة
بقبض المبلغ نظراً لمعاملات البنك والتزمت للذهاب للبنك ومراجعة المدير فلماذا
لا يكلفنا بشيء من ذلك ؟ ويوفر عليها وعلى نفسه هذه الثقلة ؟
حضرت يوم الجمعة الماضية للكتب بخصوص البنك والصعوبات التي حصلت لها وبعده
اي يوم السبت كانت عندنا في البيت على الغدا وقد علمنا لها الكلمة كتبه حسب طلبها
وصحتها جيدة جداً وهي مبسوطة للغاية .

(وثيقة رقم ٣)

عارف النعماني
بيروت

العنوان التلغرافي : عارف النعماني
صندوق البوسطة : ٩١

بيروت في ٢٠ ايار

عزيزي وحيد
لقد تلقيت تحريرك اليوم رقم ١٦ وقد تكدرت منك جداً لعدم اعلامك
اياي عن حضور مستر "جن" الى بيروت في حينه ولو تلغرافياً ولكن فعلت بالعكس
وبدلاً من تقديم تلغراف حررت لي بكل برادة ولعدم سفره من بغداد بثلاثة ايام
وبلحظة وصول تحريرك تشغلت عنه في اوتيل نيو سول وفهمت انه سافر اول
امس عن طريق الاستانة بقطار حلب
انه كان من الاهمية عندي بمكان عظيم مقابلتي له في بيروت وكيف لم يخطر
في بالك ذلك مع علمك بما بيني وبين الشركة والادلي خصوصاً وقد تكلم
معك المستر "جن" ما تكلم بخصوصي! لمن يعد عندكم بعض الـ Initiative
يا عالم ؟؟ ان مواجهتي مع المذكور كانت تكون بمثابة نصف سفري الى منشستر
وكنت فشخت ~~[illegible]~~ فشخة قوية جداً بدعواي مع الشركة !!

(وثيقة رقم ٤)

A. NAMANI
BEYROUTH
TÉLÉGR.: AREF NAMANI
B. P.: 99

Beyrouth, le بيروت ٩ ايلول

عزيزي وحيد
اخذت تحريرك وفهمت شرحك بخصوص المستر "جن"، فلعله خير اذ ما زال يفيد
الرجوع للماضي بشيء وقد صار ؟ وما تحريري لك الا لتبرير الخصوص الآن من شدة
انفعالي وتأثيري على فوات هذه الفرصة ولكن قدر فكان.
عطوفة الباشا: واجهته بوصول تحريري هذا واسأل خاطره واعرض له عن لساني
اني انتظر ورود الحواله بمبلغ ٥٠ ليره التي كنت رجوته بارسالها وقد وعد بتدبيرها
مما صرفته من الحشر الهاوي حفظه الله. كنت باشرت بتحرير له الآن
ولكن بالحقيقة لا اعلم ماذا اكتب له وتراني متضايق جداً من الحاحي عليه
ولكن ما العمل ولا ثقة لي ولا امل الآن فيه ؟ والحاحي هذا ناتج عن ضرورة
سفري عاجلاً الى منشستر اذ ان الشركة بانتظار وصولي وقد مضى اكثر
من شهرين تقريباً على دعوتها لي للحضور. والذي يخيفني ان اتأخر او ان
لا اتمكن من السفر لعدم وجود دراهم وهناك الطامة الكبرى فتذهب كل
اتعابي ومساعيّ واغرق الى الابد.
لذلك تراني متهيج الاعصاب يا وحيد فلا تستغرب اذا ما حررت لك
لبعض الاحيان بلهجة شديدة لم اتعود عليها قبل الآن.
هذا وفي الختام اهديكم جميعاً سلامي وودي

عارف

اطلعت الباشا على هذا التحرير بواسطة محمود. فقال انه عمال
يدبر له [illegible]

(وثيقة رقم ٥)

عارف النعماني

بيروت

العنوان التلغرافي : عارف النعماني

صندوق البوسطة : ٩٩

بيروت في ٢٨ [illegible]

عزيزي وحبيبي

بعد ارسال التحرير الماضي باسم عطوفة الباشا اهديت تحياتكم رقم ٢٠ بند ومنهت شركة بخصوص مخابرة الباشا لاحدى الشركات فعسى ان يتوفق حالاً لاني اصبحت بغاية الاضطرار واخشى ان [illegible] وترتبط جميع النتائج التي توصلت اليها لغاية الآن.

خالد بيهم : ربما يكون سنه لغاية السباقات وهل اشترى خيول. ارجو ان محمود يلاحظ ذلك ويعرفني. وهل ان عند شريكنا الشيخ علي كريم لم يزل موجود خيل للسبق ؟؟

ماذا تم بامر السنديكا ؟ وهل انعقد ؟ ارجو عطوفة الباشا ان التحرير الذي سلمته [illegible] تفويض لاستلام ما يخصني من الارباح بناء على موافقته واتفاقه معي.

الطوابع وصلت وهذه الطوابع عندنا منها كثير والذي كنا نرغبه هي الطوابع [illegible] القديمة والطوابع السوري والطوابع الحجازي وطوابع شرقي الاردن وفلسطين اما طوابع لبنان الكبير والجمهورية اللبنانية فهي كاملة عندنا

هذا ما لزم الآن عرفتك [illegible]

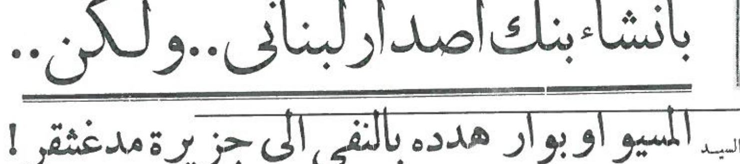
عارف [illegible]

(وثيقة رقم ١)



بمناسبة اتفاقية النقد اللبنانية الفرنسية

عارف النعماني طالب عام ١٩٢٣ هو
ومصطفى عزالدين ونجيب والفرد سرسق وبترو طراد



بانشاء بنك اصدار لبناني..ولكن..

المسيو اوبوار هدده بالنفي الى جزيرة مدغشقر!

حضرة الاخ العزيز المحترم السيد محي الدين النصولي حفظه الله

سلاما وتحية وبعد فنزولا عندرغبتكم الي بتدوين بعض مذكراتي عن قضية البنك السوري اللبناني وقيامي في سنة ١٩٢٣ بطلبي المعلوم من الحكومة اللبنانية ومجلسها النيابي بتأسيس بنك اصدار وطني اذكر لحضرتكم ما يأتي :

بعد ان قبض علي الفرنسيون في سنة ١٩٢٠ وحاكمني ديوانهم العسكري بقضية اعضاء مجلس ادارة لبنان المشهورة وحكمهم علي بالنفي الى جزيرة ارواد اولا ثم الى جزيرة كورسيكا وبقيت في تلك الجزيرة مدة سنة كاملة ثم سمحوا لي بتركها الى حيث اريد ما عدا لبنان وسوريا وكان محظوراً علي دخولها فاستوطنت القطر المصري وفي سنة ١٩٢٣ تلقيت في الأسكندرية كتابا من وزارة الخارجية الفرنسية تنبئني فيه بانه بناء على امر رئيس الجمهورية الفرنسية قد رفع عني الحظر من دخول وطني فبادرت بشهر تشرين الاول من سنة ١٩٢٣ بالسفر الى بيروت فوجدت جماعة البنك السوري اللبناني وعلى رأسهم المدير العام لتلك المؤسسة المدعو «بيرار» M Berard قد قدموا طلبهم رسميا

اجتماعي بالجنرال ويغاند

طلب الي الجنرال ويغان (وكان اذ ذاك مفوضا ساميا في لبنان) مقابلته فزرته في مقره بالسراي الكبير وكانت مقابلته لي لطيفة للغاية ثم سألني: ما هي تلك الحركة التي اقوم بها بخصوص مسألة البنك ؟ وهل اعتقد انه بامكاننا نحن اللبنانيين ان نقوم بمثل هذا العمل الضخم ؟ فاجبته حرفياً بما يلي : ان حركة البنك هي حركة طبيعية يجب على كل مواطن ان يقوم بها بدون استثناء .

واني راسخ الاعتقاد بان اللبنانيين قادرون ليس فقط على تحقيق هذه المهمة وحسب بل انهم يستطيعون ادارة بنك فرنسا خيراً مما هو عليه الان « ما دام الامر كذلك . اولا تظن ان تعاوننا معاً يكون افضل .. فاجبته ان المسألة في اعتقادي لا تستحق مثل هـذا التعاون ولكننا مستعدون لدرسها قال : الا تزال حاقداً علينا نحن الافرنسيين لابعادنا اياك عن وطنك ؟ فاجبته . ان القضية ليست قضية جدل وانما هي قضية مصلحة وطنية

يقبض بيمينه على مطوى صغير مفتوح وبيده اليسرى على قطعة صغيرة من الخشب يعمل فيها تنجيراً محدقا بها طول الوقت وكان بين الآونة والاخرى يرفع نظره الي في فترات قصيرة خاطفة ثم يعود الى التحديق في الخشبة وهو يتكلم واخيراً بادرني بهذا السؤال هل كنت مرتاحا يا مسيو نعماني في اجاسيو ؟ (عاصمة كورسيكا)

ج — جد الارتياح .

س — هلا تزال مصمما على ملاحقة مسألة بنك الاصدار هنا ؟

ج — نعم يا مسيو اوبوار

س — هل تظن انك ناجح في هذه المهمة

ج — ذاك هو أعتقادي .

س — هل عملت جميع الحسابات وقدرت كافة التقديرات ؟

ج — اني عملت كل الحسابات بكونها

بقلم
الوطني الكبير
عارف النعماني

حسابات وارقاما والارقام لا تخطىء، اما

رأسا لبيت بترو طراد فرويت له ما حدث بيني وبين اوبوار فطلبت اليه ان يرافقني فتوجهنا سوية الى بيت نجيب سرسق . فلما دخلنا سألت عنه فاجابوني انه تلقى تلغرافا من الاسكندرية مساء امس وسافر في الحال عن طريق فلسطين .

المسألة « تفشكل »

وهنا اخذ القلق يستبد بي ثم مضينا بعد ذلك لبيت الفرد سرسق .. فوجدنا الفرد واقفا امام باب داره فهرول الينا وقال : كنت ذاهبا لزيارتك ، اظن ان المسألة « تفشكلت » ولكن كن على ثقة يا عارف اني باق معك الى النهاية ولو شنقوني. ابن عمي نجيب « فركها » من الطريق واما مصطفى عز الدين فلن تجده على الاغلب ايضا .. فرجوته بان ينتظرني في البيت وتوجهت لبيت مصطفى عز الدين فلم اجده وعلمت من اهل بيته انه سافر ليلة امس الى طرابلس حيث يعتزم منها التوجه الى رومانيا بشأن قضية « كاز » فعدت الى دار الفرد سرسق واخبرته الواقع:

اوبوار ينفذ وعيده

(وثيقة رقم ٢)

رسالة من توفيق فايد إلى عمر فاخوري

السياسي لأن الشعب لا يميل إلى مثل هذه الكتب الاختصاصية بعد. السيرهد
الكتاب الذي اختصر فيه شارل جيد عن مؤلفه الكبير ورغب الطلاب الحقوق أن لا
يعتمدوا عليه في دروسهم وهو بحجم الروايات الفرنسية الدارجة. أنا لا أشجعك على تعريب
والفت نظرك إلى الكتب التي تلاقي اليوم إقبالاً عند جمهور قراء المصريين وربما تستغرب
ذلك: مذكرات هيندنبورغ. مذكرات مدام أسكويث وهي تباع جيداً. إني أحسب أنه
أقرب للمكتبة كتاباً لقاء عناية السيد جال بي فلم أجد بين كتبي إلا كتاب المسمى له [illegible]
Driault ولكنه كبير لا ينتهي مني بأقل من ستة أشهر ولست أتأكد البقاء هنا كل
هذه المدة. هل ترى معي أن كتاب جحا البسيط قابل الرواج. الحق أنا تذاكرنا في
أمره وأبديت لي أنك لا تستنسبه لما به من حط كرامة عالم أزهري. ألم أقرأ إلا
بعض صفحات منه ثم أخذه عارف أفندي مدة الحصر ولعلي أطلبه منه عند سبيل العودة وأبعث
إليك أن تعني بنسخة منه إذا لم يكن الظفر حليفك ولو سهل علي إرسال الثمن لي هذا الكتاب
لما تأخرت.

على ذكر الظفر وعارف أفندي أخبرك بأني كتبت إلى أبي محي الدين بأن الألفة
فرنك كتابة صغيرة لا الطوبة يعارض بعدها وقد لحت له عن الدائن في فرنك القديمة قيمة؟
هل أتاك كتاب منه بعد سفري أو أرسل إليك راتب الشهر المتأخر. وأما عارف
فقد أوضحت حقيقة أمري بالتفصيل لما أتى منذ ثلاثة أسابيع إلى القاهرة فقال لي أنه
عائد اتفاقية بتركة الدهشة وفرح لأجل استجلاب الخشب من ترانسلفانيا وهو مصمم
بيدهم بجمع التبرعات الأولى وأنه ما زال يفكر بي ليحل عندما المباشرة بإبراز الإضافية
إلى حيز العمل ... وربما تأخر ذلك أيضاً بضعة شهور لأن المصرف الروماني الذي
كانت الشركة الخاصة لهذه الأخشاب أودعت عنده أموالها أفلس ولهذا توقفت المخابرات
إلى أن تستوي الأمور. كان السيد عارف فاتحني بهذا الأمر في باريس من نفسه وسألني
عما إذا كنت أقبل الحضور إلى الاسكندرية يوم يطلبني إليها وقد أخبرتك عن جوابي إليه
يومئذ.

كتبت إليك عن حالة نجيب تعبر في كتابي الماضي وأزيدك اليوم أن قريبه
في بيروت دفع ٥٠٠٠ فرنكاً حديثاً فيكون مجموع ما دفع ٨٥٠٠ فرنك وقد استحقت
الكمبيالة في ٢٤ الجاري ولكني لا أدرك فرصة حتى أذكره بـ [illegible] وهو يعد كعادته

(وثيقة رقم ٣)

رسالة من عمر فاخوري إلى خاله خضر

الكتب التي هناك لا أريد أن يطلع عليها
آخر.

(١) بي من وحزن وانقباض صدري. إن الحلم
الذي كان يختلج في صدري له اشفاقاً علي. ألا يرجع
حاملة الخيبة، لا قيماً الشماتة؟ أعرف أنه لم
نقدر على شيء ولو كنت قادراً لفعلت. لكن: لم،
أنت عليك شيء من حمل عامي الدكتوراه إذ
تكون (ريتشت) وإذا أجد معونة من جانب
أبي محي الدين. هذا إن لم أجد أحد!!

(٢) أفكر في السيد عارف النعماني. ليس في الأمر
هذا إلا نية صعوبة فقط. ما رأيكم؟ ألفت نظركم
إلى هذا الأمر واتكل مع الأخصاء على بحث الرسم
وأنت أدرى بالمصادر التي ألمحت إليها إلى [illegible]
والتي لم يوافقه أخذ أو تناول شيء منه؟.

(٣) قبيل سفري دهاني بفكرى (الحقيقة) أني
قبل خصامنا مع صاحبه قال لي محمد الصالح وكنا نازلين
ليلة إلى السينما أو إلى رواية لا أتذكر... تحت بيت
عمي أبي مصطفى: لا تبال بشيء.. إذا تأخرت
عليكم الحقيقة فأرسل برقية والمشتريات مضمونة.
ما قصده؟ ربما أراد بذلك شهراً واحداً
وهو الأغلب. فإذا كنت هناك فلم يحدث
عن شيء وهو الأفضل. ومع كل لا تلجأ إلى
هذه الوسيلة إلا بعد نفاد الحيل... إلخ

صور عارف النعماني

تدري شلي ما مضافة (الشهادة) ؟!!

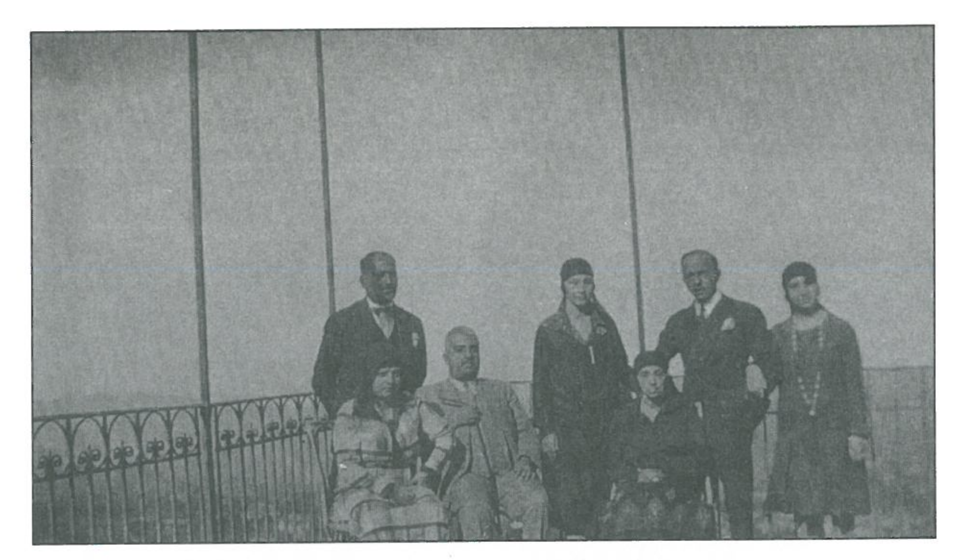
ارجع الى امر السيد النعماني. [illegible] إذا
[illegible] افرح من هنا فلم يفرح من جانب
آخر. اذكر انه [illegible] كتب يوم سفرنا [illegible]
ان السيد عارف النعماني [illegible] على نفقته [illegible]
[illegible] في اوروبا» فأين يريد ان [illegible]
[illegible] علي ؟..

[illegible] يا فتى. وما اريد ان اخط
كلمة في هذا الصدد. ولكن [illegible]
[illegible] موقفاً فقط [illegible]
اتمكن من تأدية [illegible].

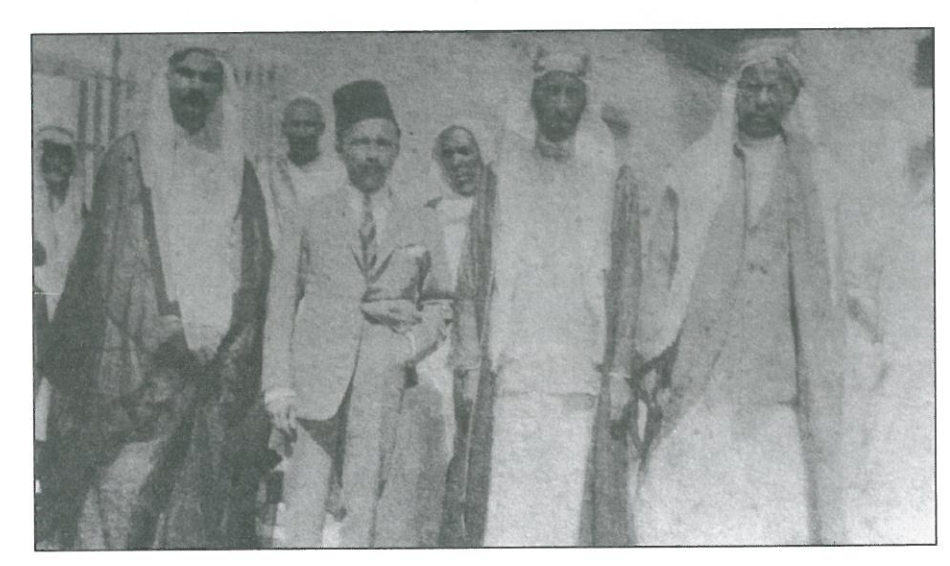
[illegible] !



عارف بك النعماني



قصر عارف النعماني في صوفر



عارف النعماني مع الأمير فيصل بن الشريف حسين ١٩١٨



قصر عارف النعماني بمنطقة حوض الولاية (البسطة التحتا)
قبل تهديمه وتحويله إلى مدرسة الإناث الأولى الرسمية



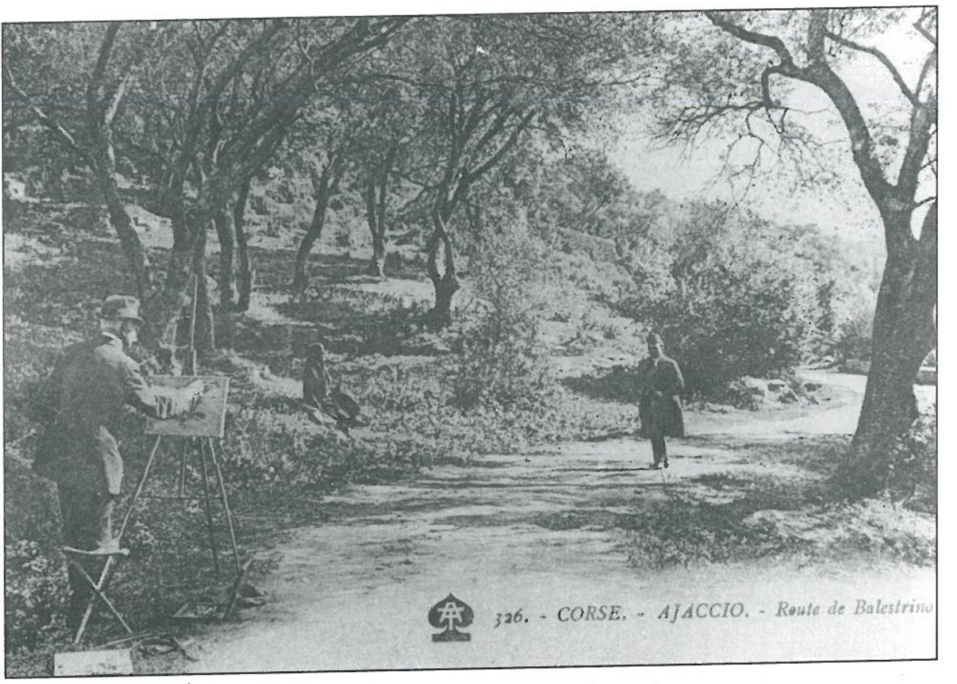
عارف النعماني وزوجته الفرنسية أثناء نفيه إلى جزيرة كورسيكا ثم باريس سنة ١٩٢٠



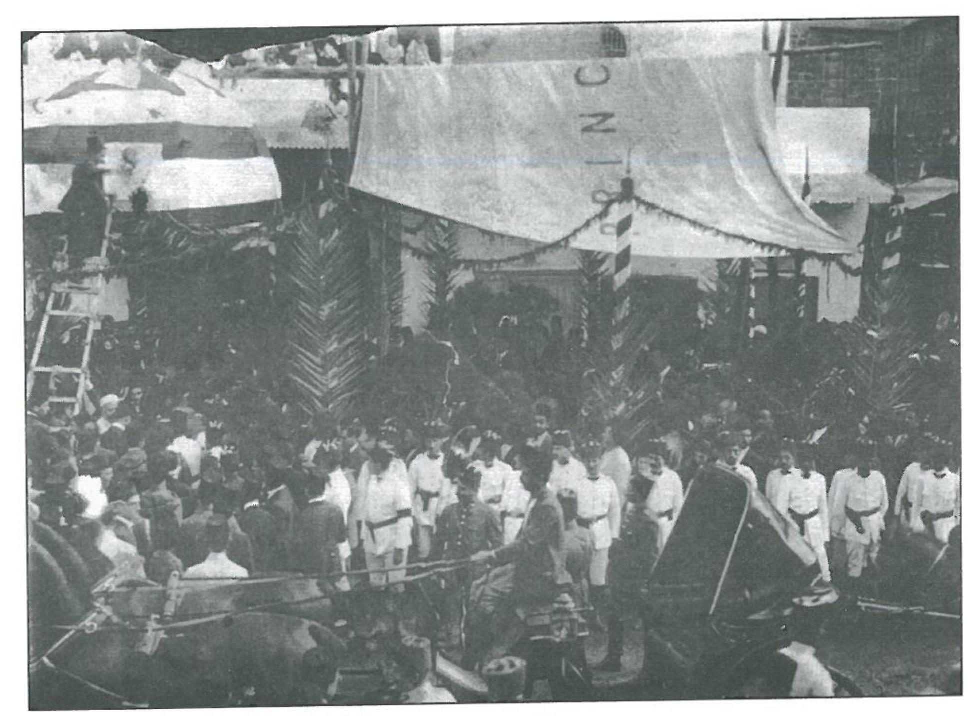
عارف النعماني في المنفى سنة ١٩٢٠



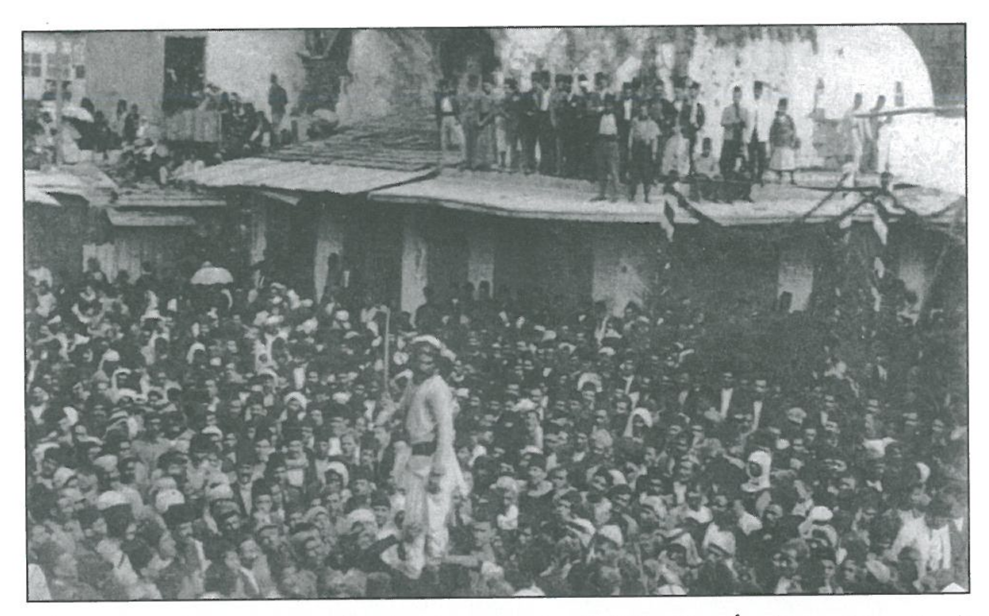
عارف النعماني في المنفى سنة ١٩٢٠



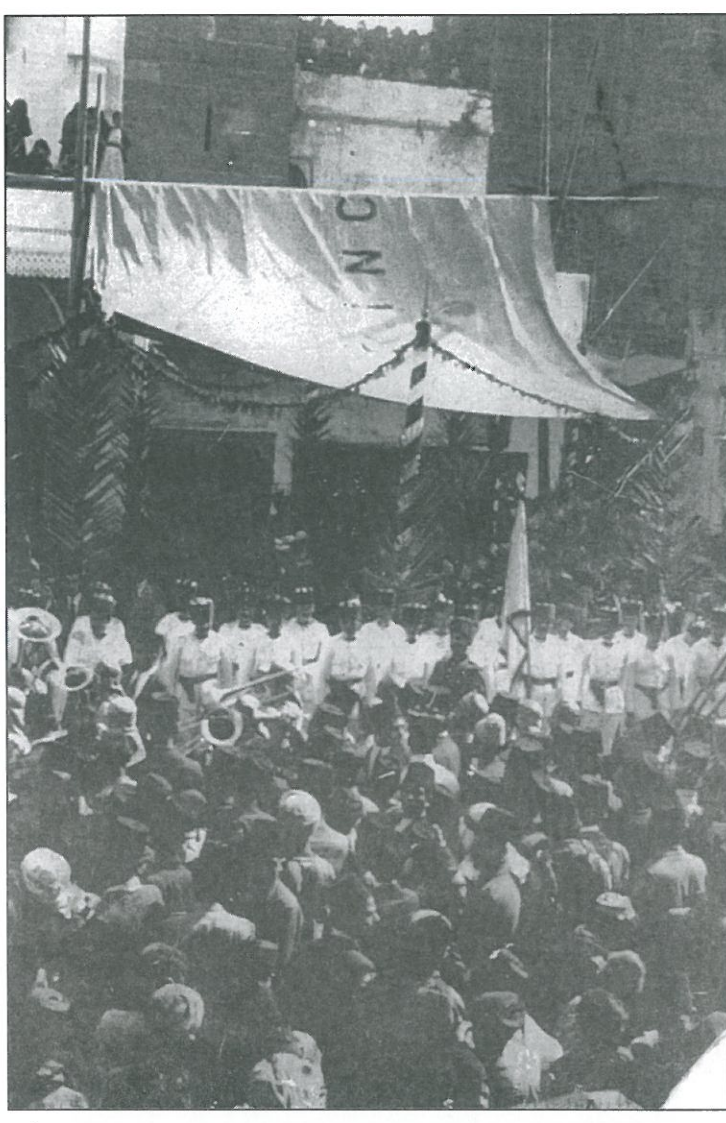
عارف النعماني في كورسيكا أيام المنفى



الجماهير الشعبية التي أتت لاستقبال النعماني في منطقة المرفأ بعد عودته
من المنفى في جزيرة كورسيكا ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



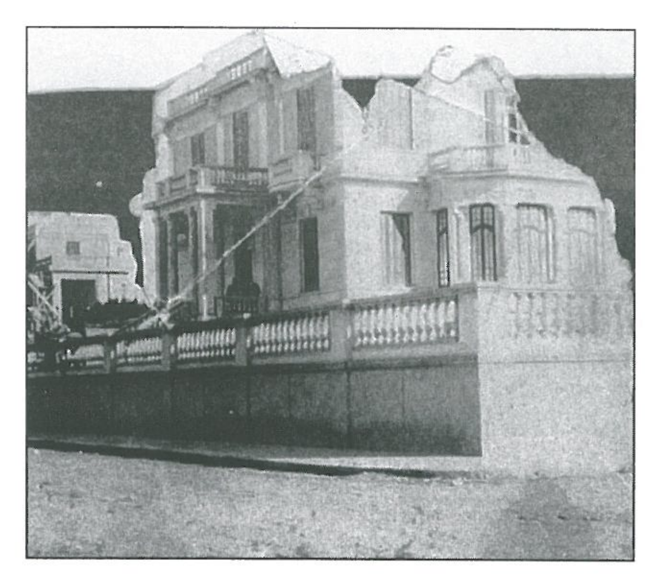
الجماهير الشعبية التي أتت لاستقبال النعماني في منطقة المرفأ بعد عودته من المنفى في جزيرة كورسيكا ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



الجماهير الشعبية التي كانت في استقباله بعد عودته من المنفى ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



الجماهير الشعبية التي كانت في استقباله بعد عودته من المنفى في ١٤ تشرين الأول ١٩٢٣



قصر عارف النعماني في الإسكندرية شارع محرّم بك سنة ١٩٢٤

خريطة لمدينة بيروت تبين الشارع الذي يحمل اسمه



مذكرات عارف النعماني
كما نشرتها جريدة الحياة

ما كتبته مجلة الأفكار
حول عارف النعماني

غدا تبدأ «الحياة»

مذكرات عارف النعماني

الرجل الذي انفق نصف مليون ليرة ذهبية في سبيل بلاده، ولم يتكلم!

المحسن الكبير، المحسن المجنون، الوطني المغامر، الوطني «الجنتلمن»، صديق الملك حسين والملك فيصل، صديق الجنرال غورو وخصم الجنرال غورو، صديق فرنسا وعدو فرنسا!

الوطني البيروتي الذي اكتشف بترول الحجاز وحفر ابارة بعد ان نال امتيازا شفويا من الملك حسين، وخطيا من الملك علي، حتى اذا جعله نهرا دافقا، حيل بينه وبين استثماره بعد ان بذل من اجله ١٤ الف ليرة ذهبية!

عارف النعماني سنة ١٩٢٠

المجاهد الصامت الذي كان اخلاصه وماله كامنين وراء جميع الحركات الوطنية منذ ١٩١٥ حتى الانتداب ....

عارف النعماني، الذي ملأ البلاد العربية عامة، وبيروت خاصة، باسمه وماله جيلا، ثم سكت سكوت اهل الكهف!

... وها هو اليوم يتكلم بعد صمت ثلاثين سنة. يتكلم للناس وللتاريخ وللوطن!

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة ... يتكلم اخيرا ـ ١

مذكرات عارف النعماني

كما دونهـا محمد قره علي



عارف النعماني ، وهو على فراش المرض ، يتحـــدث الى مندوب « الحياة » محمـــد قره علـــي .

... اراني الان اجلس بين يدي رجل قصير القامة ، ابيض الشعر ، فى عارضيه بقية من شارب كبير ، ابيض البشرة ، نفض عنه غبـار سبعين حجة ، ولم يزل نافذ البصر والبصيرة ، رقيق الحديث ، جميل الاشارة ، تحيط فمه ابتسامـة دائمـة .

يعلو مقعده ، اطار فيه كسوة من الكعبة ، هي هدية من الملك حسين ، وبعض رسوم كبيرة لاصدقائـه الخلص ، فى مقدمتهم فيصـل ، وياسين الهـاشمي ، ويوسف العظمة الخ.

لم اكن لا عرفه من قبل ، ولكني طالما سمعت عنه من ابناء الرعيل الاول والجيل السابق ما جعلني انشد هذا الكنز ، هذه القطعـة المغمورة من تاريخنا الحديث !

وكان طبيعيـا ان يدور دولاب الحديث عن ذكريات الرجل الكبير . ولكنه سرعان ما ابتسم ، وتنهـد ، وحدق بـي قائلا : ماذا تريدنـي ان احدثك ؟ عن اي شيء ؟

قلت : انما اريدك ان تحدث هذا الجيل باسرار جيلك ، وهي كلها فى صدرك ، وفى شبابك وحياتك !

حدثني كيف نجوت من الموت ، بعد ان اعدم السفاح رفاقك !

حدثني عن علاقتك بالملك حسين وانجاله !

حدثني كيف حادنت غورو ولماذا!

حدثني عن قضية اعضاء مجلس الادارة اللبنـاني ، والعشرة الاف وخمسماية ليرة ذهبية التى دفعتها: واين انتهى مصيرها !

حدثني عن بنك الاصدار اللبناني وعن التهديد بنفيك الى مدغسكر .

حدثني لماذا حكم عليك غـورو بالنفي الى ارواد والى كورسيكا !

حدثني عن البترول الحجازي ، وكيف اكتشفته !

حدثني عن السند الذى تملكـه على الملك علي ، وعلى جمرك جدة ، بقيمة ٢٢٣٠٠ ليرة إنكليزية ذهب !

ولكن السيد عارف النعماني لـم يدعني استطرد ، بل قطع الحديـث بقوله : الحديث عما اشرت اليـه طويل عريض ، وماذا يعنيك من امر هذا الحديث الذى اصبح صاحبـه نسيا منسيـا ، حتى ان بعض اصدقائي يتساءلون : هل لا يـزال عارف النعماني على قيد الحياة ؟

وبدانا نتحدث ، ومرت ساعـة فى اثر ساعة ، وجلسة فى اثر جلسة، حتى وصل الحديث اليك اليوم يـا قارئي !

ولد عارف النعماني عـام ١٨٨٣ فى بيروت ، وتلقى علومه فـي مدارس البروسيـا الالمانيـة واليسوعية ، والبطريركية . وكان من اساتذته فى اليسوعية (الاب (لامنس) المشهور .

قفز بي محدثي دفعة واحدة الى عام ١٩٠٨ ، ليحدثني عن اشتغاله فى القضية العربية فقال :

ـ فى سنـة ١٩٠٨ اعلنـت فى الاستانة « المشروطية » وتشكلـت جمعية الاتحاد والترقي . وكانـت قد اسـست لهـا فرعـا فى بـيروت برئاسة المرحوم الدكتـور حسـن الاسير . ووقع الاختيار علي لاكون اول عضو فيها . ثم انضم اليهـا عدد كبير من شباب بيروت المتحمسين للاصلاح والرقي، يقينا منهم بصلاح تلك الجمعية ، وقد اتخذت لهـا مركزا فى ساحة البرج ـ ساحـة الشهداء بعدئذ ـ فى بناية اوتيـل سنترال . حيث كنا نجتمع لالقـاء الخطب والاحاديث وكان من ابرز خطبائها المرحوم الشيخ مصطفـى الغلاييني .

واستمر اقبال الشباب البيروتي على الاندماج فى الجمعية ، الى ان قام بعض المحرضين ممن اسميناهم فى حينه « الرجعيـون » وتجمـع الغوغاء ذات يـوم بقيـادة بعض المشايخ ، وهاجموا النادي ، حيث كنا مجتمعين ، وجرت بيننا وبينهم شبه معركة انقضت بسلام ، بعد ان تدخلت قوى الامن !

ولم تكن تقتصر تلك الحركة على بيروت ، بل كانت مدبرة فى الاستانة نفسها من قبل السلطان عبد الحميد ضد انور ونيازي وطلعت ، وهي الحادثة المعروفة بحركة ٣١ مارس ، ولكن تلك الحركة فشلت ، وانتهت بخلـع السلطـان ، واستقـرار الاتحاديين فى الحكم .

انقضت مدة غير قصيرة ، ونحن نعتقـد بصـلاح جمعية الاتحـاد والترقي ، الـى ان بدأنـا نشعـر بالخيبة ، ثم ساورتنا شكوك انتهت باليقين ، اذ اتضح لنا ان الجمعية قومية طورانية ، تعـادي العـرب وتخاصمهم ، وعلـى الاثر قررنـا الانسحاب ، وانسحبنا . لكي نبدأ بدورنا تأسيس الجمعيات العربية ، وفى مقدمتها جمعية الاخاء العربي.

تأسست جمعية « الاخاء العربي» فى الاستانـة نفسها . وكـان اول الداعين لها شفيق المؤيد ، وندره المطران . وقـد تولـى المذكوران توزيع الدعوة على ابنـاء العـرب المقيمـين فى الاستانـة لحضـور الاجتمـاع الاول، فـي مسرح « فاريتيه » فى حي « باي اوغلو » وكان ممن حضروا الاجتماع الاول معهما عبد الوهـاب الانكليـزي

وحقي العظم وعبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ورضـا الصلح وحسين حيدر ، وغيرهم .

وقـد سبق ذلـك الاجتمـاع شخوص الشيخ رشيد رضا وحقي العظم الى بيروت ، حيث عقدوا عدة اجتماعات ، خطبا فيها . وكـان يعاونهما المرحوم عبد الغني العريسي . ثم انتقلا بعدهـا الـى دمشق يبثان الدعوة لاستقلال البلاد العربيـة .

ولم يقتصر النشاط على بيروت ودمشق ، بل تجاوز البلدين الـى بغداد ومختلف الاقطار العربية الداخلة فى الامبراطورية العثمانية . من هنا بدأ تفكير العرب جديـا بالانفصال عن تركيا واستقلال بلداننا العربية . ولم يطل الوقت بعد هذا حتى تنبهت الحكومة التركية الـى خطر الجمعية فاصدرت امرا بالغائها واقفال جميع فروعها .

وكانت الجمعية قـد اصـدرت جريدة «الاخاء التركي» بالاستانة، وجعلتها لسان حال اخاء العربـي ، فعطلتها السلطة .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٢

« وليت وانا انفض غبار الموت عن كتفي ... »

كما دونهـــا محمد قره علي

نوالي نشر القسم الثاني مـــن مذكـــرات عـــارف النعماني :

ولم تمض اسابيع على اقفال جمعية الاخاء ، حتى تنادى لعقد اجتماع في الاستانة السادة : عبد لحميد الزهراوي ، عبد الكريم الخليل ، سيف الدين الخطيب ، رفيق رزق سلوم ، يوسف سليمان حيدر ، جميل الحسيني ، شفيق المؤيد ، رضا الصلح ، الشيخ رشيد رضا ، حقي العظم ، رفيق العظم ، ندره المطران ، حسين حيدر ، جميل الحسيني ، شفيق هولو باشا من تأسيس ناد جديد النقيب ، عزت الجندي ، رشدي الشمعة ، نخله المطران .

وما هي الا ايام ، حتى تمكن هؤلاء السادة : وبمساعدة عزت اطلقوا عليه اسم « المنتدى العربي » في نفس الاستانة . انضم اليه كل عربي كان يقيم فيها ، حتى الطلاب . وكانوا يجتمعون تحت ستار الدرس والمطالعة . وكان يرأس النادي عبد الكريم الخليل . وعلى الاثر اصدروا جريدة « الحضارة » لصاحبها عبد الحميد الزهراوي . وكان النادي على اتصال دائم مع جمعية « اللامركزية » التي كانت قد تألفت في مصر ، والجمعية الاصلاحية التي تشكلت في بيروت ، وجمعية « العهد » التي اسسها عزيز علي المصري وسليم الجزائري وحقي العظم وحسن حمادة وعزت الجندي . وكان من اعضائها السادة التي ذكرت اسماؤهم قبلا . وكانت هذه الجمعية هي الجمعية السرية الحقيقية .

وكانت جميع الجمعيات التي تأسست فيما بعد فروع لتلك الجمعية تديرها وتشرف على توجيهها ، وان تعددت الاسماء . ولم يكن يعلم احد بوجود تلك الفروع والجمعيات الا الاعضاء الحقيقيون . وكانت شارة التعارف بينا على درجتين

١ ـ كلمة « هلال » بتهجئتها حرفا حرفا .

٢ ـ كلمة « ابو بكر » وبتهجئتها ايضا .

هذا عند المكالمة . اما في المجالس ، فكانت اشارة السر وضع اصبعين ـ السبابة والبنصر ـ على الذراع الايسر ، واخفاء بقية الاصابع .

وهنالك « الجمعية الثورية » التي شكلها عزيز علي المصري ايضا على غرار جمعية « العهد » ، وكانت ترسل المنشورات والنداءات بصورة علنية من مصر الى جميع الاقطار العربية .

من هذه الجمعيات بدأت النهضة العربية ، ومن هنا انطلقت النداءات بالاخاء العربي وبالاستقلال ، واستمر ذلك حتى عام ١٩١٤ عندما اسسنا في بيروت « النادي الاهلي » وقد انتخبت رئيسا له بالاجماع ، وقلنا يومئذ للمسؤولين ان غاية النادي هي القاء المحاضرات من حين الى اخر .

وكنا على اتصال دائم مع من ذكرنا من الجمعيات العربية ، وكان خطباء النادي شهداءنا رحمهم الله .

وكان شعار اعضاء النادي العلم العربي ، ومجموعته ثلاث شرائط سوداء وخضراء وبيضاء ، يعلوها زر احمر ، يعلق في عروة السترة العليا . والغريب ان العثمانيين لم يتنبهوا لهذه الشارة مطلقا .

وبعد نشوب الحرب بثلاثة اشهر ، اصدر جمال السفاح امره باقفال « النادي الاهلي » وختمه بالشمع . وكان قد سبق واخفينا السجل الخاص الذي يحوي اسماء جميع الاعضاء العاملين . وهذا سبب افلات بعضهم من حبل المشنقة .

اعتقل جمال اركان النادي ، وانا منهم . وقد تظاهرت بالبلاهة ساعة اعتقالي ، ولما سألني المحقق : ولكنك انت رئيس النادي ؟

اجبت : لقد عينوني رئيسا لهذا وانا لا اعرف الا انه غرفة مطالعة والقاء خطب . ثم انتم ماذا تريدون مني ؟ وماذا لكم معي حتى تسألونني هذه الاسئلة ؟

عندئذ صرخ بي القائد المحقق : ولي ... ولي ... مجنون !

فوليت ، وانا انفض غبار الموت عن كتفي !

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٣

كنا نعتبر الشريف الحسين واولاده موظفين عثمانيين...

كما دونهـــا محمد قره علي

لما ذكر لي عارف النعماني كيف نجا من الاعتقال ، بعد ان اغلق جمال باشا النادي الاهلي في بيروت ، سألته :

ـ يشاع انكم بذلتم مبلغا كبيرا من المال حتى نجوتم من المشنقة ، فما هي الحقيقة ؟

ما دمت اتكلم للتاريخ ، فلا بد من ان اسمي الاشياء باسمائها . ان « النادي الاهلي » لم يكن النادي الثوري الذي اثار حفيظة جمال والعثمانيين ، بل هي الجمعيات العربية التي سبق ان ذكرتها ، هي التي ركزت التهمة ، ودفعت جمال الى ارتكاب فعلته .

ولو كان لاحد يومئذ ان ينقذ نفسه بما له ، او بالمال اطلاقا ، لما علق احد على حبل مشنقة .

وقد نجا غيري من الموت ، كالمرحوم احمد مختار بيهم ، الذي كان رفيقنا في حركاتنا كلها . وكان يشتغل من اجل اللامركزية ، وكان واحدا من اعضاء الوفد الذين ذهبوا الى باريس قبل الحرب ، وعقدوا المؤتمر المعروف سنة ١٩١٣ ، للمطالبة بذلك .

واذكر انه في سنة ١٩١٣ طلب الي ان اتعاون معه في الجمعية الاصلاحية التي اسسها آنئذ في بيروت فلبيت طلبه ، وكان ظاهر الجمعية اصلاح المدينة ، وباطنها العمل على تحقيق الحكم اللامركزي . وكان من الاعضاء الذين تعاون معهم سليم علي سلام ، شكري قرقش ، نخله التويني ، عبد الحميد كرامي ، رياض الصلح وغيرهم .

وهنالك المرحوم رياض الصلح لم يحكم عليه بالاعدام يومئذ بل فرضت عليه وعلى والده الاقامة الجبرية في صيدا طيلة ايام الحرب .

كيف تعرفت الى فيصل

عندما اعلنت الحرب سنة ١٩١٥ كنت مصطافا في عالية ، وفي اخر الصيف ، اشيع بان الحلفاء سيضربون بيروت من البحر ، فغادرت عاليه مع عائلتي الى دمشق .

وما كدت اصل الى دمشق حتى وجدتني في بيت حقي العظم ، حيث كان ينزل يومئذ الامير فيصل ، فكان اللقاء الاول مع الامير الذي طالما سمعت قبلا من اخباره ما حبب الي التعرف به .

وتعددت الاجتماعات اليه ، وبدأنا البحث معه في شؤوننا العربية ، فكنت المس فيه حماسة لها . وكان يقول لنا : ستسمعون في القريب ما يسركم ان شاء الله !

وكان يعني بذلك الثورة التي كان والده الملك حسين يعدها بالاتفاق مع الانكليز .

قبل ذلك ، لم تكن لنا معرفة لا بالملك حسين ولا بابنائه ، لانهم لم يكونوا يتظاهرون ضد العثمانيين . وكان الرأي السائد عندنا منذ عام ١٩٠٨ الى ١٩١٥ ، ان الملك حسين واولاده موظفون عند الاتراك ، ولذا كان الامل شبه مقطوع منهم . ولكني عندما التقيت بفيصل وتحدثت اليه ، تبدل رأيي . وكان شهداؤنا ، وبخاصة اصدقاء فيصل ، قد انتهى امرهم وعلقوا على اعواد المشانق . وممن كان منهم على اتصال دائم به في دمشق ، الزهراوي والمحمصاني والعريسي .

وفيما كنت ذات ليلة اتحدث الى فيصل ، في امانينا القومية اطرق اطراقة طويلة لم اتمالك ان ودعته على اثرها . وصبيحة اليوم التالي حاولت الاتصال به فعلمت انه قد فر من دمشق ، وان جمال يترصده في كل مكان .

وما هي الا ايام قليلة ، حتى سمعنا ان الملك حسين وقف على شرفة قصره واطلق رصاصته الاولى ايذانا بحرب العثمانيين ، فتركت دمشق وعدت الى بيروت ، فرأيتها غرقة في جوعها ودموعها .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٤

المرحوم عمر الداعوق حكم بيروت خمسة عشر يوما

كما دونهــا محمد قره علي

مــا كاد الملــك حسين يطلــق رصاصته ايذانا باعلان الحرب على الخليفة العثماني ، حتــى اغبــرت وجوه الحكام والموظفين العثمانيين، واصبحوا ينظرون الى كــل عربي نظرة حقد وكراهية ؛ واكفهر الجو في بيروت ، واصبحنا نعيش فــي قلق وخوف .

وانقطعت عنا اخبار الملك حسين ونهضته ، اللهم الا ما كانت تذيعه السلطات العثمانية من بلاغات في صحفها ، وكلها تشويه للحركة .

لم اتمالك ، ساعة رأيت تلــك المجاعة تنزل في بلدي ، ان اذهــب الى « السلمية » لابتياع ما اجده من قمح اوزعه علــى مواطنــي . وطالما تكررت تلك الرحلة .

ومن غريب الصدف انــي كنت طيلة ايام الحرب اتجول بين بيروت ودمشق والسلمية ، ولم اسأل يوما عن وثيقتي العسكرية ، مــع انــي كنت رديفا .

وطالما شهدت الكثيرين مــن رفقائــي يقودهــم الجند الــى « الدويريــــة » في سراي البرج ، ثم ينقلون الى « القشلة » في السراي الكبير ، ومن ثم يصار الى ارسالهم لميادين القتال .

وعبثا حاولت بعــد سنة ١٩١٥ الاتصال بمتجــري في منشستر . طيلة السنوات الاربع . حتى كدت انساه .

على ان اشغالي في بــيروت ظلت سائرة سيرا حسنا ، بحمــد الله . وكنا نترقب طيلة الوقت انباء الثورة العربية ، حتى كان مــا كان مــن انتصارها ، ودخول الامير فيصل [illegible] ١٩١٨ [illegible] وقوع الهدنه في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨

★ ★ ★

ما كاد الاميرفيصل وجيشهالعربي يدخل دمشق حتى سارعنا فيبيروت الى تشكيل حكومة انتقاليةبرئاسة السيد عمر الداعوق وعضويــــة السيدين سليم علي سلام واحمــد مختار بيهم ، وسليم الطيارة مديرا للامن يعاونه عارف النعماني .وبعد مرور خمسة ايام بعث لنا الامــير فيصل مندوبه الخاص الجنــــرال شكري الايوبي مزودا برسالة تحمل رغبة الامير في التعاون معنا لما فيه مصلحة البلاد ثم قال :

ــ ويترك لحكم الامير حريـــــة اختيار حاكــم البــلاد واعضــاء حكومتــه .

وما هي الا ساعات حتى وقــع اختيارنا على حبيب باشا السعــد ليكون حاكما للبنان . وفي اليوم الثانــي اقسم حبيب باشــا يمــين الولاء والاخلاص بحفلة علنية في بعبدا ، لم ينطلق فيها رصاصة ولم يضرب فيها كف .

واخترنا السيد عمــر الداعــوق حاكما لمدينة بيروت يعاونه : سليم علي سلام ، احمــد مختار بيهم ، عارف النعماني ، سليــم الطيــاره مديرا للبوليس .

كان همنا الاول تجريد الجيوش التركية مــن اسلحتها ، والمحافظة على الامن . وبث روح التعاون بين المواطنين .

وقد رفض والي المدينة التركي اسماعيل حقــي الاستسلام اولا . وبعد جهد اقنعناه بضرورة التسليم بلا مقاومة ، ولمــا اعرب عن مخاوفه من القتل او الاسر، قلنا له: ان حاكم البلد عمر الداعوق يتولى حمايتك الى دمشق .

وهكذا كان ترافقهعمر الداعوق الى دمشق حتى انتهى به الى الامير فيصــل .

وفي تلك الليلــة تمــرد قائــد الحامية التركية واعلن انه سيقاتل بجنوده اهل المدينة الــى جانــب الوالي . ولما قلنا لــه ان الوالــي اصبح في الطريــق الــى دمشق ، وتأكد من صحة الخبــر استسلــم للامر الواقع .

هكذا رفعنا العلم العربي فــي بيروت يوم ١٢ تشريــن الثانــي ١٩١٨بحفلة شعبية كبرى شهدهــا موفد الامير فيصل شكري الايوبي.

لقد عمرت حكومتنا ، او قــل دام الحكم الوطني ، ١٥ يوما من ١٢ تشرين الثاني حتــى ٢٧ منــه عــام ١٩١٨ ، اذ دخلــت الجيوش الفرنسية ، فتضعضع الوضع وساد في البلاد الهرج والمــرج وانقسم الناس الــى معسكريــن : الاول انطلق يزغرد ويرقص في الشوارع ابتهاجا بقــدوم فرنسا والثــانــي انكمش على نفسه ، ومضى يفكــر بالمقاومة والعصيان والتمرد .

وفي اليوم الثاني مــن دخــول الجيوش الاجنبية تلقينا رسالة ، او شبه انذار من الكولونيل «بيباب» قائد الفرقة الفرنسية التــي دخلت مع الجيش البريطانــي ، تنذرنــا باخلاء السراي ، وانــزال العلــم العربي . وابداله بالعلم الفرنسي .

وعلى الاثر اجتمعنا في السراي مقر الحكومة واتخذنا قرارا سلبيا. وابلغناه اياه ، وبقينا ننتظر في مقر حكومتنا جوابهم .

ولم يطــل الوقت حتــى كانت فصيلة من الجيش الفرنسي تطــوق السراي الكبير وتحتل ساحته ، ثم يصعد بعض الافــراد الــى برج السراي ، فينزلون العلــم العربي ليركزوا علمهم مكانه ، محميــــين بفوهات المدافع والبنادق الموجهــة فوهاتها الى النوافذ والابواب .

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٥

جورج بيكو يحاول اقناعنا بقبول الحماية الفرنسية

كما دونهــا محمد قره علي

بعد مرور شهر علــى الحــادث المشؤوم ، اي استلام الفرنسيــين للحكم في بيروت مــن الحكومــة العربية المحلية ، وصل الامير فيصل الى بيروت ، ونزل ضيفا على السيد عمر الداعوق في بيته .

وفي اليوم الثاني كاشفنا رغبته بتأسيس وكالة لحكومته ، باســم « دار الاعتماد العربي » ، فكــان طبيعيــا ان نهلــل للفكــرة وان نستعجله انجازها .

وفجأة ، اعلن اختيــار السيــد رفيق التميمي معتمده الاول فــي بيروت ، وتعاقب بعــده يــوسف العظمة وجميل الالشي .

وفي عام ١٩١٩ عندما الغيت د الاعتماد ، كان اخــر معتمد فيهــا يوسف العظمة ، ذلك الرجل الذي عــرف كيف يكسب صــداقـــة البيروتيين على اختــلاف نزعاتهــم وميولهم . اللهم الا بعض اخواننا الانعزاليين ، فقد رأوا فيه داعيــة عربية ، فتنكروا له .

كان غرضنا مع الامير فيصل ان نعمل على تحقيق الوحدة الشاملة ، ولكنه بعــد ان عرف فيصل عــن احوال لبنان ما عرف ، سألني :

ــ الوحدة بما فيها لبنان ؟

فاجبته : اذا نحن ضممنا لبنان الى الدولة العربية ضما ، فسيتعبنا كثيرا ، خصوصا وان بعض ابنائــه يطلبون حماية فرنسا ، لذلك فانني ارى ترك لبنان مستقلا ، شريطــة ان تراعى اماني اللبنانيين الوطنيــة في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، وبشرط ان يكون بمعزل عن كــل تأثير اجنبي وان يكــون حاكمــه وطنيا ، وتكون علاقته بسوريــا محظورة في وحدة اقتصادية .

فالتفت الامــير يقول : سننظــر في الامر عندما نجتمع مرة ثانية في دمشق ، وارى ان تشبعوا الموضوع درسا ، وموعدنا قريب !

★ ★ ★

بقينا نقاتــل الافرنسيــين فــي للحقات وفي المدن في جنوب لبنان وفي شماله ، حتى جاءت لجنة كراين الاميركية للاستفتاء ، في حزيــران ١٩١٩ . وعلى الاثر اختارت المدينة لجنــة قوامهــا السادة : سامــيح فاخوري ، احمد مختار بيهم ، سليم علي سلام ، نقيب الاشراف ، عبد الكريم ابو النصر . عارف النعماني.

وقد طلب جميع اعضاء اللجنــة الإستقلال ، الا النقيب ، فانه أصر علي المخالفة .

لقد اعطينا اصواتنا يومئذ ضــد الانتــداب وطالبنــا بالاستقــلال الناجز ، واذا لم يكن فحماية احدى الدولتين : اميركا او انكلترا .

لقــد كنــا مخدوعين يومئــذ ، وحسبنا ان المواعيد المقطوعة مــن قبل الانكليز للملك حسين ستكون ذات حرمــة ، وظننــا ان اميركــا وانكلتــرا غــير فرنسا في طــرق الاستعمار والانتداب .

كان الجنرال غورو قــد وصل الى لبنان مندوبا ساميا ، وقائــدا عاما للجيش الافرنسي في « البلاد المحتلة ــ لبنان » .

وهكذا فصل لبنان عن سوريا ، وبقي الامير فيصل حاكمــا فيها ، بينما دخــل لبنــان تحت حكــم الافرنسيين مباشرة .

وعين السيد امين التميمي سكرتيرا عاما للوكالة العربية في لبنان لتمثيل الحكومة السورية فيه .

منذ تلك اللحظــة انقسم اهــل لبنان الــى قسمين : قسم يؤيــد الفرنسيين وقسم معارض لهم .

واطلت علينا يومئــذ معاهــدة سايكس ــ بيكــو المعقودة بــين بريطانيا وفرنسا ، وفهمنا لماذا كانت زيارة لجنة كراين صورية ، ولماذا لم ترسل بريطانيا احدا من قبلهــا للاستفتاء ، بــل ولــم نسمع لهــا صوتــا .

ثم اتضح لنا ان بريطانيــا قالت لفرنسا : نحــن لا نعارض ، بــل نحبذ ان يكون لك الانتداب على لبنان،وعليك ان تقنعي ابناءه بطلب انتدابك ، ونحن نكتفي بانتدابنــا على فلسطين !

لمــا افتضح لنــا سر معاهــدة سايكس ــ بيكو ، سارعت الــى دمشق ، واتصلت بالامير فيصــل واعربت له عــن مخاوفي . وبعــد حديث واخر ، علمت انــه سيذهب الى باريس ليسمع الدنيــا صوت عدالة قضيتنا . وفي الانتظار تابعت فرنسا السعي لاقناعنــا بالانتداب ، فارسلت اول مندوب سام لها ، هو المسيو جــورج بيكــو ، شريــك سايكس في الاتفاقية المشؤومة .

بعد وصول المسيو بيكو ببضعة ايام باشر اتصالاته ببعض الشخصيات المعارضة لفرنسا . وقد دعينا على الأثر للاجتماع به في بيت السيــد بدر دمشقية ، للتعارف والمداولــة وتبــادل الاراء في وضــع لبنــان السياســي

وقد حضر الاجتماع جمهور كبير من وجهاء بيروت ومفكريها .

وبعــد تناول الشاي ، انتصب السيد بيكو خطيبــا . وقــد دار محور خطابه على الاشادة بصداقة فرنسا للبنان ومــا ادتــه له مــن خدمات منذ عام ١٨٦٠ ، وقال انها مستعدة لمضاعفة خدماتها وارشاداتها حتى تصل به الى درجــة رفيعــة سياسيا وثقافيا واقتصاديا ، ليكون بعدها اهلا للاستقلال التام .

ولما انهى خطابه اخذ يتنقل بــين حلقات المدعوين ويجاذبهم اطراف الحديث ، حتى وصل الى الحلقــة التي انا فيها وبادرني فورا بقوله : وعلى مسمع من جمهور الحضور :

ــ وانت مــا رأيك يــا مسيو نعمــانــي ؟

فوقفت مجيبا :

ــ ان خطابك يا مسيو بيكو لا جــدل فيــه ، وقولك ان فرنســا ساعدتنا كثيرا نحن العرب للتخلص من نير العثمانيين لننعم باستقلالنــا صحيح . وكانت جمعياتنا السريــة والعلنية تجتمع دائما في باريس في المدينة التي علمتنا ثورتهــا قيمــة الحرية والاستقلال .

« ولكن ، اتظن يا سيد بيكو ، ان جهادنــا وتضحياتنــا وتعليــق رجالاتنا على اعواد المشانق ، ودماء شبابنا الذين خاضوا معكم الحرب جنبا الى جنب ، ثم مــا منيت بــه بلادنا من خراب وجوع وعــذاب ، وما نزل باهلها من اضطهاد ، أتظن ان كل هذا البذل كان فقط من اجل ابدال كرباج بكرباج ، وعبوديــة بعبودية ، ونير بنير ؟ لقد اخطأت الفهم يا مسيو بيكو ! »

ثم غادرت القاعة قبل ان استمع الى جوابه ، ومنذ ذلك الحين لــم اعد التقي به في جلسة من الجلسات!

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٦

الجنرال غورو يقترح تعييني عضوا في مجلسه الاستشاري

كما دونهـا محمد قره علي

••• لم تمر بضعة ايام علـى انسحابي من الاجتماع في بيـت المرحوم بدر دمشقية احتجاجا على اقوال السيد بيكو ، حتى جاءني صديقي الداماد احمد نامي بك ، واخبرني انه اجتمع صبيحة ذلك اليـوم الى الجنرال غورو وان المذكور اخبره انه قرر تأليف مجلس استشاري خاص به ، يسترشـده كلما دعت الحاجة . وانه رغب اليه في اقناعي بان اكون احد اولئك الاعضاء .

سألت صديقي الداماد ـ وهـو من القائلين بالتعاون مع فرنسـا ـ ممن سيتألف ذلك المجلس ؟

اجاب : من اربعة اشخـاص فقط : نخله التويني ، عبد اللـه بيهم ، وانت وانا .

قلت : كيف يطلب الجنرال غورو ذلك ، وهو يعلم عقيدتي وميولي ؟

قال : نعم انه يعلم كل ذلـك ، ولكن هذا بزعمه ، لا يمنعه مـن الافادة من ارائكم ، بـل العكس يرى وجودكم امرا ضروريا ، وبذلك يتجنب الوقوع ببعض الاغـلاط التي قد تجره الى امور لا يقصدها وعلى كل حال : فالجنرال يـود الاجتماع اليكم ، وارى ان تجيبوه ومتى اجتمعتم به كاشفتمـوه حقيقة معتقدكم وميولكم !

فقلت له : غدا اجيبك [illegible]

وفي اليوم التالي جاءني الداماد [illegible] الجواب ، فقلت : اتصـل بالجنرال وقل له اني على استعداد [illegible] ، فليحدد الوقت .

[illegible] الجنرال لي موعدا في [illegible]

[illegible]

[illegible] بيدي الى غرفة [illegible] توسطت طاولة حولها [illegible] وعليها ابريق شاي [illegible] تقدم الجنـرال وصب الشاي [illegible]

وفي ما كان يهم بمناولتي الفنجان، نهض وقال :

ـ لقد اطلعك صديقنـا الداماد على رغبتي في تعيينك عضوا فـي المجلس الاستشاري الخاص الذي صممت على انشائه . وقـد اردت الاجتماع اليك وانا على معرفـة تامة بمبدأك الاساسي وعقيدتـك السياسية . لقد نقل الي السيـد بيكو ما سمع منك ، ولا اكتمـك باني لا اعرف ميولك بالتفصيل . ولست ادري اذا كان في جملـة تفصيلها ما يمنعك من قبول عضوية المجلس الاستشاري . فهل لك ان تدلي برأيك بصراحة ؟

فاجبته : ليس في ميولي وعقيدتي يا حضرة الجنرال غموضا ولا ابهاما لكي اشرح او اوضح . انهـا تنحصر في الاستقلال والوحـدة اساسا . وقد كان هـذا سهـلا وقريب المنال جدا عندما دخلت الامة العربية بالحرب الى جانبكـم ، واعلنت ثورتها على الدولة العثمانية بناء على وعودكم ونصريحاتكـم المتكررة ، وارتباط بريطانيا بالكتب المتبادلة بينها وبين الملك حسين .

ولكن يؤسفنا يا حضرة الجنرال ان حكومتك ، ومن ورائها بريطانيا قد نكثت بالعهود والوعود ، ولم تحفظوا اي وعد الا وعدكـم لليهود بفلسطين . فاذا لم ترتدوا عنه ، وتحققوا ما وعدتمونا بـه ، خسرتم صداقتنا .

كان الجنرال يستمع الى الحديث، وعلى فمه ابتسامة . ولكني مـا كدت اقول له «خسرتم صداقتنا»، حتى قطب حاجبيه ، وقاطعني قائلا:

ارجو الصديق ان يوضح اكثر وان يفصل القول !

فاجبت بما خلاصته : «بعـد التعديلات في عهود الحلفاء للامـة العربية ، واحتلال العراق وفلسطين من جانب بريطانيا ، ولبنان مـن جانبكـم ، فان رأيي يتلخص بما يلي : اذا لم يكن الان للامـة العربية ان تحقق وحدة شاملـة ، فلنسع لاقامة اتحـاد «فيدرالي» عربي ، يضم الاقطار العربيـة ضمن استقلالها الذاتي ، على ان يكون لبنان مستقلا استقلالا داخليا اي ان يكون امارة مستقلة حيادية يرتبط بالبلاد العربية اقتصاديـا وماليا ، فليضاف اليه سهل البقاع ، وتكون مدينة بيروت مرفأ حرا . هذا ما اراه الان ، وهذا ما سأسعى الى تحقيقه .

تعليق على مذكرات النعماني

اين نزل الامير فيصل في دمشق ؟

تلقينا امس الرسالة التالية :

اطالع مذكرات الاخ الفاضـل الاستاذ عارف النعماني التي تنشرونها في اعداد الحياة المتسلسلة بكـل اهتمام . وقد لفت نظري في تلـك المذكرات ما جاء في عدد السبت الماضي عن المغفور له الملك فيصل الاول من ان جلالته عند قدومه لدمشـق في مطلع الحرب ، نزل في دار حقـي العظم .

والواقع اني كنت منذ اللحظة التي وصل فيها الى دمشق حينذاك والى ان غادر دمشق يومئذا سنة ١٩٢٠ لم افارقه ، لم ينزل في دار حقي العظم بل في دار عطا البكري ، الكائن بجوار سوق الحميدية .

وقد استقبله حال وصوله لدمشق في ربيع ١٩١٥ المرحوم السيد عطا البكري وانجاله فوزي ونسيب وسامي البكري ، وعدد من رجالات الشام ، وبقي طيلة اقامته في سوريا في دار البكري .

ولما انتقل من دمشق الى الضواحي حل واقام في بيت البكري ايضـا بمزرعة القابون، التي كانت ملكا لهم .

وكان بيت البكري في دمشق مقرا للاجتماعات العربية السرية . وفي ذلك الوقت ، اي من ١٩١٥ حتى اواخر سنة ١٩٢٠ ، كان السيد حقـي العظم في مصر ، الى جانب المرحـوم السيد رفيق العظم رئيس فرع حزب اللامركزية ، اي طيلة ايام الحـرب الاولى العالمية .

وهناك نقطة هامة اخرى الفت نظر الاخ العربي المؤمن السيد عـارف النعماني اليها ، وهي انه لم يذكـر في عداد الجمعيات السرية العربيـة التي تأسست في استانبول وباريس جمعية « الفتاة » والتي انتقلـت في سنة ١٩١٤ الى مدينة بيروت وكان من مؤسسيها المرحوم ياسين الهاشمي واخوانه الاحياء منهم الان ، والذين استشهدوا في ميادين الجهاد والشرف ، وعلى اعواد المشانق .

وقد انضم جلالة الملك فيصل عند وصوله لدمشق الى هذه الجمعيـة التي ادارت الثورة العربية الكبرى من دمشق ، وكان لها من التشكيلات ما اقض مضاجع اعداء العروبة .

فخدمة للتاريخ ارجوكم التكـرم بلفت نظر الاخ النعماني لهاتيـن النقطتين لتصحيحهما ولكم الشكر .

بيروت ـ سليم عبد الرحمن

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٧

غورو يؤلف مجلسا من التويني والداماد وبيهم والنعماني

كما دونهـا محمد قره علي

عندها قال الجنرال بعـد ان اطرق مليا :

ـ اسمع يـا مسيو نعماني . لكل انسان الحرية الكاملة بـان يفكر كما يريـد ، وان يكـون لنفسه رأيـا سياسيا خاصا ، فـي بلادنا نحـن الافرنسيين . وانـي جد ممتن من صراحتك ، وحريـة ضميرك ، التي لم أر منها الا قليلا في بلدك .

هنـا قاطعته قائلا : يـا حضرة الجنـرال ، إذا كنت قـد رأيت ، مـن بعض الناس ملقـا وزلفى . فما هو الا بقية امالهم فيكم مـن الماضي وما كانوا يرونه ويسمعونه عن عطف الحلفاء علـى قضاياهم الاستقلالية . ويا حبذا لـو ان فرنسا حققت فـور الهدنـة تلك الامال . ولكن ما الحيلة وانتـم تقولون انها السياسة العليا ؟

« ارجوك ان لا تسيء الظن يـ حضرة الجنرال باي مواطن لـي في هذا البلد .»

فابتسم ابتسامة خفيفة ، وتابـع حديثه بدون تعليق على ملاحظتي :

ـ كنت اقول لك اني ممتن من صراحتك وحرية رأيـك ، وانـي اؤكد لك ان مـا سمعته منـك لا يمنـع قطعيا ان تكـون مستشارا شخصيا لي ، بقبولـك عضويـة المجلس ، وليس للسياسة العليـا التي ذكرتها عرضا في حديثك .

« انني احب واسر ان استأنس بارائكم لادارة سياستي المحلية ، وتلافيا لبعض الاغلاط التي قد اقع فيها ، لذلك ارجـوك ان تقبـل عضوية هذا المجلس خدمة لبلادك .

[illegible] كان الامر كما [illegible]

[illegible]

فشكرني ، ثم ودعته وانصرفت .

وفي اليوم الثانـي صـدر مرسوم بتشكيل المجلس الاستشاري مـن السادة : نخله التويني ، الدامـاد احمد نامي ، عبد الله بيهم ، عارف النعماني .

وما كادت الصحف تنشر المرسوم حتى دعا الجنرال غـورو اعضـاء المجلس الـى اجتمـاع في السراي الكبير ، برئاسة الجنرال . وبعـد ان رحب بنا ، وسرد العوامل التي دفعتـه لتـأليف هـذا المجلس او تشكيله قال :

ـ سادعوكم للاجتماع بي كلما دعت الحاجة ، وهذا لا يمنعني من الاتصال بكل فرد منكم شخصيا .

* *

لقد توسعت عمدا في شرح مـا تقدم ، تمهيدا للفصول والحوادث التي سيأتي سردها في ما بعد ، حتى يدرك القراء سخف العقلية الحاكمة يومئذ ، والتهم التـي وجهها لنـا الجنرال غورو يـوم اعتقال اعضاء مجلس الادارة اللبناني .

وبعد الاجتماع الاول ، لـم ينعقد المجلس اكثر مـن مرتين ، ولكن الجنرال كان كثير الاتصال بي حينا ، وحينا بالداماد .

كان يطلب مواجهتي مرة كـل ٢٤ ساعـة ، ثـم تكـرر اللقـاء والاجتماع حتى اصبحت القاه اكثر من مرة في كل يوم !.

* *

في هذه الاثناء تأزم الموقف بـين الامير فيصل في دمشق والجنرال في لبنان . وكان الجنرال يعلم انتـي لامتي ولاميري اولا واخيرا، وانني قد اكون له صديقا ، ولكنني لـن اكون جاسوسا و خائنا ، وما كنت يوما والحمد لله ، موضع تهمة او فريـة او ريب . وعلـى سبيـل الاستشهاد ، اذكر للقراء هاتـين الحادثتين عن الخلاف بـين الجنرال والامـيرال :

كانت الساعة الحادية عشرة ليلا، ذات يوم . وكنت مدعوا في بيـت صديق ، فحضر مرافق الجنـرال وطلب مقابلتي لامر هام . ولم يطل الوقت حتى كنت في قصر بسترس ثم في غرفة الجنرال غورو، فوجدته منكبـا على مكتبه ، ولم ينتبـه لوجودي الى ان حييتـه . فنهض شبه مذهول ، ومد يده مصافحا ، ثم جذبني الى المكتب وقال لي بعد ان امر ياوره بمغادرة القاعة : خذ واقـرأ !

ثم دفع الي برقية ، قرأت فيها : تكرار الاعتداء المجرم علـى افراد الطائفة الاسلامية يجعلنـا نخشى مقابلته في دمشق .

الامضاء : فيصل

ادهشتني البرقية فعلا ، فتطلعت الى الجنرال، وقبل ان انبس بكلمة قال لي :

ـ ايجوز يا مسيو نعماني لرجل مسؤول كالامير ان يكتب لرجـل مثلي هذه البرقية ؟

فلم اجبه على قوله ، بـل قلت له : هل يسمح لي الجنرال بسيارته ومرافقه ، لاسافر الان الى دمشق ؟

الرجل ذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ٩

النعماني يقنع فيصل بمرور القوات الفرنسية من حلب

كما دونهـا محمد قره علي

وافق الجنرال غورو على طلبي ، واصدر امره الى مرافقه بالذهاب معي ، فغاب ، ثم عاد بعد لحظات ببزته المدنية .

ولما صعدت الى سيارة الجنرال، قلت لمرافقه : الى دمشق !

وقد وصلناها في الساعة الثانية الا ربعا بعد منتصف الليل . ولما وقفت السيارة أمام قصر الامير في الصالحية ، منعنا الحرس من الدخول فقلت لاحدهم : ارجو ايصال هذه البطاقة الان الى يوسف العظمة .

فاجاب : انه نائم !

قلت : أيقظه !

فامتثل . وما هي الا دقائق معدودات، حتى جاء يوسف العظمة بمعطفه . ولما سرت واياه الى غرفته اطلعته على ما انا بصدده ، فتركني خمس دقائق رجع بعدها يقول لي : سمو الامير بانتظارك !

ثم اخذ بيدي الى غرفة نومه ، فالفيته واقفا وسط غرفته بملابس نومه . وقد استقبلني بقوله : اهلا وسهلا ، خير ان شاء الله ؟

ثم قدم لي كرسيا وجلس على حافة سريره .

قلت : ارجو ان يعذرني مولاي الامير على ازعاجه في مثل هذا الوقت ، ولكن ما حيلتي ؟

ثم قصصت عليه ما دار بيني وبين الجنرال غورو بشأن البرقية ، فابتسم . وقال :

ــ ان تكرار الاغتيالات التي حصلت في الاسبوع الماضي في بيروت والضواحي ، وفي جنوب لبنان خاصة ، والشكل الذي جرت فيه ، هيج الرأي العام هنا ، وسرت شائعات مفادها ان هذه الاغتيالات انما هي نتيجة لخطة مدبرة [illegible]

البرقية الى الجنرال ، لتهدئة الرأي العام ، وتلافيا لما يمكن ان يحدثه القلق ، والهياج ضد بعض مواطنينا في دمشق وغيرها .

قلت له : لا يخفاكم يا سيدي الامير ان الرأي العام احيانا يجر المسؤولين الى اشياء قد تضر جدا بقضيته !

وهنا وصفت الموقف بالضبط للامير . وفي الساعة الثالثة والربع ليلا ، انتهيت الى اقناع سموه بكتابة الجواب الاتي ، وقد كتبه المرحوم يوسف العظمة ، ووقعه سموه :

حضرة الجنرال غورو المحترم:
انني لم اكن اقصد او اتصور ازعاجكم شخصيا ببرقيتي ، او تهديدا مباشرا لشخصكم ، انما قصدت لفت نظركم لاعطاء الاوامر المشددة لمن بيدهم امر الامن ، كي تتجنب قيام بعض العناصر المشاغبة ، وتحت ستار الطائفية ، باعمال لا نرضاها نحن ولا انتم . وخاصة في هذه الظروف الحرجة»

تناولت الجواب من يد الامير شاكرا وعدت الى بيروت فوصلتها في الساعة الخامسة والربع صباحا، فوجدت الجنرال لم يزل بانتظاري في مكتبه ، وهو يذرعه ذهابا وايابا .

ناولته الرسالة مختومة . ولما قرأها نظر الي وهو يردد : مرسي مرسي مسيو نعماني .

* * *

ومرة ثانية ايقظني ياور الجنرال بعد منتصف الليل ، وهو يقول لي: الجنرال ينتظرك ويرجو حضورك حالا .

وعندما وصلت الى مكتبه بقصر بسترس ، الفيته ينقر باصابعه على مكتبه وهو بحالة اضطراب . ولما تنبه لوجودي هتف بي قائلا :

ــ وهذا ضرب جديد من صديقك (كان يردد دائما كلمة صديقك

للدلالة على الامير فيصل) . انه يريد ان يطعنني بخنجر في ظهري بمنعه مرور القطع العسكرية الفرنسية عن طريق حلب الى كيليكيا ، مع علمه وعلمك اننا ما زلنا مشتبكين مع الاتراك هناك ، وانا مضطر لارسال نجدة سريعة ، والامير نفسه لم يزل بحالة حرب معهم .

فكيف يمنع مرور حلفائه ضد اعدائه ؟ انه اذا اصر على المنع فقد يسبب لنا كارثة عسكرية، ولذا صممت ان اقتحم الممر بالقوة اذا اصر الامير . فالجنود معبأة والقاطرات في رباق تنتظر الامر ، ولم يكن يخطر لي قط ان الامير سيمتنع وخداتنا من المرور . وقد ابرقت له منذ الساعة السابعة مساء، وحتى الان لم اتلق جوابا ، والساعة الان الثانية والنصف .

وفيما كان مندفعا بحديثه تلقى جواب الامير التالي :

« نظرا لظروف حرجة واعتبارات شتى لا يمكنني السماح بمرور جنود اجنبية في الاراضي السورية . الامضاء ـ فيصل . »

بعد ان ترجمت الجواب للجنرال قلت له :

اعطني سيارتك ، ومر جنودك بالبقاء حيث هم ، وموعدي بك قريب !

ذهبت مع ياوره ببزته المدنية كالماضي الى دمشق ، فوصلتها مع مطلع الشمس . وبعد ان اجتمعت بالأمير وباحثته بالامر ، سمح للجنود الفرنسيين بالمرور ، بشرط ان يمروا بحلب مرورا ، والا يتوقفوا في محطتها اكثر من ساعتين .

عندما ناولت الجنرال جواب فيصل لم يكتف بقوله : « مرسي مرسي » ، بل خف لعناقي .

* *

سردت الحادثتين لاعطي القراء نموذجا من المواقف الحرجة التي كنت ارى نفسي مجبرا على مجابهتها احيانا ، واسعى الى تداركها خشية حدوث عواقب وخيمة تسيء للقضية الكبرى . وكان اجتهادي يتلخص بما يلي :

في الحادثة الاولى خشيت ان تتطور المشكلة ـ بقصد او بغير قصد ـ او ان يغتنمها بعض المشاغبين فرصة لايقاد النعرات الدينية ، تكون نهايتها وقوع مجازر طائفية تؤدي الى احتلال البلدين .

وخشيت في الحادثة الثانية ان تقتحم الجيوش الفرنسية الممر من حلب بالقوة ، وقد كان غورو مصمما على ذلك ، فيكون ذلك سببا في خلق مبرر للافرنسيين باحتلال سوريا ايضا ، وقد اوجدوا السبب نفسه عام ١٩٢٠ لاحتلال دمشق ، بعد اعتقالي نقض مجلس الادارة .

محمد سلام يوضح بعض النقاط

تلقى قلم التحرير امس الرسالة الاتية من السيد محمد سلام ، رئيس جمعية المقاصد الخيرية ، تعليقا على مذكرات عارف النعماني :

تحية واحتراما وبعد ، فاني اطالع باهتمام ما ينقله الاستاذ محمد قره علي من مذكرات المجاهد والمحسن الكبير عارف النعماني ، الذي اشكره شكرا جزيلا على نشره هذه المذكرات التي تتعلق بحقبة لها اهميتها في تاريخنا الحاضر .

واني ارجو ان تفسحوا لي مجالا لتصحيح بعض النقاط التي وردت الى الان تباعا ، جلاء للواقع التاريخي وانصافا لبعض الذين اصبحوا في الدار الاخرة .

اولا ـ يقول الاخ الكبير عارف النعماني ان اول اجتماع له مع الامير فيصل في دمشق سنة ١٩١٦ كان في بيت حقي العظم . وواقع الحال ان حقي العظم لم يدخل سوريا ولبنان منذ ١٩١٢ الى ١٩١٩

ثانيا ـ ورد في مذكراته بان المرحوم رياض الصلح لم يحكم بالاعدام من قبل ديوان الحرب العرفي في عاليه بل فرضت عليه وعلى المغفور له والده الاقامة الجبرية في صيدا . والحقيقة ان كليهما حكم بالاعدام كما هو ثابت من الاوراق التي نشرها جمال باشا يومذاك . وان حكم الاعدام هذا قد استبدل به السجن المؤبد لرياض ، بسبب صغر سنه ، ولوالده بسبب كبر سنه وشيخوخته وذلك بناء على المداخلة الفعالة التي قام بها علي منيف متصرف جبل لبنان آنذاك ، وهو من الرجال الذين كانت لهم الكلمة النافذة في اوساط « جمعية الاتحاد والترقي » وممن كانت لهم الحظوة الاولى لدى الصدر الاعظم طلعت باشا .

وقد نفيا الى الاناضول ، ونقلا بعد ذلك الى استنبول . وقبل انتهاء الحرب ببضعة اشهر سمح لهما بالعودة الى بيروت بلا قيد ولا شرط .

ثالثا ـ ورد في المذكرات بان الحكومة العربية التي تألفت برئاسة المرحوم عمر الداعوق كانت تضم سليم علي سلام واحمد مختار بيهم وسليم الطيارة وعارف النعماني وواقع الحال ان الحكومة هذه تألفت من عمر الداعوق رئيسا بصفته يومذاك رئيسا للبلدية ، فقد وردت له برقية من الامير سعيد الجزائري المتسلم للحكم في الشام قبل دخول سمو الامير فيصل البلاد [illegible]

السيد محمد سلام

ان يطرد العثمانيين وان يشكل حكومة عربية في بيروت ، فترأس **المرحوم عمر الداعوق الحكومة، يعاونه بذلك سليم علي سلام واحمد مختار بيهم والفرد سرسق والمركيز جان دي فريج ومخائيل طراد ونسيب مطر وسليم الطيارة .**

واني اود بهذه المناسبة ان اذكر ايضا ان عمر الداعوق لم يوصل الوالي اسماعيل حقي الى دمشق ، بل الحقيقة هي ان عمر الداعوق واحمد مختار بيهم وسليم علي سلام والفرد سرسق دخلوا على الوالي في بيته (مدرسة الليسه للبنات الان) بعد ان تسلم عمر الداعوق برقية الامير سعيد الجزائري ، وطلبوا اليه الانسحاب فورا . فعارض وتوعد وهدد ، فصمدوا له الى ساعة مبكرة من الصباح ، حتى اذعن وقرر الانسحاب .

وفي نفس النهار اعلنت الحكومة العربية التي دعت وجهاء البلاد وزعماءها ورؤساء الاديان الى حضور حفلة رفع العلم العربي على السراي الكبير ، وقد تولت رفعه السيدة فاطمة محمصاني شقيقة الشهيدين محمود ومحمد .

واول عمل قامت به الحكومة ان عينت المرحومين عبد الحميد كرامه متصرفا لطرابلس ورياض الصلح حاكما لصيدا وملحقاتها .

رابعا ـ لقد ورد في المذكرات ان فصيلة افرنسية انزلت العلم العربي المرفوع على السراي الكبير (القشلة) والحقيقة ان فصيلة انكليزية اسكتلندية هي التي قامت بهذا العمل ، وانزلت العلم عن ساريته السراي بكل احترام ، بحضور [illegible]

الجنرال ديدز ، وكيل الجنرال اللنبي يومذاك .

خامسا ـ لقد ذكر ان سمو الامير فيصل في اول مرة وصل فيها الى بيروت بطريقه الى اوروبا نزل ضيفا في بيت المرحوم عمر الداعوق والواقع ان سمو الامير نزل ضيفا على الجنرال بلفن ، الذي كان يقيم آنئذ في قصر الياس سرسق . انما في زياراته المتكررة بعد ذلك كان ينزل ضيفا على عمر الداعوق .

ثم ورد ان حبيب السعد تسلم الحكم في بعبدا بعد حلفه يمين الاخلاص . وهنا لم يوضح الاخ الكبير عارف النعماني هذه النقطة جليا اذ **ان حبيب السعد حلف يومذاك يمين الاخلاص لجلالة الملك حسين ، ورفع العلم العربي على سراي بعبدا بحضوره ، وحضور المغفور لهما سليم علي سلام ومحمد رستم حيدر ، اللذين حلفاه يمين الاخلاص .**

ثم انه يذكر ان السيد رفيق التميمي كان معتمدا عربيا في بيروت ، وان اخر معتمد كان المرحوم يوسف العظمة وواقع الحال **ان اول معتمد عربي عين في لبنان كان المرحوم جميل الالشي ، يعاونه رفيق التميمي ثم نقل الالشي الى الشام ، وعين يوسف العظمة للمعتمدية . ولما تسلم يوسف العظمة وزارة الحربية في الشام بعد اعلان الاستقلال، عين لهذا المنصب في بيروت القائمقام اركان حرب رشدي الصفدي، وبعدها علي جودت الايوبي ، احد وزراء العراق حاليا .**

واني اتساءل هنا كيف ذكر الاخ الكبير مفاوضة المسيو بيكو له ، ثم طلب اليه ان يجتمع الى الجنرال غورو مع ان الواقع التاريخي جلي جدا بهذه النقطة لان المسيو بيكو والجنرال غورو لم يجتمعا بزمن واحد في لبنان بل ان الجنرال غورو عين خلفا لمسيو بيكو .

وبعد سحبه من هذه البلاد ، فوضت الى الجنرال غورو جميع السلطات ، وخاصة العسكرية منها ليتمكن من فرض الانتداب بالقوة عند الحاجة ، وهكذا كان .

وان حادث ميسلون التاريخي لاكبر شاهد على ذلك .

هذا ما بدا لي تصحيحه راجيا نشره مع قبول فائق الاحترام .

بيروت في ٢٦ شباط سنة ١٩٥٣

الرجل الذي صمت ثلاثين سنة يتكلم : مذكرات عارف النعماني ـ ١٠

يوم اجتمع فيصل وغورو في ميدان السباق في بيروت

كما دونهـا محمد قره علي

قلت ان غورو كان يستدعيني بكثرة ، ويجتمع الي عند كل مناسبة ، حتى ولو كانت تافهة ، كاقامة حفلة شاي في قصره لسؤالي عمن يجب ان يدعو لها ، او لاستشارتي في قبول دعوة موجهة اليه .

ولهذه المناسبة اذكر الحادثة التالية :

في اواخر شهر رمضان من عام ١٩١٩ ، تألفت لجنة من سكان « البسطة الفوقا » ودعت غورو لحضور حفلة « التوحيش » في جامع البسطة . فسألني رأيي ، فاقترحت عليه القبول .

ولما اجابهم بالايجاب استعد شباب البسطة لاستقباله استعدادا مناسبا ؛ بما اقاموه من اعمدة الزينة ، واناره المصابيح ، ورفع الاعلام ، مع مقصف فاخر ، كما احتشدت جماهير غفيرة .

وفي الموعد المعين لم يحضر الجنرال . وبعد مضي ساعة او ما يزيد على مرور الوقت ، وصلت سيارة عسكرية ونزل منها ضابط . وقال لي : الجنرال ارسلني لابلغك اعتذاره ، وهو يرجوك ان تعتذر عنه بدورك .

آلمني الاعتذار ، فوقفت واعلنت الحشد ان الجنرال لن يأتي ، دون ان التمس له عذرا . فتعالى الهتاف: « بدنا الجنرال يا ابو عبد ،... بدنا الجنرال ... »

وساد الهرج، وتعالى القول... واحاط بي اعضاء لجنة الاستقبال، وطلبوا الي ان اتصل به واقنعه بتلبية الدعوة .

قلت للضابط ان يرافقني الى مقر الجنرال ، ثم اخترقت صفوف الجماهير الى السيارة . ولما وصلت الى البسطة التحتا ، تنفست الصعداء ، وسألت الضابط عن مقر الجنرال فقال لي انه في النادي العسكري الافرنسي

وكان النادي على باب ادريس ، في عمارة «فيز» حيث كانت تقام حفلة راقصة للجالية الافرنسية

ما كدت ادخل بهو الاستقبال ، حتى خرج الجنرال للقائي . وبعد التحية ، قلت له بلهجة مازحة : انا افهم جيدا ان حضور حفلة راقصة اقرب الى قلبكم المرح من حضور حفلة دينية ، ولكن الاخوان لا يريدون ان يقتنعوا بذلك ، بل ينتظرون ان توافيهم بشخصك !

فقال : ولكني ارسلت الضابط ليمثلني

قلت : لقد ارسلت من يمثلك ، ولكن القوم لا يريدون في هذه المرة ، وهي الاولى ، ان يخضعوا للبروتوكول . وقد اتيت لاصحبك .

فاطرق هنيهة ، ثم طلب قبعته وقال لي : تفضل ، يا عزيزي ...

ولما وصلنا الى اخر الدرج ، قلت له: هل لك ان تركب سيارتي، وتأمر سيارتك ان تلحق بنا ؟

ففعل ولما وصلنا الى البسطة استقبل استقبالا بالغا .

* * *

وفي معرض هذا الحديث عن ذكرياتي مع غورو وفيصل ، احب ان اسجل الطرفة التالية :

ما حضر مرة الامير فيصل الى بيروت الا واستقبل استقبال الفاتحين .

ومرة ، في ربيع ١٩١٩ ، دعوته لحضور حفلة سباق تقام على شرفه في « بارك » بيروت الحالي وكنت يومئذ احد أعضاء لجنة ميدان السباق . ولهذه المناسبة دعوت الجنرال غورو .

وقبل موعد الحفلة توجهت بعربتي الخاصة لمنزل المرحوم عمر الداعوق حيث كان [illegible] الامير ، ثم صعدنا معا الى [illegible] تدافع [illegible] قدامها مصفقين [illegible] ولما وصلنا الى اول طريق [illegible] ، رأينا الجماهير مصطفة على طول الطريق وما كادت تمرّ [illegible] حتى تعالى هتافها ، وكان الهتاف يتزايد كلما اقتربنا . وما ان وصلنا الى «البسطة التحتا» حتى سدت علينا الطريق ، وعلى « البسطة الفوقا » اوقفت الجماهير العربة، وبدأت الهتاف والزغردة وقذف العربة بالملبس وماء الزهر .

وما هي الا لحظات حتى تحول الهتاف الى : بدنا الحرب ... بدنا الحرب ...

واتخذ الموقف شكلا عدائيا ضد الحلفاء . فاضطرب الامير من هذه الهتافات ، وطلب الي ان اسعى بوقفها ، فوقفت في العربة ، والقيت كلمة ناشدت فيها الجماهير ان تكف عن هذه الهتافات بطلب الحرب ، فسكت الناس اخيرا .

وما كادت تنجلي الغمرات ، حتى رأينا الشباب المحتشد يفك الخيول عن العربة ؛ ثم يتولى الناس جرها بايديهم الى ميدان السباق .

وما كادت العربة تطل على بوابة الميدان وتدخل حتى علا التصفيق والهتاف ، وخف الجنرال غورو مع ضباطه واركانه واركان الحكومة ووجهاء البلد لاستقبال الامير فيصل ؛ ثم صدحت الموسيقى العسكرية الفرنسية . وفي نهاية الصدح والهتاف سرت مع الامير الى مركز « الحكم » بالسباق ، ومعه الجنرال .

جرت الاشواط ، وكان اخرها شوط لجوادين فقط ؛ احدهما جدلت في شعر معرفته وناصيته ثلاث جدائل بشرائط حريرية تمثل الوان العلم العربي ، والثاني بشرائط تمثل العلم الفرنسي .

وجرى الشوط ، والجوادان متلازمان ، حتى وصلا الى نقطة الوصول برمية واحدة تقريبا ، كما يتعذر على غير الحكم المتمرن العارف ان يميز بين الفائز والخاسر

واعلن الامير فيصل ــ بصفته الحكم ــ فوز الجواد الذي يحمل العلم الفرنسي . ثم اتضح ان الحصان الذي ربح انما هو جواد العلم العربي وان الامير فيصل ، تعمد ما اعلن على سبيل اللياقة . ولكن الناس جن جنونهم ، وكادوا يقتلعون المنصة بالامير وبالجنرال !

تعليق اخر على مذكرات النعماني

جان ايوب يؤيد ملاحظات سلام

جاءنا من السيد جان ايوب تعليقا على مذكرات السيد عارف النعماني ما يأتي :

اطالع باهتمام ما ينشره الاخ عارف النعماني في « الحياة » من مذكراته ، لان الحقيقة التي يؤرخها صاحب [illegible]

وقد قرأت في اعداد امس ملاحظات الاخ محمد سلام على مذكرات النعماني ، فسررت جدا ان تكون هذه الملاحظات قد جاءت في خاطري واردت ان اكتبها « للحياة » ، فاذا بالاخ محمد سلام يسبقني اليها .

ان هذه الملاحظات جميعا مطابقة للواقع الذي اعرفه ، وما هو مدون في مذكراتي الخاصة عن تلك الحقبة التاريخية من النهضة العربية .

واؤكد بصورة خاصة ــ على ما ذكره السيد سلام من ان الجنرال [illegible] مغادرة غورو له بنحو شهر ونصف .

وانا اعرف هذه الحقيقة بحكم اني كنت رئيس الغرفة [illegible] للجنرال بيكو ، اثناء وجوده في فلسطين .




صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول: وليد عوض

المكاتب (ادارة وتحرير وانتاج واعلانات): عمارة التاجر ـ شارع كليمنصو ـ تليفون ٣٤٧٥٤٤ ـ ٣٤٨١٦٥ ـ ٣٧٠٠٧٨ ـ ٨٦٧٥٠٠ ـ ٣٥٣٩٢٨.

الفاكس اللبناني: ٣٥٣٩٢٨.

الفاكس الدولي: 4782203 -212 -001 التليفون الخليوي: ٧٨٤٤٨٧.

العدد ٦٩٧ السنة الثالثة عشرة الاثنين ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٥ ـ ٢٦ رجب ١٤١٦هـ.



● مفاجأة سعيد عقل في برمانا: ●

باني دولة لبنان هو البيروتي السني الحاج عارف النعماني!

النقاش كان دائراً على أوسع مدى عند هضاب برمانا في قاعة «مجلس الفكر» الذي ترأسته الدكتورة كلوديا ابي نادر، عندما قال المحاضر فريد سلمان، ان الفضل في تأسيس لبنان يعود الى الدروز والموارنة. وكادت الكلمة تلقى نصيبها من التصفيق، لولا ان وقف الشاعر الكبير سعيد عقل معترضاً، وقال:

ـ ليس مسموحاً لأحد ان يزوّر التاريخ وحقيقة الأمر هي ان صاحب الفضل في تأسيس دولة لبنان هو الحاج عارف النعماني. وكل الوقائع المكتوبة والمتناقلة ابا عن جد تؤكد هذه الحقيقة. فلولا ان طلب من الملك فيصل الأول استثناء لبنان من مشروع الدولة العربية، بحكم تركيبته الطائفية، لما كان هناك دولة لبنان!!

وبالرجوع الى العدد ٢٠٨٧ لجريدة «الحياة» تطل علينا مذكرات عارف النعماني (بنته السيدة حياة عقيلة ابراهيم عرب)، كما كتبها الأديب الراحل محمد قره علي، ويقول حرفياً:

«بعد مرور شهر على استلام الفرنسيين للحكم في بيروت من المحكمة العربية المحلية، (الزمان عام ١٩١٩) وصل الأمير فيصل الى بيروت ونزل ضيفاً على السيد عمر الداعوق في بيته. وفي اليوم الثاني كشفنا رغبته بتأسيس وكالة لحكومته باسم «دار الاعتماد العربي» فكان طبيعياً ان نهلل للفكرة، وان نستجمع امتيازها. وفجاة أعلن اختيار السيد رفيق التميمي معتمده الأول في بيروت، وتعاقب بعده يوسف العظمة وجميل الألشي».

ثم تابع النعماني في مذكراته:

«وعندما الغيت دار الاعتماد، كان آخر معتمد فيها هو يوسف العظمة، ذلك الرجل الذي عرف كيف يكسب صداقة البيروتيين على اختلاف نزعاتهم وميولهم، اللهم الا بعض اخواننا الانعزاليين. فقد رأوا فيه واجهة عربية فتنكروا له. وكان غرضنا مع الأمير فيصل ان نعمل على تحقيق الوحدة الشاملة. ولكن بعدما عرف فيصل عن احوال لبنان ما عرف سألني: «الوحدة بما فيها لبنان؟». فأجبته: «اذا نحن ضممنا لبنان الى الدولة العربية ضماً، فسيتعبنا ذلك كثيراً خصوصاً وان بعض أبنائه يطلبون حماية فرنسا. ولذلك فإنني ارى ترك لبنان مستقلاً، شريطة ان تراعى اماني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، وبشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي وان يكون حاكمه وطنياً، وتكون علاقته بسورية محصورة في وحدة اقتصادية».

ثم يتابع قائلاً:

«فالتفت الأمير يقول: سننظر في الأمر عندما نجتمع مرة ثانية في دمشق وارى ان تشبعوا الموضوع درساً وموعدنا قريب».

وانتصرت فكرة عارف النعماني..

ولا تزال هذه الفكرة قضية عند سعيد عقل!!



بقلم: وجيه النعماني(*)



عارف النعماني في ايطاليا مع نياشينه.

عارف النعماني بالطربوش مع بعض امراء الحجاز.

نعم.. لولا عارف النعماني ما كان لبنان!

نفاه الجنرال «غورو» الى كورسيكا لأنه أيّد المجلس الوطني ضد الانتداب!

من السيد وجيه النعماني (اديب وكاتب مخضرم) تلقينا هذه المقالة رداً على ما نشرناه عن عارف النعماني والملك فيصل الأول، ودور النعماني في اقناع الملك العربي بترك لبنان خارج المشاريع الوحدوية واستجابة لدعوتنا طالبي الرد على ان يكتبوا الينا..

بصفتي اكبر اعضاء عائلة النعماني سناً ولكوني تعاطيت ووالدي واخوتي الاعمال التجارية ملازمين ابن العم عارف النعماني منذ الحرب العالمية الاولى حتى سنة ١٩٣٥ عندما توقفت نشاطات المرحوم عارف، ولكوني اطلعت مؤخرا على مقالات الصحفي محمد قره علي الذي نشرها سنة ١٩٥٣ في جريدة «الحياة» وظهر شيء منها في عددي مجلتكم الغراء رقم ٦٩٧ تاريخ ١٨/١٢/١٩٩٥ ورقم ٧٠١ تاريخ ١٥/١/١٩٩٦ بما يتعلق بابن عمنا والذي جاء في الاخير قولكم: «و«الأفكار» تترك الباب مفتوحاً للنقاش»، اسمحوا لي أن اتقدم بالتعليقات والملاحظات الاتية:

— تبدأ علاقة والدي بأعمال المرحوم عارف التجارية المتينة منذ الحرب العالمية الاولى اذ كان والدي يومئذ من تجار «مال قبان» — اي الحبوب المنوعة بالجملة — ووالد عارف من كبار تجار «المنيفاتورة» كما تسمى وهي البضائع القطنية (خام، قطن، الخ..) وايضا بالجملة. والمحلات في شارع المرفأ في بيروت.

— الحبوب كانت تستورد من مصر وحلب وتركيا والاقطان من انكلترا. ولما وقعت حرب سنة ١٩١٤ العالمية انقطعت المواصلات بين بيروت وتلك البلدان مما اضطر والدي وعارف الى اتخاذ محلات صغيرة في محلة «النورية» قرب ساحة البرج كغيرهما وبالمتاجرة بما تيسر من بضائع محلية من حبوب وغير ذلك لا أذكرها تماما لأني كنت يومئذ صغير السن .وكنت مع ذلك ازور السوق مع والدي.

— محل انكلترا كان في مانشستر باسم «عبد الرحمن النعماني وشركاه» — والد عارف —. ولما بدأت حرب سنة ١٩١٤ واحتلت المانيا تركيا وسوريا انقطعت المواصلات مع اوروبا وانكلترا كما ذكرت. وكان وكيل محل مانشستر يومئذ المرحوم علي الادلبي.

— عندما انتهت الحرب العالمية الاولى وعادت المواصلات مع بلادنا ارسل السيد ادلبي يعلم السيد عارف بما حصل وان الاتجار كان لحساب بيروت وارسل له مبلغا كبيرا من الليرات الانكليزية نتيجة ارباح المحل لا اعلم مقداره ولكن اعلم انه جعله من اصحاب الملايين. واني اذكر ذلك لأنوّه عن مصدر الثراء الكبير والشريف للمرحوم عارف.

— ليس لي اي تعليق على ما جاء في الحلقة ١١ من مذكرات محمد قره علي عن التحركات السياسية الداخلية لعارف النعماني لاننا والدي وأنا واخوتي لم نكن نتعاطى سوى اعماله التجارية انما لا بد لي الا ان اذكر بأني اعتقد انه جاء في بعض هذه المذكرات بعض التعقيدات، واخشى ان تزداد تعقيدا اذا انا حاولت التعليق عليها. ولكني اود ان ادوّن ما أعرفه بالتأكيد عن العم عارف اذ اني اذكر بالتفصيل بانه بالاضافة الى نشاطاته السياسية والتجارية كانت له اعمال خيرية معروفة حتى في الخارج، منه ما نشرته مجلة «فلوريال» الصادرة في باريس بتاريخ ٢١/٥/١٩٢١ جاء فيها بعض الاتي:

«عارف النعماني المتهم الملحوظ كثيرا ما اشتهر في كل سوريا كمحسن كبير. سخاؤه وميله الى فرنسا اظهرها كما اشار اصدقاؤنا السوريون، وفي عدة مناسبات. هذا الرجل الثري جدا والذي شملت تجارته كل القطر السوري خصص القسم الكبير من ايراداته لمساعدة الفقراء في بيروت ولعدة مشاريع خيرية. ساعد على ترميم عدة قرى وتغذية واكساء الكثيرين من سكان جزيرة ارواد الصغيرة. وقام في بلده بالتعاون مع هيئات صحية وعمالية بمكافحة مرض السل والمساعدة على اقامة مدارس للبنين والبنات..» (صورة باوسمة).

— أغلب الظن ان الرغبة في الكشف عن النفط واستخراجه ومد سكة حديدية الى الحجاز كانت في الاساس فكرة الألمان الذين كانوا يعتقدون كما اعلم باحتمال وجود الماس والذهب حتى والحديد والنيكل والرخام والجص. وقد حاول العم عارف كما كنت اعلم الاتصال بشركات تهتم بهذا الموضوع انما الظروف السياسية لم تعد تسمح بالمتابعة.

— ظهرت صورة في مجلتكم الغراء العدد ٧٠١ صفحة ٤٧ لعارف النعماني ضمت السيد اسماعيل الشافعي الصيدلي الشهير في بيروت وصديقه الحميم، وبعض الاشخاص هم من السياح وليس من افراد العائلة اذ لم تسمح الحكومة الفرنسية لهم بزيارة عارف بك كما هو مذكور في رسالة ظهرت صورتها في مقال السيد قره علي.

— جاء في مقال الاستاذ فريد سلمان في العدد ٧٠١ صفحة ٤٧ تاريخ ١٥/١/١٩٩٦ من مجلتكم الغرّاء تعليقاً على ما قاله الشاعر الكبير سعيد عقل: «بأنه ليس مسموحا لأحد أن يزور التاريخ، وحقيقة الامر هي ان صاحب الفضل في تأسيس دولة لبنان هو الحاج عارف النعماني..». يقول فيه الاستاذ سلمان: «اسجل وفي هذا العدد بالذات ان مداخلة الحاج النعماني لدى فيصل ليس لها عدا التفكهة التاريخية اية قيمة سياسية» (صورته مع بعض امراء الحجاز).

فعندما زار الامير فيصل بيروت نزل ضيفاً على عمر الداعوق وفترة في منزل عارف النعماني الذي قدم له عربته التي يجرها حصانان انكليزيان لم يكن هنالك مثلها سوى عربة الوالي اسماعيل حقي.

وليس من باب الفخر انما يحسن بي ان اؤكد ان اول مدير لبلاط الملك فيصل في دمشق كان من اقربائي وعند استلامه المهمة ابرق الى عارف النعماني — نظراً لعلاقته بفيصل اميرا — يعلمه بالامر فوقع نص البرقية بيد الحكومة الفرنسية فازداد اتهامها لعارف بمعارضته لها مما زاد هذا الامر عداءها للمذكور اثناء محاكمتها له.

— وعندما زار عارف النعماني الحجاز مراراً ملبياً طلبات المملكة الهاشمية بوصفه رجل اعمال وصديق للعائلة المالكة حتى انه قام بشراء باخرة شحن لم يتم استلامها اذ انقطعت الصلات التجارية مع الحجازيين في جدة ولكنها لم تنقطع مع المملكة وعلى الاخص مع الامير فيصل الذي اصبح فيما بعد ملكا على العراق، فتراكمت الديون عليهم ولم يقبضها بسبب احتلال آل سعود للحجاز وعدم استطاعة الملك فيصل من تسديدها. فهل لم يكن لذلك اي قيمة سياسية بل تفكهة؟

— كان للسيد عارف مشاريع كبرى منها انه قام بتأسيس مصرف وطني ليناقس البنك السوري الذي تأسس في باريس واصدر العملة السورية الورقية لتحل محل الليرة الذهبية التركية (عملة بلادنا الرسمية لغاية انتهاء الحرب العالمية) بموافقة الدولة الفرنسية المنتدبة على سوريا ولبنان. وحضر مسيو بيرار رئيس مجلس ادارة البنك السوري من باريس بنفسه وسعى مع فرنسا لعدم السماح بتأسيس ذلك المصرف.

ومن جملة اعماله انه ايّد ماليا المجلس الوطني اللبناني الذي كان يفاوض فرنسا في باريس لرفع انتدابها عن لبنان واستبداله بمعاهدة حبية فما كان من المندوب السامي الجنرال «غورو» في بيروت الا ان احاله على المحكمة العسكرية (وقد حضرت بنفسي احدى جلساتها) وصدر الحكم عليه بنفيه الى جزيرة كورسيكا.

— لا أعتقد ان القراء الكرام تهمهم سيرة المرحوم عارف النعماني بعد انهيار البضائع الاوروبية وتحويل اعماله الى زراعية وغيرها في العراق وفي بيروت لذلك أتوقف عند هذا الحد.

انما طرأت عليّ فكرة انه لا بد لي في ختام هذا الحديث بأن أذكر بأن ابن العم عارف كان ذواقة بالموسيقى. فقد كان هو ووالدي ممن يجيدون العزف على العود. وكان يسود معظم سهرات عائلتنا الانس والطرب مما يرفه عن نفوس الجميع. اقول ذلك لأني على يقين بأن معظم رجال الأعمال، في الشرق وفي الغرب، لا وقت لديهم ليقوموا بممارسة الغناء الطرب والعزف، لأن وقتهم كله من «ذهب» فقط!.. كما يقولون.

وأختم كلمتي هذه راجياً لجميع قراء هذه المجلة الغرّاء السعادة والهناء والنجاح.□

(*) اديب وخبير محلّف في الترجمة والمحاسبة والتجارة لدى اتحاد المصارف العربية.

فهرس المصادر والمراجع
والمجلات والصحف العربية والأجنبية

أولًا: المصادر والمراجع العربية حسب أسماء المؤلفين

١) أحمد طربين: لبنان في عهد المتصرفية ١٨٦٠-١٩٢٠، القاهرة، معهد الدراسات العربية ١٩٦٨.

٢) أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٣.

٣) أسكندر رياشي: تذكارات اسكندر الرياشي قبل وبعد ١٩١٨-١٩٤١، بيروت ١٩٥٣.

٤) أسعد سحمراني: الماسونية نشأتها وأهدافها، دار النفائس، ط١ ١٩٨٨.

٥) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، بيروت، دار النهار للنشر (د.ت).

٦) أمين الريحاني: - القوميات ج١-٢، بيروت، دار الريحاني، ١٩٥٦

- ملوك العرب ج٢، بيروت، دار الريحاني، ١٩٥١.

٨) أنور الجندي: تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو، ط١، ١٩٧٠.

٩) أنيس صايغ: لبنان الطائفي، بيروت ١٩٥٥.

١٠) أنيس النصولي: عشت وشاهدت، مطابع دار الكشاف، بيروت ط١، ١٩٥١.

١١) تيودور هانف: لبنان تعايش في زمن الحرب، نقله عن الألمانية موريس صليبا، باريس، ط١، ١٩٩٣.

١٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد ١٩٥٣.

١٣) جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، تعريب ناصر الدين الأسد، بيروت ١٩٦٦.

١٤) حسان حلاق: - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢، بيروت، معهد الانماء العربي، ١٩٨١.

- دراسات في تاريخ لبنان المعاصر. بيروت دار النهضة، ١٩٨٥.

١٦) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، بيروت مكتبة النهضة، ١٩٦٩.

١٧) زين نور الدين زين: - الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت ١٩٧١.

- نشوء القومية العربية، بيروت ١٩٧٩.

١٩) سعيد أمين: الثورة العربية، الدار الأهلية.

٢٠) ساطع حصري: يوم ميسلون، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٨.

٢١) عبد الرحمن بكداش العدو: بيروت خلال ثلثي قرن، بيروت، مطابع المقاصد، ط٢، ١٩٩٢.

٢٢) عبدالرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية، مطبعة النهضة المصرية ط١، القاهرة ١٩٣٠.

٢٣) عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث (١٥١٧-١٩٢٠) جامعة بيروت العربية ١٩٧٤.

٢٤) علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، بيروت، الدار الأهلية، ١٩٨٧.

٢٥) عمر فاخوري: كيف ينهض العرب، بيروت ١٩٨١.

٢٦) لوسيان كافرو ديمارس: العار الصهيوني آفاقه كوارثه، بيروت ١٩٧٢.

٢٧) لورانس ت.أ: أعمدة الحكمة السبعة، منشورات المكتبة الأهلية، ط٢، بيروت، ١٩٧٠.

٢٨) لحد خاطر: عهد المتصرفية في لبنان ١٨١٦-١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٦.

٢٩) محمد بديع شريف: دراسات تاريخية في النهضة، مطابع دار صادر، بيروت ١٩٦٧.

٣٠) محمد قره علي: - خطط الشام مج٣، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٢٥.

- مذكرات عارف النعماني، نشرت في جريدة الحياة، بيروت ١٩٥٣.

٣٢) محمد جميل بيهم: سوريا ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢، بيروت ١٩٦٨.

٣٣) نجدة فتحي صفوة: الماسونية في الوطن العربي، مركز الدراسات العربية لندن ١٩٨٠.

٣٤) يوسف الحاج: في سبيل الحق- هيكل سليمان أو الوطن القومي اليهودي، بيروت ١٩٣٤.

٣٥) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال في وادي النيل، ج١ (١٩١٦-١٩٢٢)، بيروت ١٩٦٧.

٣٦) يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، ج٢، بيروت.
٣٧) يوسف يزبك: مؤتمر الشهداء، بيروت ١٩٥٥.

ثانيًا: المصادر والمراجع الاجنبية

Adel Ismail:Documents diplomatiques et consulaires consultot de Beyrouth, Vol. 20. Beyrouth 1979.

Hicham Charabi:Arab intellectuel and the West the formative years 1875-1914. Baltimore Mad: Jhons Hop Kings University Press, 1970.

Edmond Rabbath:La formation Historique du Liban politique et constitutionnel, Beyrouth 1973.

Khairallah Khairallah:La question du Liban, Paris 1915.

Stephen H. Longrigg:Syria and Lebanon under French Mandate. London 1958.

Sydney N. Fisher:The Middle East- A history. London 1960.

Toufic Touma: Paysans et instruction feodales chez druzes et les Maronites du Liban du XVII siecle à 1914 T.II Beyrouth 1971-1972.

Mounir Ismail: Le Liban sous les Moutasarrifs Segretaria di Serdigna Cart 223 - villanis à cavour.

Gen. Gourand à quai d'Orsay N. 2864 of 25 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44.

Documents diplomatiques et consulaires. Annexe à la dépêche, n°62, du 17 Mars 1913.

ثالثًا: المذكرات المنشورة

١) مذكرات خالد العظم، ج١ و ج٢، بيروت ١٩٧٣.
٢) حقائق لبنانية. بشارة الخوري، الأجزاء ١، ٢، ٣، درعون حريصا ١٩٦٠-١٩٦١
٣) مذكرات عارف النعماني، بيروت ١٩٥٣.

رابعًا: الجرائد

١) جريدة الأحرار، ميكروفيلم الجامعة الأميركية، ١٩١٩.
٢) جريدة الحياة، نشرت مذكرات عارف النعماني بتاريخ ١٩ شباط ١٩٥٣.
٣) جريدة اللواء، ١٤/١٢/١٩٩٥.
٤) جريدة بيروت، ١٧/٣/١٩٤٨.
٥) نهار الشباب، ١٨/٨/١٩٩٨.
٦) جريدة السفير، ١١/١٠/١٩٩٨.

خامسًا: المجلات

١) مجلة الأفكار، مجلة أسبوعية، بيروت ١٩٩٦.
٢) مجلة المقاصد، بيروت ١٩٨١.
٣) Florol, 2e. Année, No. 21- 21, Mai 1921, L'hebdomadaire Illustré du Monde du Travail.

سادسًا: المؤتمرات

١) المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية، باريس - سان جرمان ١٣/٦/١٩١٣.
٢) المؤتمر الدائم للحوار اللبناني - السوري، بيروت، أوتيل السمرلند ١٨ آذار ١٩٩٦.
٣) مؤتمر وثيقة بيروت. بيروت، أوتيل الكارلتون ٢٣/٣/١٩٩٦.
٤) Conférence de la paix à la sécrètaire de la délégation de l'empire Britanique, n° 2594, 24 Mars 1920 in F.O. 371/5034/44.

سابعًا: المقابلات

١) مقابلة مع السيدة يسر كامل الصلح بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٦.
٢) مقابلة مع الدكتورة زاهية قدورة بتاريخ ٢٥/٥/١٩٩٦
٣) مقابلة مع الدكتور أسامة عانوتي بتاريخ ٨/٤/١٩٩٦.
٤) مقابلة مع السيدة عزيزة كامل النعماني البنا بتاريخ ١٤/٢/١٩٩٦.
٥) مقابلة مع السيد وجيه انيس النعماني بتاريخ ٢٣/٣/١٩٩٦.

ثامنًا: الملاحق (الوثائق)

١) وثائق فرنسا
٣) وثائق العراق
٤) وثائق لبنان

تاسعًا: الصور والخرائط

١) صورة لعارف النعماني
٢) صورة لعارف النعماني مع الأمير فيصل
٣) صورة لعارف النعماني أثناء نفيه إلى جزيرة كورسيكا
٤) خريطة للعاصمة بيروت تبين الشارع الذي يحمل اسمه

فهرس الموضوعات

القسم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي

كتب وأبحاث للكاتبة

الرق في الجاهلية وصدر الاسلام.	١٩٧٨ (رسالة دبلوم)
الأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي	١٩٩٠ (رسالة الدكتوراه)
تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري	منشورات دار النهضة ١٩٩٧/٧ ك٢.
المرأة الصيداوية تاريخ ومواقف	مجلة تاريخ العرب والعالم تموز ١٩٩٢
الكلتيون مخترعوا الفن الحديث	مجلة تاريخ العرب والعالم تشرين ٢ ١٩٩٢
الصليبيون في بيروت	كتاب تحت الطباعة
المرأة اللبنانية وأثرها في التطور الحضاري	بحث مخطوط
الذاكرة البيروتية (الرسام مصطفى فروخ)	بحث مخطوط
المنحى الحضاري عند عبدالله العلايلي	مجلة الحداثة - نيسان ١٩٩٧
الرؤيا المستقبلية للوحدة العربية	مؤتمر الطاولة المستديرة بنغازي ليبيا ٢٣ تموز ١٩٩٧
تراث المرأة اللبنانية في عصر النهضة	مؤتمر التراث الشعبي - حلقة الحوار الثقافي
النخبة في لبنان	مؤتمر الهيئة اللبنانية للسلام تشرين ٢ ١٩٩٧
الحركة النسائية في عصر النهضة (ابتهاج قدورة)	بحث لمجلة المجلس النسائي
من حطين التي عين جالوت	مؤتمر دمشق ١٧/٣/١٩٩٨
بيروت من الفتح العربي إلى الاستقلال	دار بيروت ٢٢/٢/١٩٩٨
الكتاب أمام وسائل الاتصال الحديثة	بيروت التراث ١٠/٢/١٩٩٨
العلاقات التجارية بين ثغور الشام وأروبا	مؤتمر جامعة الأزهر ٢٣/٤/١٩٩٨
العتبات المقدسة في إيران	مؤتمر طهران ١٨/٨/١٩٩٧
العلاقات التجارية وأثرها الحضاري في العصر الأموي	مؤتمر دمشق ١٧/٣/١٩٩٩
التمييز ضد المرأة في قانون العمل والأسرة	**اللجنة الأهلية لحقوق المرأة ٥/٣/١٩٩٩**

هذا الكتاب

يلقي الضوء على حقبة مهمة من تاريخ لبنان (١٨٨٢-١٩٥٥) و على وثائق و تفاصيل دقيقة أغفلتها كتب التاريخ اللبناني، و ذلك من خلال علاقات أقامها عارف النعماني مع ملوك تلك الحقبة و زعمائها، كمايعطي فكرة عن شخصيات أهل بيروت و مواقفهم. و يتناول الكتاب علاقات لبنان الدولية و التحولات السياسية و الاقتصادية التي مرَّ بها من خلال شخصية عارف النعماني. لذا نرى أن هذه الشخصية تستحق إلقاء الضوء عليها و إيضاح مواقفها السياسية ضد سياسة التتريك و السعي في سبيل دولة لبنان الكبير، و المناضلة لتحقيق الاستقلال و تثبيت العلاقات المميزة مع سوريا، و النضال ضد الانتداب الفرنسي، و دعم مجلس إدارة جبل لبنان في مؤتمر الصلح.

أما مواقفه الاقتصادية فقد تجلّت بمعارضة تحويل ذهب لبنان إلى عملة ورقية، و اشتغاله بالتنقيب عن البترول في الحجاز. و إقامة المشاريع في العراق و فشلها. و ضياع متجره في مانشستر (قضية آل الإدلبي - الشركة الإنكليزية).

أما مواقفه الاجتماعية، فتظهر بإنشائه عدة مدارس و مساعدته للطلاب و للأسر المعوزة، و دعمه الثورات النضالية.

طبع في مطابع
دار العلم للملايين